قليلا من النسبية والايمان

○
○ ○



صحت نظرية « اينشتين » في النسبية ، كان على رجال الفكر عندنا ، من علماء وادباء وفنانين ، ان يتوقفوا طويلا قبل ان يستعيروا قوانين « التجارة » مثلا ليطبقوها على عالم العقل والقلب .

ففي دنيا الاقتصاد والمال ... تسود قوانين بعينها ، ومنها قانون العرض والطلب ، ونظرية بع كثيرا بربح قليل تربح اكثر من بيعك القليل بربح وفير .

ومنها مبدأ الباب المفتوح ، على انه عامل من عوامل الازدهار ، في البلد الضئيل الموارد . والمبدأ المعاكس الذي يرى اغلاق ذلك الباب ، حفاظا على طاقات البلاد وثرواتها .

اما في دنيا الثقافة ، دنيا الحرف واللون والنغم ، حيث تختلف المقاييس والموازين – بطبيعة الحال – فان فتح الباب على مصراعيه جناية لا تقل بشاعة عن القتل الجماعي .

ومن هنا كان هذا السفه الذي ينشر في المطبوعات الخليعة ، والرسوم الماجنة ، والاغاني الداعرة ، على انه ادب عبقري او فن واقعي اوغناء حديث .

ومن هنا ايضا كان ذلك الفسق الذي يعرض في دور السينما على انه افلام تحاكي الحياة!

ان واجب المسؤولين – سواء كانوا آباء وامهات ، او ارباب صحف ومجلات ، او اصحاب دور نشر وسينما ، او مربين وحكاما – ان واجبهم جميعا يحتم عليهم ان يؤمنوا برسالتهم اولا ، وان يؤمنوا كذلك بانهم يؤدون تلك الرسالة في امة ناشئة ، او هي في دور الانبعاث ، فما لا يؤذي شعبا قويا متطورا كالامريكان او الروس ، قد تكون له في شعوبنا الضعيفة المستيقظة اسوأ النتائج واوخم العواقب .

قليلة من النسبية العلمية اذن ، ايها السادة المستوردون ... وقليلا من الايمان بمصائر اوطانكم وشعوبها ، ايها المسؤولون . وحينئذ تضعون حدا لهذا الانحلال الخلقي الذي يبدأ بالادمان على الهروين وينتهي بالفسوق والموبقات الاخرى .

وفي اعتقادي انكم عارفون قبل كل شيء ، وبعد كل شيء ، ان للامم اطوارا تمر بها ، كما يمر الافراد : فطور الطفولة ، وطور الشيخوخة ، وما بينهما من مراحل .

ونحن ، مع هذه الشعوب التي تتكلم لغتنا ، ما برحنا في المرحلة الاولى . فحرام اذن ان نستورد لهم – لهذه الشعوب – (بعض) ما تمخضت عنه الحضارة الغربية اخيرا، قبل ان يبلغوا الطور الذي صار اليه اصحاب تلك الحضارة في شيخوختها الراهنة ! حرام ان نضع تلك المستوردات الخطرة بين ايدي ... ابرياء سذج ، على انها (كل) تلك الحضارة في تنوع نتاجها وسموها وعظمتها . وهي فوق ذلك مستوردات ... أي انها لم تنبت في اوطانهم ولا كانت حصيلة تطورهم الطبيعي !

فهل في هؤلاء الشعوب – المساكين حقا مسؤولون ؟ وهل في اولئك المسؤولين قوم مؤمنون حقا ؟

رشاد دارغوث

فلسفة التربية

بقلم الدكتور كمال الحاج

الباب الاول

في الغاية من علم النفس التربوي

من الافضل ، كي نوضح ما نرمي اليه ، ان نميز بين التعليم والثقافة والتربية . على هذا الاساس ، نوجه الاضواء نحو الغاية المطلوبة ، التي هي فلسفة التربية . نقول ، والحالة هذه ، بان التعليم نشاط ذهني مجرد يهدف الى تمكين الانسان من موضوعه . نتعلم القراءة ، نتعلم الحساب ، والتاريخ ، والجغرافيا . نتعلم كيف نستخرج المعادن من قلب الارض . نتعلم الزراعة ، والصناعة ، والخياطة ، والسباحة. ثمة علم الاقتصاد ، وعلم السياسة، وعلم الاجتماع ... الى ما هنالك من ضروب في العلوم

نلاحظ ، هنا ، ان العلم (او التعليم) قضية استيعابية، تتناول العقل والحافظة . يحفظ الانسان بالذاكرة ما يدركه بالعقل . ولا يعقل الا النواميس العامة ، لأن العقل لا يكون الا بالانتقال من الخاص الى العام . لهذا كانت لفظة تعليم تفيد الاجماع ، في الاراء ، على امر واحد . ان العلم ، الذي لا يكون عاما ، ليس بعلم . ومن هنا كان ديكارت ينظر الى الرياضيات كمثال للعلم الصحيح ، لان الانسانية لم تجمع على خطة واحدة ، كما اجمعت منذ البداية على مسائل الرياضيات . والعلم واجب في حياة الانسان ، لا لان الجهل اصل من اصوله – ان هذا الاعتبار يلغي امكانية العلم – بل لان العلم هو الاصل الاصيل ، وقد طرأ انحراف على الانسان ، فكان الجهل العارض ، وكان التعليم المقوم .

لكن الانسان قلما يقنع بعلم واحد . وهذا لسببين : (اولا) لان العلوم يحتاج بعضها الى بعض . اذ ما من علم يستكمل شروطه بمعزل عن العلوم الاخرى . الطب بحاجة الى الفيزياء والفيزياء بحاجة الى الكيمياء والكيميات بحاجة الى الرياضيات . وعلم الاجتماع بحاجة الى التاريخ، والجغرافيا ، والسياسة ... الى ما هنالك من تشابك عريض ، طويل ، بين مختلف العلوم الانسانية . لهذا كان الانسان بحاجة الى ان يستشرف عدة علوم ، كي يطلع على تمام علم واحد . (ثانيا) لان المرء لا يرضى بعلم واحد ، يؤمن به عيشه . هناك ترف عقلي يميز الانسان من باقي الموجودات . اجل ، كل منا يحمل بعض اله – اله صغير – يريد ان يعرف كل شيء . من هنا الرغبة في الاطلال على الكثير من العلوم المتنوعة . تلك هي الثقافة . الطبيب المثقف هو ذلك الذي يلم بغير الطب من تاريخ ، وسياسة ، وفن ، وادب . اذا مثلنا العلم ببعد العرض ، فاننا نمثل الثقافة ببعد الطول

لكن الانسان ، من وجه انه وجود روحي ، مدعو جوهرا الى ان يفعل الخير ويتجنب الشر . هنا نجتاز عتبة العلم ، والثقافة (التي تتناول العقل والحافظة) الى مخاطبة الارادة . الى تسديد المرء نحو الذي يجب فعله . هنا عالم التقييم . عالم الواجب ان يكون ،او ان لا يكون. عالم الصلاح والطلاح . وبكلمة عالم الفضيلة . اجل العلم ، والثقافة ، غير الفضيلة . العلم والثقافة وحدهما جهل اشد ، في هذه الحياة الدنيا ، لانهما يؤديان الى الشقاء ، اذ يفضيان احيانا الى الرذيلة . وويل لامة تكتفي بهما وحدهما . هذه الامة ينقص من عدد عارفيها ، ويزيد في عدد جهلائها . هنا تدخل التربية ، التي هي تهذيب ادبي للانسان . التي هي الخير الواجب ان يكون .

التربية ماخوذة من جذر ربا ، الذي معناه زاد ونما . الزيادة لا تكون الا على نقص ، والنمو لا يكون الا نحو الكمال. ولا شك في ان كلمة تربى ، وربوة ، وربوبية ، وتربة ، ورب ، تفيد المعنى ذاته ، اي توجيه الحياة النامية نحو السمو المتعالي . لا زيادة الا في سبيل مرمى ، ولا نمو الا وهو سير نحو بلاغ . بلاغ ذلك المرمى هو حتما الى فوق ، لا الى تحت ، والا بطلت الزيادة ... وبطل النمو . وهل هذا يعني الا ان التربية هي تكملة عقل ، وتهذيب قلب ، بغية ادراك الخير الاكبر ؟

التربية لا تقف عند حد العلم ... عند حد تعليم الولد ، عن ظهر قلبه ، معلومات يشغل بها عقله . هذه الامور تصيب القريب من التربية . تهدف الى تدريب العقل نحو ما هو صائب في العلوم . ولكن الغاية القصوى، التي وجد من اجلها العلم ، هي ايصال الانسان الى فعل الخير . ولهذا قيل بان العلم الخالي من التربية هو تخريب للبشرية . التربية ، اذن ، ذات غايةاخلاقيةواضحة، بدونها تبطل كل محاولة تربوية ، في حياة الانسان. غايتها ان يصلح الكبير الصغير اصلاحا ، يحدوه على تبنيالصواب (الخير) ونبذ الخطأ (الشر) . غايتها اذكاء الخلقيات عند الولد . اذ ما قيمة الانسان ، في نهاية الامر ؟ باخلاقه اصلا ، وبعلومه فرعا ... اي بما فيه من سرعة خاطر ، وتمييز وضوح ، وشدة ملاحظة ، وصرامة حزم ، وقوة ارادة ، تجعل منه انسان عمل مفيد ، في حياته بين الناس. قيمته ان يكون بناء خير .

الواقع ان الخير والشر هما قطبا النفس البشرية . هما غاية الغايات ، التي تراود الانسانية، منذ ان سويت النفس عاقلة . ولذا لم يفن الانسان حياته خلف شيء ، مثلما افنى حياتهخلف معرفة خيرمستحب وشر مستقبح. فكم توارى في خضم الظلمات ، موقنا تارة وشاكا طورا ، ولكنه لم يتقاعس مرة في استجدائه . ذلك لان محضه قائم على معضلة الخير والشر ، التي فطر عليها ، وتطبع بها، حتى صارت النبضة الاولى في شرشه الادمي . لهذا

نرى «كانت» يوجه الفلسفة كلها ، في النهاية ، نحو معضلة الخير والشر ، بعد ان قدم لها ببحث في معضلة المعرفة .

ماذا يستطيع الانسان ان يعرف ؟ تلك هي المعضلة الاولى . معضلة العقل النظري ، الذي يبحث في ماهية الكائن . وقد ضمنها كتابه (نقد العقل النظري الصافي) حيث ارانا المدى ، الذي يمكن للعقل ان يذهب اليه في ميدان العلم . ماذا يجب على الانسان ان يعمل ؟ تلك هي المعضلة الثانية . معضلة العقل العملي ، الذي يبحث في الطريق اللازم ان يتخذه الانسان . وقد ضمنها كتابه (نقد العقل العملي الصافي) حيث ارانا واجباتنا نحو الغير ، ونحو انفسنا

هذا التقسيم الثنائي الى خير وشر – اي الى فوق صالح وتحت طالح – لم يات عبثا . هو قائم على اساس جسمي ، ونفسي ، واجتماعي . ان الجسم ذاته يصنف الاشياء الى فئتين : فئة الاشياء التي تروقه ، وفئة الاشياء التي لا تروقه . الاولى تريحه ، والثانية تزعجه . ولهذا كان من ربع المستحيل ان تتساوى عنده الاشياء كلها . والنفس ايضا تصنف الحالات الوجدانية الى فئتين : فئة الحالات المفرحة ، وفئة الحالات المحزنة . الاولى جميلة ، والثانية قبيحة . ولهذا كان من ربع المستحيل ان تتساوى عندها الحالات كلها . واذا نظرنا الى اعمال الانسان ، في المجتمع ، رايناها تصنف الى فئتين : فئة الاعمال الصالحة (او العادلة) وفئة الاعمال الطالحة (او الظالمة) . الاولى تسعد ، والثانية تتعس . لهذا كان من ربع المستحيل ان تتساوى في المجتمع الاعمال كلها .

كل شيء في حياة الانسان ، يؤول الى خير او شر . المسائل الرياضية والمشاكل الاجتماعية ، والمعضلات الفلسفية ، والاسرار الدينية ، ترد في نهاية الامر الى الانسان ذاته . والانسان نية حسنة ، او نية رديئة ... عمل في سبيل خير ، او عمل في سبيل شر . ومن هنا قول برغسون ، في فاتحة كتابه – مصدرا الاخلاق والدين – بان صورة الثمرة المحرمة لهي من اقدم الصور ، بل اقدمها اطلاقا ، في حافظة الانسانية . منها تفرغت ، واليها ترد السبل التي نهجها البشر ، في جميع محاولاتهم الوجدانية

هنا تلتقي التربية الفلسفة . ذلك لان الفلسفة تدور على القيم ، اي على الواجب ان يكون . على الذي يجب ان يفرض . والبحث في هذا الواجب يعود ، بالحقيقة ، الى البحث في كيف نربي الانسان ، كي يحقق هذا الواجب . اذا امعنا في تاريخ الفلسفة ، راينا ان الفلاسفة لم يتناحروا على الحقيقة ذاتها ، بقدر ما تناحروا على المسلك ، الذي يؤدي الى الحقيقة . لقد تساوى الجوهر طبعا بين جميع الناس . يعني ان كل واحد منا يحمل فيه ملكة الحكم بضبط ، وملكة التمييز باحكام بين الصحيح والخطأ . ولكن اختلاف الاراء ينتج عن اننا لا نسير دائما في الطريق القويم ، مما يبعدنا عن الحقيقة ، ويقيم التناقض فيما بين الاراء . هذا هو سبب الجهل . لذا كانت العقدة الكبرى ، في حياة الانسان ، ان يحسن انتقاء المنهج الذي يوصله بامان وثقة الى الخير . اليس في مثل هذه الفلسفة معنى التربية التي هي ايضا تدريب الولد نحو الخير ؟

والخير جوهر ووجود . والجوهر عام اما الوجود فخاص . لهذا كانت غاية التربية ان توقظ ، في كل تلميذ ، مواطنا انسانيا ومواطنا قوميا . المواطن الانساني هو الذي يقيّم الوجود . وهو الغاية الاولى التي ترمي اليه التربية . معناه ان التربية ديمقراطية الروح . التربية والديمقراطية يقومان على مبدأ التساوي العادل ، اي على مبدأ الاعتراف بوجود حقيقة واحدة لجميع الناس . هما في تلازم بعضهما بعضا . التربية لم تنتشر الا يوم انتشرت الديمقراطية ، والديمقراطية لم تنتشر الا يوم انتشرت التربية . المواطن القومي هو الذي يحقق قيم الوجود . وهو الغاية الثانية التي ترمي اليه التربية . معناه ان التربية عمل وطني . التربية الصحيحة تعد التلميذ الى تأدية رسالة اجتماعية نحو امته . تحدوه على خدمة شعبه ، وتقديس تاريخه ، واجلال ارضه ، واكبار شأن لغته . هي التي تزرع محبة الوطن في قلوب التلامذة . ذاك هو الانسان .. امتداد لامة واحدة ، ولغة واحدة ، وتاريخ واحد . ان مثالية المواطن الانساني لا تتجسم الا في واقعية المواطن القومي . من اراد ان يخدم الانسانية خدمة صحيحة ، وجب عليه اولا ان يخدم الامة التي ينتسب اليها . التربية الناجحة ، اذن ، هي التي تعير اهتماما كبيرا الى هذين المواطنين . هي التي تعمل بجد على ان يكون التعليم ذا هدف انساني – قومي . المعلم الاكبر هو الذي يوقظ في نفس التلميذ الشعور بالمواطن الانساني ، ليدرك ان عقلا واحدا قد وزع (من حيث الجوهر) اعدل توزيع بين الناس ... وهو الذي يوقظ في نفس التلميذ الشعور بالمواطن القومي ليدرك انه لا يكفي التفكير جيدا ، ولكن المهم ان نجيد تطبيق هذا الفكر الجيد . والتطبيق لا يكون الا في حيز الخاص ... في القومية (1) .

التربية ، اذن ، تذهب الى ابعد من التعليم والتثقيف تذهب الى قيمتي الخير والشر . تذهب الى الفضيلة . هي تحمل في ثناياها وحدة الانسان . تحمل اعداده جسميا ، وفؤاديا وعقليا . تحمل اعداده قوميا وانسانيا . هي تشمل كل هذا دفعة . ولذا جاء التعليم من ضمنها . جاء ناحية من نواحيها . جاء كسبا لمهارة ، واتقانا لعلم ، ودراية بمهنة . جاء وسيلة لغاية اعم . لغاية هي الخير الكامل . فالمعلم ، الذي لا يكون مربيا ، يخفق في رسالته . انه لا يصيب من تلميذه الا جانبا من جوانبه ... الجانب الادنى ، والارخص ، والاخس ، والاضعف . هو الجانب ، الذي يعين الانسان على ارتكاب افحش الجرائم ، اذا لم يقترن بغاية تربوية . هو الجانب ، الذي يكتفي بتلقين مواد ، وترسيخ معلومات ، وتثبيت ارقام جامدة في الحافظة . وويل لامة يكثر المعلمون فيها ، ويقل المربون . ويل لها اذا كان معلموها غير مربين انها كالباخرة ، التي تفقد ربانها ، في وسط الرياح العاصفة .

معنى هذا ان الخير لا ينتقل بالوراثة ... ان الانسان لا يمشي ، منذ البداية ، على الصراط القويم ... ان الانسان بحاجة الى التربية . اجل ان ابن الجاهل وابن العالم متساويان ، من هذا القبيل ، فور ولادتهما . مثلهما كمثل الصحيفة البيضاء . وليس في ذلك سوء حظ للبشرية . اذ لو حصل الامر عكس ما هو الان (اي تنوقلت التربية بالوراثة) لتجمع الخير في جهة واحدة من طبقة الناس ، وتجمع الشر في طبقة اخرى ، فكانت جبرية انتقال الخير الى اولئك ، وجبرية انتقال الشر الى هؤلاء . وما فضل خير ، وذنب شر ، ينتقلان بالوراثة؟ ايثاب خيِّر ، ويعاقب

---

(1) راجع ما كتبناه في مؤلفنا « فلسفيات » الجزء الاول . محاضرة « في التربية » .

شرير ، وهما لم يقوما بذلك عن طريق الارادة المسؤولة ؟

الاخلاقيات في متناول كل من يسعى اليها . وهي انسانية . هي والحقيقة في عينة واحدة . ولهذا كان من الواجب ان يولد الطفل على الفطرة الاولى . ان يولد خلوا ، بالاساس ، من الخير والشر . يكون الطفل متهيئا لقبول ما يرد عليه ، وينطبع فيه ، من خير وشر . فاذا سبق اليه الخير ، بعد عنه الشر ، وصعب عليه اكتسابه . واذا سبقت اليه عوائد الشر ، وحصلت له فيها ملكة ، بعد عن الخير ، وصعب عليه اكتسابه. ما يتمكن منه، باديء بدء ، يغلب في النفس . من اجل هذا ينبغي ان يؤدب الطفل ، باكرا ، قبل ان تهجم عليه الاخلاق السيئة . ان التربية رياضة . ولهذا مارستها جميع الشعوب ، وزاولتها جميع الطبقات وطلبها كل انسان . ولهذا ايضا ما كانت بالامر الهين . انها بنت الصبر ، والحزم ، والعزم ، والخبرة ، والاناة . اما قيل كما يكون الطفل تكون الاجيال المقبلة ؟ ان الاعتناء باطفا لاليوم هو اعتناء برجالات الغد . ومن هنا خطورة المربي ، وعظمته ، وجلاله . ولقد اعلن ارسطو بان من احسن تربية الاولاد كان اولى بهم من ابائهم ، لان اباءهم لا ينفعونهم بغير المعيشة ، واما المربون فهم يزودونهم بما يخولهم ان يكونوا في عداد السعداء . الاباء يلدون الجسم، المربون يلدون الروح . هؤلاء وحدهم يلقنون ابجدية القومية ، وارجوزة الانسانية، ليكون الولد في عداد الحاضرين.

الاطفال لا يولدون خيرين . ولكنهم يصيرون ذوي خير بفضل التربية . كذلك لا يولدون همجيين . ولكنهم يصيرون ذوي همجية ، بسبب الاهمال التربوي . والا يلغى الثواب والعقاب ، اللذان يقومان على المسؤولية ، ولا مسؤولية حيث تبطل الحرية . اذن يجب على البداية ان تكون خاما ، في الحياة ، لا بدء خلفها . تلك البداية الخام ، من جهة الخير والشر ، هي المساواة عينها بين كل الناس . من اراد الخير كان عليه ان يتعب . ان يشقى . ذلك لان الخير لا ياتي بدون جهد وعناء . وما فضل غني ، اخذ ماله بالوراثة ، ليكون الخير من جانبه ؟ وما ذنب فقير حرم المال بالوراثة ، ليكون الشر من جانبه ؟ كل مولود يولد على الفطرة ، فابواه يهودانه ، او ينصرانه ، او يمجسانه هذا عمل التربية في النفس البشرية .

لا اسبقية لبطرس على بولس ، منذ البداية ، ولا افضلية ايضا . مثلنا ، حيال الخير والشر ، كمثلنا حيال الموت . مساواة مطلقة في البداية . ثم ياتي عمل الترويض ... عمل التقميش والتفصيل ... الذي هو نحت العقول في سبيل الرؤية الصائبة ، والذي هو تهذيب القلوب في سبيل المشاهدة الصالحة . فاذا اخفق الكبير في ترويض الصغير ، اخفق في تسليم وديعة الخير الى الاجيال المقبلة ، فكان مسؤولا هو ايضا عن هذا الاخفاق . اجل التربية عمل استلام وتسليم، بين السابق واللاحق ، على غير صعيد الوراثة.

التربية اذن ، رابطة بين كبير وصغير ... علاقة بين راشد وولد . التربية هي مزاولة تلك الرابطة ، او العلاقة ، في سبيل تحقيق الخير . ولكن هذه الرابطة لم تزاول ، عبر التاريخ ، باسلوب واحد . لقد رافقت الانسان في تقلباته . سايرت مراحل تفكيره ، فتنوعت ، وتطورت ولبست عدة قمصان . ولذا يرى الذي يقلب تاريخها ـ منذ اقدم العصور حتى وقتنا الحاضر ـ ان التربية مرت ، من حيث تلك الرابطة ، بمرحلتين مختلفتين.

المرحلة الاولى هي التي اعتبرت فيها التربية ان الولد هو الدائر في فلك المربي . هو التابع في التدريب . هو المجبر على ان يدرك عقل الكبير، ليتمكن من ان يمتثل باوامره . وهكذا تركزت التربية ، في الازمنة الماضية ، على المربين ، فقط ، ناسية ان الولد هو حجر زاويتها الكبرى . جهلت التربية ، يومذاك ، انها تطلب من الولد نضجا لم يدركه بعد ، وهجرا لعالمه الخاص الذي يعيش فيه ، والذي بدونه لا يمكنه ان يكون ما يجب ان يكون . الولد المثالي ، في نظر قدامى التربية ، هو الذي يتنازل عن كيانه ، فلا يحرص على ان تحترم شخصيته . وما ذلك الا لان المربين القدماء كانوا يضخمون كثيرا قيمة الطاعة . ويبالغون في مالها من قيمة اخلاقية . ان الراشد يذهب فورا الى الغاية . ويطلب تحقيقها ، دون ما التفات الى نفسية الولد . ولقد جرى معظم الاباء مع اولادهم على طريقة الزام الطفل اطاعة الاوامر حتما ... على طريقة الاذعان الصادر عن القهر ورغم الانف ... ولسان حالهم يقول : يجب على الولد ان يفعل ما نريد نحن ، وان يعتقد صدق ما نقوله نحن ، لا لشيء اخر الا لاننا قد امرناه ذلك . تلك هي السلطة المطلقة ، التي تقهر الطفل على الامتثال ، من اجل الامتثال .

ومن هنا كانت التربية ، في مرحلتها الاولى ، ممتزجة بالمنطق والاخلاق . كانت مواعظ ، وارشادات ، وحكما . كانت كلمتها الدائمة : افعل ولا تفعل . لا شك في ان العلماء تناولوا بالتفسير ، يومذاك ، الكثير من الحالات النفسية عند الولد . تساءلوا لم يفكر الطفل ؟ ولم يفصح عن ذاته بهذه الطريقة ، لا بتلك ؟ ولم يتصرف ، في هذه الحالة ، او في تلك ، بالطريقة الفلانية ؟ اجل لقد تساءلوا مثل هذه التساؤلات . ولكنهم عجزوا عن تبيان حقائق نفسية الطفل ... عن اجلاء غوامضه ، وحل المعقد في شبكته . ولهذا لم تنته التربية القديمة الى نتيجة فعالة . اما عيبها فعائد الى ان العلماء ، يومذاك ، لم يختبروا عقل الطفل الا بالمعايير التي يقاس بها الراشدون . على ضوء مقاييس الراشد ، اراد المربون القدماء ان يدركوا عقل الطفل . ونحن نعلم ان الراشد ذو عقل مكتمل ، ينظر الى الامور ، دفعة ، من زاوية المنطق والاخلاق .

ثم جاء القرن التاسع عشر . هنا حدث تغيير في تاريخ التربية . لقد تنبه المربون الى ضرورة عدم التدخل في شؤون الولد ، الا اذا تعرض للاخطار . ان الولد ذو زعامة لا يجوز لنا ان نحطمها ... ذو عالم خاص به ، ومسلك خاص به . لولايتنا عليه حدود يجب ان لا نتعداها ان التضييق على حريته يقتل فيه قوى العزيمة ، ويضعف زخم شخصيته ، ويميت ملكة الابداع . الخير الصالح هو الذي يفعل بملء الاختيار، لا رغم انف . هو الذي يصدر عن ارادة مرتاحة. هذا الخير، الذي ينبثق من حرية واختيار، يرفع قيمة الانسان. علينا، اذن، ان نبقى (نحن الراشدين) على هامش عالمه، متاهبين فقط ودائما الى تشجيعه وتقدير اعماله، لا بالنسبة الى ما نرتايه نحن ، ولكن بالنسبة الى الجهود التي يبذلها وفقا لمنطقه الخاص . وهذا يعني ان المربي يجب ان يكون رفيقا للولد، يوجه نشاطه بلباقة، ويكتشف الدنيا التي يعيش فيها، ليقف هكذا على اسلوبه. المربي هو الذي يدور في فلك الولد.

نفتح كتاب اميل ، لروسو ، فنقرأ ما معناه : وتريد الطبيعة ان يكون الاولاد اولادا ، قبل ان يكونوا رجالا . اذا اخللنا بهذا النظام ، اقتطفنا ثمرات خالية من النضج ، والطعم

فلا تعتم ان تفسد . وبذلك يكون لدينا اساتذة احداث واولاد شيوخ . للطفولة انماط من البصر ، والتفكير ، والشعور ، خاصة بها . ولا شيء اقل صوابا من ان نستبدل بها ما عندنا . اني افضل المطالبة بان يبلغ الولد من الطول خمس اقدام ، على ان يكون حصيفا في العاشرة من سنيه . وما نفع العقل له في هذه السن حقا ؟ ... عاملوا تلميذكم على حساب سنه ، وضعوه في مكانه منذ البداءة ، وامسكوه فيه جيدا ، كي لا يحاول الخروج منه . هنالك يمارس اهم الدروس قبل ان يعرف ما الحكمة . لا تلقوا اليه اي امر ، في اي شيء ، على الاطلاق . ينبغي ان لا يتمثل وجود زعم لكم بأي سلطان عليه . ليعلم ، فقط ، انه ضعيف وانكم اقوياء ... ان وضعه ووضعكم يوجبان وجوده تحت رحمتكم بحكم الضرورة . لا تلقوا عليه اي نوع من العقوبات ، وذلك لانه لا يعرف ما فعل الخطأ . ولا تحملوه على طلب العفو ، مطلقا ، لانه لا يعرف انه اساء . وبما انه خال من كل خلقية في افعاله ، فانه لا يستطيع ان يصنع ما هو سيء خلقيا ، فيستحق عقابا او عتابا (١) .

كلام روسو فاتحة عهد وخاتمة عهد. لقد ظن قدامى التربية ان مشكلة الولد هي مشكلة كمية ... ان الفرق بينه وبين الراشد هو فرق في الدرجة ... ان نمو عقله نتيجة اضافات من هنا ، وحذف من هناك ، فيستقيم الامر . هذه النظرة السكونية ، الساذجة ، للولد ... هذا التفكير الممزوج بالمنطق والاخلاق ، والذي يبين صحيحا لاول وهلة ... لم يعد ذا قيمة عند علماء النفس المحدثين . ان مربيا كبيرا كبياجه Piaget ، يرى اليوم ان نمو عقل الولد يرجع بالاساس الى اختلاف نوعي (اي في النوع) بين الولد والراشد .

القضية ليست قضية وجود عناصر اكثر عند الراشد وعناصر اقل عند الولد . ان تفكير الولد يختلف كل الاختلاف عن تفكير الراشد . هو نوع اخر من التفكير . هو نوع من الفكر تجاوزه الراشد ، وتركه خلفه . من اجل هذا يجب على المربي ان ينمي شخصية الولد ، وفقا للخصائص التي تكون قد وضعت فيه اصلا . ان الولد لا يشعر غير شعور ولد . لا يدرك غير ادارك ولد . ولا يتصرف غير تصرف ولد . ومن هنا قول بولس الرسول : « حينما كنت طفلا كنت اتكلم كطفل . وكنت افهم كطفل . وكنت افكر كطفل . ولكن لما صرت رجلا ابطلت امور الطفولة » (٢) . اجل اذا طلبنا من الاولاد ، وهم بعد اولاد ان يستبقوا سير التطور ، ليدركوا وهم اولاد ما ندركه نحن الراشدين ، ويفعلوا كما نفعل ، نكون على خطأ مبين في فهمنا لكيان الانسان . ان الولد لا يصير الرجل الذي يجب ان يصيره ، فيما بعد ، الا اذا كان اولا الولد الذي يجب ان يكونه ، بادىء بدء . فالذين يعتقدون بان الولد هو ولد لخلوه من النضج والرصانة ، يجهلون معنى التطور في الحياة . هذا التطور سير صاعد ، منتظم ، يتدرج من الادنى الى الاعلى. فمن اراد ان يدرك الاعلى ، دون المرور بالادنى ، اخفق في الاثنين معا. لا رجل الا و قد كان ولدا في البداية.

ماذا نستنتج من اقوال كهذه ؟ ان علم التربية لا يقوم بعد الان على غير اساس علم النفس La Psychologie ...

---

(١) راجع القسم الاول من كتاب Emile لجان جاك روسو .

(١) رسالة بولس الاول الى اهل كورنتيوس . الاصحاح ١٣

اي علم نفس الطفل . ولهذا لم تبزغ نهضة القرن التاسع عشر ، العامة في العلوم كلها ، حتى انعكف بعض علماء النفس ، وبعض المربين ، على الطفل لدراسته بطريقة امينة ، قوامها تسجيل الحوادث اليومية في حياته . وقد كان من السابقين لهذه الدراسة امثال بستالوزي Pestalozzi وجان جاك روسو Rousseau وغيرهما الذين نظروا الى التربية فرأوها ما زالت تنقصها التحسينات الكثيرة . هؤلاء هم الذين صمموا، بادىء بدء ، ادخال تلك التحسينات اللازمة. ولذا عمدوا الى الدراسات، التي تعزز الكشف عن حقائق نفسية الطفل، ويساعدهم على تطبيق المشروعات الموافقة

راوا ان المربي الحذق هو الذي يستكشف عقل الطفل ، اولا ، ويوجهه بعد ذلك بلطف ولباقة . وهكذا بدأت العلاقة تتوطد بين التربية وعلم النفس . فقد وعى المصلحون ، في التربية ، الاخطاء التي ارتكبها الاولون . وعوا ان للتربية قواعد نفسية يجب ان تعزز ، لتكون اصلاحاتهم في مأمن من النظريات الذاتية . ان ما اساء الى التربية ، في العصور الفائتة ، عدم ارتكازها على قواعد نفسية ... اي انجرافها خلف النظريات الهوائية . ولذا كان جلها يدور حول المربي ، او المعلم ، دون مراعاة بتة لنفسية الطفل . هذا ما تنبه اليه المصلحون التربويون ومن هنا تصميمهم الخطط اللازمة ، في سبيل ادخال التحسينات الواجبة .

ولكن هؤلاء المصلحين التربويين لم ينجوا من العثار في اخطاء السلف . لقد اصابوا عندما قالوا بان التربية يعوزها تركيز على قواعد نفسية ، وبذلك اقاموا لاول مرة العلاقة بين التربية وعلم النفس . ولكنهم ما عتموا ان انزلقوا في الشرك نفسه ، اذ التجأوا الى اصول نفسية هي من خلق واهمتهم ، وضعت خصيصا لتتفق مع ارائهم التربوية . فهناك فئة ، مثلا ، تعتقد ان كل شيء يصنعه خالق البرايا حسن اصلا ، ولكنه يفسد بين يدي الانسان في المجتمع. وهذا لا يعني ، اساسا ، الا الاعتقاد ببراءة الطفل الطبيعية . ومن هنا توجيهها التربية نحو الاعتقاد بتلك البراءة . وقد اعتقدت فئة اخرى عكس ذلك . اعتقدت بتأصل الخطيئة في الطبيعة البشرية. ومن هنا توجيهها التربية نحو هذا الاعتقاد . كانت النتيجة ان بانت مساوىء التأمل النظري . اذ لا يصعب اطلاقا على المرء ان يجد ما يرغب فيه . ان يجد ما يريده ان يكون . وبذا يعطي لنظريته السابقة ، الذاتية ، الحجج التي تدعمها وتعززها. متى اراد المرء شيئا ، تيسرت له الوقائع والامثلة التي تظهر انها في سبيل هذا الشيء . ان القلب يصبغ الامور بتلاوينه .

يبقى ان هؤلاء المصلحين ، في مطلع القرن التاسع عشر ، ذوو اياد بيضاء على التربية . يكفي انهم أعاروا الانتباه ، اولا ، للحالات الخاصة بطبيعة الطفل . لقد انطلقوا منه ، قبل كل شيء وفوق كل شيء . علموا ان الطفل هو غاية التربية . هو المدار الاول فيها . اجل ، لقد تحيزوا لارائهم الشخصية . ولكن هذا التحيز لم يستطع ان يحجب الحقائق الكبرى حجبا كاملا . هذه الحقائق (وان كانت لا تنسجم كل الانسجام مع ارائهم السابقة) برزت الى عالم النور . بانت جلية . وبذلك ساهموا في ايجاد علم نفس تربوي . هذا علم النفس التربوي ، الذي بدا يتكون منذ اوائل عصرنا ، ينظر الى تربية الطفل نظرة

محايدة . ان المربين المحدثين يتجردون عن كل محاولة تريد ان تعزز احدى النظريات السابقة . جل همهم ان يعرفوا جبلة الطفل ، في طبيعتها الاصلية . ومن هنا ازدياد عدد علماء المربين ، يوما بعد يوم ، واتجاههم نحو تبني طريقة جديدة تقوم على مجموعة من الاسئلة ، التي تكشف عن محتويات باطن الطفل . وقد ظهر على اثر ذلك ، نهضة قويةفي ايجادالاختباراتالمنظمة التي ساعدت ــ الى حد بعيد ــ على تركيز التربية بصورة ايجابية .

اذا اردنا ان نأخذ شاهدا على تشابك علم النفس بعلم التربية ، وجدنا في محاولة الفرد بينه Alfred Binet احسن مثل على ذلك . فقد تنبه المعلمون في باريس الى مشكلة تربوية خطيرة ، هي هذه : هل المتأخرون من الطلاب عاجزون عن التعلم ، ام انهم لا يرغبون فيه ، ام انهم يتعلمون باسلوب خاطىء ؟ وقد لجأ المشرفون على التعليم ، يومذاك أي في اوائل هذا القرن ، الى العالم النفسي الفرد بينه ، كي يجيب عن هذا السؤال . وصادف ان بينه كان منعكفا منذ اعوام ، على درس الحالات العقلية العليا . ولكن درسه ذلك لم يكن يتسم بغير طابع سيكولوجي محض . ثم جاءت المشكلة التربوية ، فكان مقياسه للذكاء .

يجب التنويه ، ههنا ، بانفصال علم النفس ــ في الوقت ذاته ــ عن الفلسفة التقليدية . لقد ثار علماء النفس ايضا ، على الفلسفة التقليدية التي كانت تصبغ دائما بالوانها كل محاولة لتفهم النفس البشرية . ولذا نرى علم النفس يتحرر من النظريات الاهوائية السابقة ، ليتجه نحو العلوم الايجابية : كالفيزياء ، والكيمياء ، والطب . وقد تجمعت حقائق نفسية كثيرة ، على اساس علمي ، تصلح اليوم للتطبيق المباشر في التربية ... نعني في العمل المدرسي . لهذا خطت التربية ، في ميدان علم النفس ، مسافات بعيدة ، حتى اصبح عالم النفس التربوي لا ينتظر النتائج التي يصل اليها علم النفس ، والتي يمكن ان يفيد منها لاغراضه التربوية . لقد صار عالم النفس يقتحم الجوانب النفسية ، بغية حل مشاكل تربوية . هو يطرق ابواب علم النفس كلها ، حين يشاء ، ويستخدم أيمنهجمن المناهج النفسية، ويعدل، ويغيرايضا، اذا تراءى له ان ذلك التصرف يفي بغرضه الخاص، ويوصله الىنتائجتربويةصالحة.

لنضرب مثلا على ما لاسانيد علم النفس من علاقة بالتربية . وهو (اي المثل) ماخوذ من حادثة جرت لالفرد بينه مع فتاة كانت قريبة منه (1) . هذه الحادثة تدور على تمرين الذاكرة . اسم الفتاة ماتيلد ، في العشرين من العمر ، تدرس الغناء منذ عدة سنوات . وقد احبت كثيرا هذا الفن ، ودرسته بشغف ولذة وسرور . لكنها لم تتوصل الى نتيجة مرضية ، على الرغم من ان صوتها لا باس به . والنقص الذي كان يعيقها من التقدم ، في الغناء هو انها لم تستطع بعد تلك المدة الطويلة ان تحفظ لحنا واحدا عن ظهر قلبها . لهذا لم تكن قديرة على الانشاد ، الا اذا ضرب امامها نغم الانشودة ، او اذا ساعدها الاستاذ باعطائها الطبقة . وكان استاذ ماتيلد سيدة ، تجهل تماما نواميس علم النفس . ومن هنا خطاها التربوي في الحكم على تلميذتها . قالت لها ماتيلد ، يوما ، بانه يعوزها شيء من الذاكرة الموسيقية . اجابت الاستاذة : « اذا لم يكن لديك الذاكرة الوافية ، فان ذلك يدل على انك لست بموسيقية . ونحن عاجزون ان نفعل شيئا ، وانت على هذه الحال ، بل ينبغي لك ان تتركي الموسيقى » .

هذا الحكم الخاطىء ، من الاستاذة ، كاد يودي بماتيلد كاد يخلق في وجدانها عقدة نفسية ، ويثبط عزيمتها . ثم التقاها بينه ، فوجد انها فتاة ذكية ، ذات ذاكرة قوية ، لا عيب فيها اطلاقا ، بدليل مقدرتها على حفظ ما كان يحدث لها في حياتها اليومية . تحفظ الشعر ، والامثال ، والكثير من صفحات الاداب الخالدة . كيف اذن اصابها ضعف الذاكرة ، في اللحن الموسيقي ، وهي منكبة على درسه منذ سنين . اليس عجيبا حقا ان تكون ذاكرتها قوية في كل النواحي ما عدا الموسيقى ؟ هل هذه الفتاة خالية من ذاكرة موسيقية ؟ تلك هي الاسئلة ، التي طرحها بينه على نفسه ، وراح يبحث في الاجابة عنها . وقد طلب من ماتيلد ان تذكر له القطع ، التي تدرسها ، والتي تقدمها لها استاذتها بغية حفظها . فوجد انها اعطيت لحن (فالون) Le Vallon للموسيقي (غونود)، وهي ما زالت تدرس فيه منذ ستة اشهر ، دون ان تتمكن من حفظه عن ظهر قلبها . واخذ بينه يحلل حادثة ماتيلد ، حتى عثر على مكمن الخطأ.

الخطأ هو في الاستاذة المربية ، لا في ماتيلد ، التي ظن ان ليس لديها شيء من الذاكرة الموسيقية . يقول بينه بان القطع الموسيقية ليست على درجة واحدة من الصعوبة منها الصعب ، ومنها السهل ، ومنها ما كان هذا وذاك . ولتمرين الذاكرة قاعدة نفسية معينة ، ونهج واضح لا يتغير هذه القاعدة يجب ان نعرفها ، اذا كنا نريد ان نحصل على البلاغ ، والا بقيت جهودنا بدون منفعة . هذه القاعدة النفسية للذاكرة تقول بانه يجب البدء بالسهل ، ثم التدرج الى الصعب ، فالاصعب شيئا فشيئا . وقد بدات ماتيلد بالصعب فورا ، وكان ينبغي ان تعطى اولا القطع السهلة جدا ، ثم تزيد شيئا فشيئا في حفظ القطع الصعبة وبذلك تدرك ماتيلد غايتها بكل سرور ، فلا تتهم ذاكرتها بانها ضعيفة . وقد اتى الفرد بينه بهذه الحادثة ليدلل على اهمية معرفة القواعد النفسية في اعمال التدريب التربوي . ان لتمرين الذاكرة طريقة نفسية ، اذا اتبعنا غيرها ، فقدنا ما لدينا من ذاكرة وابتعدنا عن الهدف المنشود بدلا من ان نقترب اليه . ان جهلنا لناموسية الحالات النفسية هي التي تضلنا السبيل القويم ، في ميادين التربية ، وهي التي تجعلنا نطلق احكاما خاطئة على تلاميذ ليسوا اصلا من فاقدي الاهلية .

لم تكتف التربية باسانيد علم النفس . لقد تبنت اسانيد تحليل النفس La Psychanalyse التي فتحت امامها افاقا جديدة واسعة . فنحن نعرف اليوم ان اللطيفةالبشرية تتالف من ذات واعية وذات لا واعية . الذات الواعية هي المنطقة الواضحة ، الامامية ، المعلومة ، في مدى الوجدان . هي شمس هذا الوجدان . وهي التي وقف عندها علم النفس ، مدة طويلة ، وعلل جميع مظاهرها على اساسها. ولكن الباحثين رأوا ، في اواخر القرن الماضي ، عن طريق الطبابة النفسية ، ان ثمة ذاتا لا واعية . هذه الذات اللاواعية هي المنطقة الغامضة ، الخلفية ، المجهولة ، في مدى الوجدان . هي قمر هذا الوجدان . وهي التي يقف عندها

(1) راجع Alfred Binet في كتابه Les Idées modernes sur les Enfants ص ٢٢٢ الناشر Flammarion ١٩٤٩

علم تحليل النفس ، في وقتنا الحاضر ، ويحاول ان يعلل اكثر مظاهرنا الواعية على اساس الذات اللاواعيه .

الواقع ان النفس البشرية تحتوي على طبقات عميقة. هي اعمق اعماقها ، التي لا تدركها الذات الواعية . وقد ذهب البعض الى ان تلك الذات الواعية (الانا) امتداد للذات اللاواعيه (الانا العليا) ... تبلورها ... تستمد منها لفظها المحرك ، الذي يحدو على العمل . قد يكون ، في هذا القول ، بعض المغالاة . المهم ، ان الذات الواعيه كثيرا ما تنشأ عن نزعات لا واعية نزعات تمتد شروشها، في بعيد الماضي ، حتى تتناول الوراثة . هذه النزعات الوراثية ، اللاواعية فينا ، يجب علينا ان ندركها ... ان نفهمها تمام الفهم ، لنتمكن من الوصول الى التقويم . لا سبيل بغير ذلك الى اصلاح المعوج في عاداتنا . هناك دوافع اساسيه ، في سلوكنا ، تعود باسبابها اما الى الطفولة المبكرة ، واما الى ما وراء خط هذه الطفولة ... الى انحدارها بالوراثة من اقصى الماضيات .

اجل من الخطأ الاعتقاد ان التربية تبدأ من ذلك الجزء الواضح الذي يدركه الانسان من حياته اي الجزء الواعي. ان مثل هذا الاعتقاد يجعلنا نقلل كثيرا من اهميه السنوات الاولى ، في حياة الانسان ، التي تبقى غالبا محاطة بالابهام.

كثيرا ما ياتي الولد الى المدرسة ، مزودا طرازا من التصرف هو امتداد لما يكون عند اهله في البيت . ياتي وله طريقة خاصة . وله مجموعة من الصفات لهذا نرى العدد العديد من المعلمين يشكون من انهم قلما يتناولون الاطفال خاما . هم ليسوا صحائف بيضاء لقد خطت على تلك الصحائف بعض الاسطر . ومن هنا الصعوبة في تعويدهم ان يسلكوا اتجاها معينا . ذلك لانهم يكونون قد عاشوا في جو مغاير من المرح ، او اللعب ، او الحزن ، او اللامبالاة او الحرمان ، قبل مجيئهم الى المدرسة . الحق ان هؤلاء الاطفال ليسوا اطفالا . لم يعودوا اطفالا . لقد اصبحوا رجالا مهيئين ، او معدين .

ان كتب تحليل النفس كلها تشدد على ما للمنطقة اللاواعية من اهمية كبيرة في توجيه تصرفاتنا اليومية . هذه المنطقة اللاواعية جهلها علم النفس التقليدي ، وجهلتها الفلسفة التقليدية ايضا ، ولم يكن لها اثر يذكر في المعارف الانسانية . ثم جاء عصرنا الحالي ، وكشف بطبه النفسي عن تلك المطاوي المخبوءة في الاعاميق . التي تكوّن قاعدة حياتنا كلها . هذه المطاوي كثيرا ما نجهلها . وكثيرا ما تكون سبب اصابات مرضية ، اذا لم نحسن مواجهتها بتربية سليمة قوية ، في ما يعتري طريق حياتنا من ظروف قاهرة وملمات غامضة .

يقول سيجمند فرويد بان الخبرة التي اكتسبناها من تحليل النفس ، زادت في معرفتنا للكثير من قضايانا التربوية فهو (اي التحليل للنفس) الذي اقنعنا بصحة الراي الشائع ا نالطفل اب الانسان الراشد . وهو الذي ارانا ما لحوادث الاعوام الاولى من اهمية عظمى بالنسبة لحياتنا كلها (١) . وقد ذكرت ابنته آنا فرويد ، في بعض محاضراتها ، عددا كبيرا من الامثلة التي ترمي اضواء وافية على علاقة التحليل النفسي بالتربية (٢) . ذكرت عدة امثلة نورد بعضها .

عرفت ولدا كان مغرما ، في سنواته الاولى ، غراما شديدا بكل ما هو حلوى . وقد جنح به هذا الغرام للحلوى حتى عجز اخيرا عن اشباع شهوته بالطرق اللائقة المشروعة. لهذا اجبر على ان يلتجيء الى مختلف الاساليب والحيل ، كي يحصل على الحلوى . كان يتخذ اي سبيل غير شرعي، كي يدرك المزيد منها . ثم اضطر اهله ان يلجاوا الى التربية ، ليوقفوه عن شهوته ، فحرم اخيرا اكل الحلوى . وترعرع الطفل ، وشب ، حتى اصبح راشدا . وقد تمكن من ان يملك مالا كثيرا ، ومن ان يبتاع بحرية اكبر . صار بمقدوره الان ان يشتري جميع الحلوى من اي دكان . ولكن لم يستطع ، رغم كل ذلك ، ان ياكل قطعة واحدة من الحلوى ، دون ان يحمر وجهه احمرارا زائدا . لا عجب ، والحالة هذه ، اذا استنتج الناظر اليه انه ياتي عملا غير مشروع ... انه يقوم بسلوك حرام . كانما به ياكل حلوى قد ابتيعت بمال مسروق . ذلك التحريم ، الذي فرض عليه في طفولته الاولى ، ما زال يفعل فعله في جوانبه . ان مربيا ، يجهل هذا الحدث ، يضل سبيل التقويم . ينحرف عن كيفيه تربيته بصورة مجدية .

حكاية ثانية . ولد احب امه حبا شديدا . واتجهت كل رغباته نحو ان يملأ المكان الذي كان يشغله ابوه ... نحو ان يكون موضع تفتها ، والمدافع عنها . وقد عرف الولد انه يطلب المحال . ان والده هو صاحب الحق الشرعي. وهو قادر على ان يبعده عن امه ، ساعة يشاء ، وكيف يشاء . انه ضعيف حيال ابيه ، عاجز ازاءه . ولهذا كان يقاسي آلاما مستمرة ، اوجدت فيه الخوف من قوة ابيه . ثم ترعرع الولد ، وشب ، حتى اصبح شابا . وصار من الطبيعي ان يحن الى معاشرة الفتيات . لكن كان يظهر جبنا وترددا مزعجين ، موجعين ، في كل مرة يتعرف بها الى فتاة . هذا الخوف الشاق منعه من الارتياح في حضرة الفتاة . وكم جعل مركزه محرجا ، لا يطاق ، اذا ما وجد نفسه ازاء شابة . وليس صعبا ان ندرك سبب هذا الجبن ... علة هذا التردد . فقد كان يخشى ان ياتي احد الناس ، ويعلن حقه الشرعي على الفتاة ، فيقول بانها تخصه . ولذا كان يتحاشى كثيرا هذا الموقف المحرج ، الذي استنفد قسطا كبيرا من طاقته النفسية ، وتفكيره العقلي، ليخلق الاعذار . اية اعذار ؟ تلك التي تمكنه من ان يبرر وجوده في المنزل .

لقد كان تحليل النفس اول علم واجه تلك العقد النفسية ، وحاول ان يعالجها ، كي نصل به الى معرفة الكثير من تصرفاتنا في الحياة اليومية . ولا يمكن ، اليوم ، اهمال هذه النواحي من الطفولة المبكرة . اذ بها نستنير ، ونسترشد ، بغية الوصول الى تربية صحيحة . بدون التحليل النفسي ، يعسر جدا وضع الاصبع على الامراض، التي يعانيها الاولاد الراشدون . ومن هنا الاثر الكبير الذي احدثه تحليل النفس في ميادين التربية الحديثة .

كثيرا ، بل دائما ، ما نهون خطر الطفولة في البيت . نترك الطفل ، هنا ، يحاط باتعس الظروف . نتركه عرضة

كمال يوسف الحاج

[التتمة في صفحة ٧٥]

(١) راجع كتاب Sigmund Freud تحت العنوان الفرنسي Abrégé de Psychanalyse الفصل السابع الناشر Presses Universitaires de France

(٢) راجع كتاب Anna Freud تحت العنوان الفرنسي Le Traitement Psychanalytique des Enfants المحاضرة الاخيرة للناشر

قطاع الطريق

○

« لا تقسمي »
وتثاءب الماضي السحيق
والليل والافيون والماضي السحيق
في حانة الموتى وقطاع الطريق
كنا نعيد حكاية بلهاء عن صبح رقيق ،
عن حبنا ،
كنا نعيد ولا نطيق
ان تسكت الاصوات والدم والرحيق
في حانة المرضى ،
نعيد حكاية الماضي العتيق
وتمر اشباح تجر وراءها سحبا تموت وتستفيق
سحبا من الافيون والدم والعروق
تنأى وتنأى كالصدى بعد الشهيق
وأنا اعيد لها حكاياتي ، اعيد ولا اطيق
صمتي واصوات الحيارى في الطريق

« لا تقسمي »
ومضغت قلبي في فمي
« أخشاكِ ، أخشى ان يفور تأثمي
ويموت فيكِ توهمي
فتثور في نبضي اساطير الزمان المعدم
وتدق الاف المعاول في دمي »
وحجبت عن عيني ضباب التبغ والمرضى ،
وليل تأثمي ،
فلمحت ما أبقت لي الامراض من حب سخي ملهم
وحبست قلبي في دمي ،
ودفعت نفسي في الطريق المظلم ،
اعدو مع المرضى وقطاع الطريق المظلم

فؤاد رفقه

في كل بيت اسطورة

بقلم موسى سليمان

*

لم تتنكر الحضارة الغربية للاساطير فتقف منها موقف الخوف والحذر ، او تعمل على طمسها ومحوها من عالم الفكر والعلم والادب ، بل نراها ، على العكس ، تنبش هذه الحكايات الغريبة من مخبآتها فتجند، في سبيل ذلك ، جيشا عرمرما من العلماء المتخصصين ، ينقبون في بطون الارض ، مفتشين عن اي اثر من الاثار القديمة ، يستنطقونه اخبار الاولين ، وسير مدنياتهم ، وروح معتقداتهم .

ولقداستطاع هؤلاء العلماءبما بذلوه من جهود جبارة، في الحفريات والتنقيبات التي قاموا بها ، منذ اكثر من مئة عام ، وما يزالون ، ان يغيروا مجرى التاريخ بما اكتشفوه في مختلف المدن والبلدان التي عمرت بالشعوب القديمة وتمتعت بالحضارات الشرقية .

ولم يكتف عالم الغرب ، العالم المتمدن ، بالقيام بدور الباحث المنقب عن اصل هذه المدنيات وجذور الاديان القديمة ، بل رايناه ، راينا هذا العالم بعلمائه وادبائه وشعرائه ومفكريه يقبل على الاسطورة اقبال الظمآن على حبة الماء يرتشف من معينها ، ويغذي روحه وخياله من روعتها ، ثم هو يشرح الدين والتاريخ على اساسها ويقرض الشعر الجميل من وحيها ، كما استطاع ان يستوحيها روائع من الفن خالدات ، ما زالت تعمر بها متاحف اوربا واميركا وتزدهي . وسأقتصر في مقالي هذا ، على مظهر واحد للاساطير ، هو اثرها العملي الذي ما زال ظاهرا في جميع مناحي حياتنا الاجتماعية ، يعيش معنا حتى اليوم ، واكثرنا لا يدري انه متحدر الينا من الاساطير . وسيجري البحث في الحكايات التي رويت عن آلهة اليونان والرومان دون غيرهم من الالهة .

ولنبدأ باسماء النجوم والكواكب ، السيارة منها والثابتة ، تلك التي يعج بها هذا الفلك الدوار ... من اين اشتقت اسماؤها ؟ وكيف توصل العلماء الى تسميتها ؟

ما هي زيتا وايتا وامكرون ، والكلب الاكبر ، والكلب الاصغر ؟ ولماذا دعيت بالعذارى الخمس او بابسلون ؟ من اين جئنا بالدب الاكبر والدب الاصغر ، ومئات الاسماء لمئات الكواكب اللامعة في كبد السماء ؟ امثال : بنات نعش الكبرى ، والثريا ، وعقد الثريا ؟ والسماك الرامح ، والسماك الاعزل ؟ والشعرى اليمانية والشعرى الشامية ؟ والتنين، والدلفين ، والمجرة وعطارد ، وقنطورس وقيفاوس ، وقيطس (او سبع البحر) وقد اطلقت اعضاء جسده على الكثير من النجوم فقيل : منخر قيطس ، وذنب قيطس ، وكف قيطس ، وبطنه .. الخ الخ .

ما اصل الزهرة ويونون ؟ والمشترى والمريخ والجبار؟ والطاووس والشاهين ، والعقاب ، والحمل او الكبش ، والحوت والثور وغيرها من اسماء الحيوانات والطيور التي سميت بها الكواكب ؟ ولم سميت بها وكيف ؟

لو جئنا نجيب عن بعض هذه الاسئلة بالتفصيل لاستغرق البحث معنا الصفحات ولكنني ساكتفي بعرض بعض الالهة في اساطير اليونان والرومان ، محاولا ان اذكر بعض ما تركته الحكايات التي وصلتنا عنهم وعن حيواتهم من أثر في العلوم والفنون والشعر والادب .

ولنأخذ جوبيتر ملك الالهة . فالتاريخ اليوناني يروي لنا ان الالعاب الاولمبية التي ما يزال العالم المتمدن يشترك في احيائها كل اربع سنوات مرة ، هي من وضع الاغريق القدامى ، كانوا يقيمونها تكريما لجوبيتر العظيم ليؤدوا ما لهذا الاله من دين وفضل عليهم . ولقد بدأت الالعاب الاولمبية عام ٧٧٦ ق.م وكانت تزداد اهمية على ممر الزمن وكر الاعوام . ولم تكن تلك الحفلات معرضا لاجمل الاجساد الرياضية العالمية فحسب ، بل كانت تفسح المجال امام كبار العباقرة من موسيقيين وادباء ، ونحاتين ومصورين ليعرضوا نتاجهم الفني امام الجماهير . اما العالم الحديث فلم يرث عن اليونان من حفلاتهم الاولمبية سوى وجهها الرياضي

والمقول ان قارة اوربا قد اكتسبت اسمها من فتاة فينيقية كانت تعيش على شواطىء بلادنا اسمها اوربا . راى جوبيتر هذه الفتاة العذراء الجميلة تلعب مع لداتها على الشاطيء فأعجب بها واستهواه جمالها واراد ان يخطفها فأحتال ، لذلك ، بان حول نفسه الى ثور ابيض . ثم اخذ يغريها على امتطاء ظهره . وما ان صعدت العذراء الجميلة على ظهر الثور الابيض حتى طار بها ، يقطع الفيافي والاودية متنقلا من عالم الى عالم ، ومن قارة الى قارة ، الى ان حط على الارض . فدعا الارض تلك باسم اوربا تكريما للعذراء ورفعا لشأنها !...

اما اسم الاله جوبيتر ، وهو زاووس باليونانية ، وهرمز بالفارسية ، فلقد اطلق على اكبر سيارات النظام الشمسي . وسماه العرب المشتري . وكان المنجمون يتفاءلون به فدعوه : السعد الاكبر .

ومن الطريف ان نذكر ان جوبيتر ، وهو من هو من العظمة والجلال ، الاله الاكبر ، وملك الالهة ، وسيد الاولمب ، جوبتر العظيم هذا ... يحب الجنس البشري ، ويميل قلبه الى هوى الجميلات من بني الناس . فلقد هام حبا بامرأة من اجمل نساء دهرها تدعى كليستو Callisto فغضبت من هذا الحب يونون Junon زوجة الاله جوبتر واخته . فما كان منها ، ارواء لغضبها ، ونكاية بزوجها ، الا ان حولت كليستو الى دبة . فراحت هذه الدبة المسكينة تتيه في الاحراج والغابات من مكان الى مكان الى ان وقعت عليها عين ارغاس Argus ابنها الصياد الماهر . فاراد ان يصطادها ، لانه لم يعرفها ، ولكن جوبتر ، وهو الاله العاشق ، كان يسهر على كليستو بعين عنايته ، فلم يسمح بهذه الجريمة الشنعاء فرفع بقدرته الابن وامه الى ... السماء ! فكان لنا هناك مجموعتان جميلتان من الكواكب السيارة هما : الدب الاكبر والدب الاصغر .

ولجوبتر حكاية اخرى عن حبه وعشقه العذارى من بنات هذه الارض . قيل ان كبير الالهة شغف بصبية حسناء تدعى يو Io . وكان من الطبيعي ان يثير هذا الحب غيرة يونون زوجة جوبتر واخته . فما كان منها وهي الزوجة الغيرى الا ان حولت العذراء المسكينة الى بقرة بيضاء ، ووضعت عليها حارسا يقظا يحرسها خوفا من ان تهرب فتجتمع بجوبتر. وكان هذا الحارس ، واسمه ارغاس Argus مخلوقا عجيبا له مئة عين يستطيع ان يرى بها ما لا يرى . فقام بحراسة الصبية خير قيام ، ولم تستطع يو المسكينة ان تتفلت من نظراته الحادة الصارمة، الا بمساعدة الاله عطارد Mercure الذي رق لحالها واحتال على ارغاس فاخذ يخرفه بالف خرافة وخرافة حتى اخذت عيون الحارس الحادة تنغلق الواحدة تلو الاخرى . فاستسلم في نوم عميق مما سهل قتله وخلاص يو الحسناء منه . اما يونون زوجة جوبتر واخته فتعتبر ملكة السماء وحامية الزواج . ولقد اطلق اسمها على سيار صغير يقع بين المريخ والمشتري كما اطلق اسم الحسناء يو التي احبها جوبتر ، على النجم الذي يتوسط مجموعة النجوم السائرة وراء المشتري .

وظهر اثر هذه الاسطورة في اللغات الاجنبية فقالوا : (ارغاس ايز Argus Eyes) اي عيون حادة البصر ، شديدة التيقظ . وقالوا : فلان (ارغاس ايد Argus Eyed) اي يقظ حاد النظر .

وليونون زوجة جوبتر اثرها في الاداب والفنون . فهي تظهر دائما بصورة سيدة جليلة محترمة ، تتدثر بثوب طويل وتحمل ، في اكثر الاحيان ، صولجانا ، رمزا لسلطانها كملكة . ويرى غالبا بجانبها الطاووس ، وهو طائرها المفضل . اما لماذا يحمل الطاووس عشرات العيون على ذنبه فذلك يرجع الى النادرة التالية : عندما قتل ارغاس ، وهو يحمل مئة عين كما راينا ، لم تجد يونون ، مكافاة للطاووس الجميل ، افضل من ان تجمع هذه العيون الحادة الكثيرة ، وتزين بها ذنب طائرها الحبيب !...

والاطرف من هذا وذاك ان يطلق الاميركيون اليوم ، في القرن العشرين كلمة ارغاس Argus ، وقد مر معنا معناها الاسطوري ، على آلة للتصوير هي من احسن وافضل الالات الفوتوغرافية الحديثة . ولقد اتيح لي ان ازور معملا لهذه الالات في مدينة اوماها نبراسكا في الولايات المتحدة . ولا شك في ان القارىء يلاحظ العلاقة الوثيقة بين حدة النظر ، وقوة العيون الاسطورية عند ارغاس الاسطورة ، وبين آلة فوتوغرافية حديثة ارادها مخترعها بمئة عين وعين ، ترى كل شيء ... وتلتقط كل شيء ... وتسجل كل شيء ...

فتامل ...

الجامعة الامريكية بيروت **موسى سليمان**

ل. هـ. ب. روبرتسون

استاذ الفيزياء الرياضية في معهد كاليفورنيا

طبيعة الكائنات : الكون

ترجمه ووضع حواشيه وعلق عليه

يوسف اسعد داغر

○

من ادق القضايا واشقها (*) على العقل والعلم معا ، ومن اشملها على الاطلاق ، القضية التي تتعلق بمركز ارضنا من الكون وبمحلها من الاعراب في هذا الوجود المعقد الغامض ، وهي قضايا وقف حيالها العقل لا يبدي ولا يعيد ، ووقف منها العلم موقف الاعشى في رابعة النهار يتلمس طريقه تلمسا . وقبل ان يتمكن الانسان من تبيين هذه المشاكل والتعبير عنها ، وقبل ان يتمكن من تحييز نفسه كمية متميزة عن العالم الذي يعيش فيه ومن هتك حجب اسراره وتحديد ما يشده به من روابط واواصر عليه ان يمد نفسه بصورة ما او بنظرية تقرب شيئا من مفهوم الكون الذي هو منه واليه ويتيه في فضائه . عليه ، وفقا للمصطلح العلمي الذي نحته تنظيما منه لافكاره ونظرياته ، ان ينشىء له مخططا لهذا الكون الذي يعيش فيه يعرف ب « الكوسمولوجيا » . وقد يجمح به الخاطر الشرود ، فيطوح به الى ابعد من وصف خارجي لهذا الكون الذي يعيش ضمنه فينصرف للتجريد، دارسا منه طبيعته ، وغاياته ، واصله وفصله ، ونشأته ، كل هذا وفقا لما اصطلح على تسميته ب « علم الكون » او الاونتولوجيا ، والتليولوجيا او مطلب الغاية «الكوسموغونيا» او نشأة الكون .

ان النظريات العلمية حول الكون هذه النظريات التي ابتدعها الانسان عبر التاريخ مرضاة لفضوله العلمي ، تتسم بطبيعة البيئة التي اكتنفته ، او جاءت استجابة لما يجيش به من مطامع ومصالح ، او يتحسس به من عقائد ، هي صدى

(*) ابتداء من هذا العدد ، توالي « الاديب » نشر سلسلة من الابحاث العلمية بعنوان : « منازع العلم الحديث » تتالف من اثني عشر بحثا ، لمثل هذا العدد من مشاهير العلماء في العالم ، يبدون فيها ، كل في حقل اختصاصه ، وجهة نظرهم حول معطيات العلم الحديث ومنازعه في المستقبل الطالع . وقد استعرضوا في ابحاثهم هذه طبيعة الكائنات في هذا الوجود ، وخصائص المادة ، والحياة واسرارها ، والانسان وسر وجوده ، ومشكلات العقل البشري لتنظيم معارفه وضبط نشاطه

للمعتقدات التي سادت مجتمعه البشري في الزمان والمكان المحددين . وهكذا لا بد لمن ينعم النظر في هذه الامور الا ان يتبين لدى بعض الشعوب القديمة في الهند « كوسمولوجيا » بدائية ، مقوماتها تبدي صور الاشياء والافكار العادية التي يعيشها الانسان كل يوم من ايامه ، فتبرز الارض ، من خلال الكوسمولوجيا الهندية كأنها طبق من ورق الشاي محمول على ظهر ثلاثة فيلة واقفة معا على ظهر سلحفاة جبارة . اما نظرة الهنود القدامى للكون ونشوئه ، فلا يبدو انها بلغت عندهم اي اهتمام للتساؤل من أين جاءت السلحفاة التي تنهض بالطبق المذكور هذا في الهند ، اما الاغريق القدماء الذين تأثروا الى حد بعيد بنظرية ارسطو الذي يتمثل كمال الصورة في الشكل الكروي او الدائرة ، فقد رسموا الارض وصوروها على شكل دائرة تامة يحيط بها القمر والشمس والكواكب السيارة وكلها دائر حول الارض راسما دائرة غاية في الاتقان . وهذا النظام الارضي الذي توهموه افرغوه ضمن كرة سماوية ، فرش اديمها بالنجوم الثوابت التي تدور يوميا حول الارض : مركزها الاساسي وقطبها الاكبر .

ان نظرياتنا الحديثة عن الكون ، موضوع بحثنا هنا ، ليست هي الاخرى سوى حصيلة او مرآة لهذا العهد الذي نعيش فيه ، وهو عهد جعل من التطور العلمي عقيدة لها من الرسوخ رسوخ العقائد الدينية ، وهي عقيدة تسربت الى كل منحى من مناحي الحياة . ولما كنت اود ان اشدد هنا على هذه النظريات التي تقع ضمن نطاق العلم ، فساقتصر في بحثي على « الكوسمولوجيا » وحدها دون ان استطرد الى هذه المباحث الفلسفية التي تتعلق بطبيعة هذا الكون ، والغاية منه ، واصله ونشأته مما سبق واشرنا اليه لماما في ما تقدم . ساعني باقتضاب ، بهذه النظريات العلمية التي كوناها حول هذا الوجود ، وهي نظريات واراء استقامت لنا بفضل ما اقمنا تباعا ، من فرضيات وحدسيات وتجارب ، عندما اخذنا نحملق في القبة الزرقاء نستشف منها اسرارها الخفية ، مستعينين على ذلك ، بما من دهاء في الآلات والاجهزة التكنية ، كالمرقب ، والمطياف (مقياس الطيف) فمكنتنا من هتك اسرار الطبيعة والكشف عن نواميسها وتفهمها ، وتنسيق ما يبدو لنا من اسرار هذه الابعاد السحيقة ، وفقا للنواميس التي مكننا من وضعها

واستثمار ما فيه من قوى عليا عاقلة .

ويقوم باعداد هذه الابحاث وبابرازها بحلة عربية قشيبة الاستاذ يوسف اسعد داغر من اسرة الاديب ، الذي برهن فيما نشرناه له في الحقل العلمي ، على ان ثقافته العلمية لا تنقص بشيء عن ثقافته الادبية والتاريخية ، وعما عرف عنه من طاقات واختصاص في علم المكاتب والببليوغرافيا اللذين برز فيهما اخصائيا كبيرا له وزنه وشانه في الاوساط العلمية .

(١) يقطع النور المسافة بين الشمس والارض في ثمان دقائق مع العلم انه يقطع ٣٠٠،٠٠٠ كيلو متر في ثانية واحدة .

(٢) نيقولا كوبرنيكوس ، راهب بولوني وعالم من علماء الفلك . هو اول من قال وعلم ان الشمس وليس الارض ، هي قلب نظامنا الشمسي ، فكان

الارصاد العلمية والاختبارات الضيقة النطاق التي قمنا بها على هذه الارض .

والاشياء التي ساعني بالبحث عنها والتكلم فيها ، هي التي تمت بصلة الى ارضنا هذه والى رفيقاتها او رصيفاتها في نظامنا الشمسي ، على ان اتخذ منها ثكاة للعبور الى النجوم التي يتالف منها جهاز مجرتنا ، حيث نمر بالشمس مرورنا بالطيف ازاء الوف الملايين من النجوم التي تتكون منها المجرة . واخيرا لا بد لي من ان انظر معكم بعين الفكر والخيال فقط ، خلال مشارف الفضاء البعيد السحيق لنصل معا الى قبضة من العوالم ، الى هذه السدم الجبارة ، وبينها عدد كبير يشبه مجرتنا من حيث الحجم والتركيب ، يصلها بعضا عن بعض ، افضاء وامداء شاسعة، بحيث يقتضي للنور المنطلق من احدها الى الاخر ، ملايين من السنين الضوئية (١)

جعل الانسان ، خلال الاحقاب التاريخية السحيقة التي تعاقبت عليه ، من هذه الكرة الارضية التي يعيش فوقها والتي تبدو له منبسطة مسطحة ، قلب الكون ودائرة قطبه.

فجاء كوبرنيكوس (٢) ، منذ نحو اربعمائة سنة ، يعلم عكس ما استقر في اذهان الناس من ثبوت الارض ودوران الشمس حولها ، فأحدث في علم الفلك ثورة قلبت المتعارف منه ظهرا لبطن ، ورأسا على عقب ، اذ نقل مركز القلب في عالمنا من الارض الى الشمس وجعل من الاخيرة القطب الذي يدور حوله نظامنا الشمسي . وهذا التطور في النظرية العلمية لم يكن له بحد ذاته من الخطر والشأن بقدر ما كان للنتائج التي ترتبت عليه ، اذ انه افضى عن طريق الارصاد والتسجيلات العلمية المتتالية التي قام بها تباعا تيشو براهي (٤) (١٥٤٦ – ١٦٠١) Tycho Brahe وكبلر (٤) (١٥٧١ – ١٦٣٠) Kepler وغاليلو (٥) (١٥٦٤ – ١٦٤١) Galilée الى فجر العلم الحديث وما اليه من مبادىء الميكانيكيات ، ونظريته الجاذبية التي طلع علينا بها اسحق نيوتن (١٦٤٢ – ١٧٢٧) Isaac Newton وهكذا استطاع الانسان منذ وجوده على الغبراء ، ان يتبين بنجاح مطرد ، حركات النجوم والاجرام السماوية الرتيبة، وهذه الدوائر المدهشة التي ترسمها في دورانها وفقا لنواميس الطبيعة ، وهي نواميس تضبط النجوم في حركاتها وسكناتها ومطافاتها كما تضبط تساقط حبات التفاح الصغيرة من اغصان الشجرة ، سواء بسواء ومثلا

بذلك الواضع الاول لعلم الفلك الحديث .

(٣) تيشو براهي – عالم دانيماركي الاصل ، قام برصد الفلك في مرصد له انشأه في احدى جزر السوند (١٥٧٦) ثم جاء دولة بوهيميا وعمل فيها في الدراسات الفلكية ووضع الزيج والارصاد بمعاونة كبلر ادى نشاطه الى اكتشاف عدة نجوم ، وحدد مواقعها بعضا من بعض ومواقعها من السيارات الاخرى .

(٤) كبلر – احد علماء الفلك من الالمان ومن اشهر واضعي علم الفلك الحديث ، تأثر بتعاليم كوبرنيكوس وعمل برفقة تيشو براهي في مرصد يقع على مقربة من براغ ، ثم خلفه في ادارة المرصد المذكور

بمثل من الدقة والضبط .

وكان من جراء تطبيق مفعول النواميس الطبيعية المسجلة في عالمنا الارضي ، على العالم السماوي ، ان فقدت الشمس بدورها ، كما فقدت الارض من قبل ، ادعاءها احتلال قطب الدائرة في العالم . فقد قام ، حتى في القرن السادس عشر ، اناس امثال توماس دغز (٦) Digges ١٥٩٥ + ، وجيوردانو برونو (٧) Giordano Bruno (١٥٤٨ — ١٦٠٠) ، وغيرهما استشفوا وجود كون لا حد له ينتظم سلكه عدد من النجوم تتاثرت في الكون على انساب تزيد او تنقص من التساوق المطرد ، وهي نجوم تصطحبها اجرام واقمار اصغر حجما منها بالطبع كما هي حالة الارض تماما وغيرها من الكواكب السيارة التي حلت محلا مرموقا من الكوسمو لوجيات التي ابتدعها الناس قديما . ولكن هذه الصورة التي رسمها الاقدمون بما كانوا عليه من سذاجة ، كان عليها ان تختفي وتزول بدورها امام اعمال الرصد الجديدة التي مكن لها اختراع المرقب بعد ان تطور من انبوبة غاليليو الزرية فافضت الى هذه العدسات العاكسة الجبارة التي تقوم اليوم في كثير من مراكز رصد الكواكب على وجه الارض ، والذي كشفته لنا هذه الاجهزة الراصدة الجبارة هو ان الشمس تؤلف بالفعل نجما من هذه النجوم التي ينتظمها سلك مجرتنا، هذه المجرة الضيقة المحدودة التي تتالف من مئات ملايين النجوم التائهة في هذا الفضاء البهيم ، وبينها من الابعاد والاماد بحيث يقتضي للنور المنطلق من احد اطرافها مائة الف سنة ليبلغ منها الطرف الاخر المقابل له . وهذه الربوات من ملايين النجوم تقوم في مواقعها المعينة لها كانها عدسة جبارة تكاد الشمس تحتل منها القلب على منتصف المسافة بين مركز القلب والضلع الاخر . اما من جهة مركز هذه النجوم من الارض ، فهي تنتشر بشكل حجاب كبير يفترش الفلك كله . وكلما امعنا في درس هذا الفلك على ضوء القوانين التي وضعها اسحق نيوتون ، بدت لنا المجرة عالما من النجوم آخذة في الدوران ببطء حول مركزها ، وهو عالم له من الاتساع والانبساط والامتداد بحيث ان « السنة الكونية » Cosmic year التي تتطلبها دورة هذه العوالم من النجوم وهي تدور ببطء على نفسها او على محورها ، تزيد مائة مليون مرة على دورة الارض حول الشمس التي تتم في سنة واحدة (او ٣٦٥ يوما)

فبعد ان رفعنا ذيل هذا الحجاب المسدول واطللنا على هذه الفضاوات النائية ، هل لاح لنا منها ، يا ترى ، ما نسميه بالكون ؟ فاذا كان هو الكون الاكبر ، كان قطب الدائرة منه ، والحالة هذه ، في نقطة تبعد عنا عشرات الالوف من السنوات الضوئية ، في اتجاه برج القوس (او الرامي (Sagittaire) وهو القطب الذي تتجه منه المجرة — مجرتنا — في دورانها . والسنة الضوئية Light-year كما نعلم هي المسافة التي يقطعها الضوء خلال سنة كاملة من حسابنا الشمسي .

ولعل ادهش واعجب ما في هذه المجرة — مجرتنا — الوف النجوم المؤلفة التي تظهر على عدسة المرقب لعلماء الرصد الفلكي ، وهي تدور بعظمة وجلال حول مركزها القطبي ، غير ان المرقب كشف ان بين هذه النجوم اجرام من نوع خاص اشبه ما تكون بعناقيد او ثريات ملزوزة مكتظة ، تتالف من رقاع الهيولي التي تتوالى وتتعاقب ، مضيئة هنا ومعتمة هنالك ، فتكسف بظلالها ما يقع وراءها من نجوم متالقة .

وبين الاشياء الاخرى التي ظهرت على عدسة المرقب ذر من النثير الهيولي المضيء يدعى « السديم » ، وبلغة ادق : « سدم ما وراء المجرة Extra-galactic Nebulae فقد استطعنا بفضل التحسين الذي طرأ على اجهزة الرصد عامة ، ورصد الفلك خاصة ، والعدة التي استعملت له خلال القرن الذي عبر ، ان نتبين تماما حقيقة هذه الرقاع القائمة في كبد الفضاء بانها مجموعات من النجوم وغيرذلك من الهيولى المضيئة كل ما فيها يشبه الى حد بعيد مجرتنا ، انما تقع منها على ابعاد شاسعة لا يمكن ان يتصورها عقل . ومن ادنى هذه الثريات النجمية لنا ومن اقربها الينا ، السديم الكبير Great Nebula الواقع في برج « المرية المسلسلة » Andromeda التي نعرف اليوم جيدا انها تبعد عنا اكثر من مليون سنة ضوئية لا غير . وهذه المسافة بعينها كان علماء الفلك يقدرونها من قبل ، بنحو سبعمائة الف سنة ضوئية ، فاذا بهؤلاء العلماء يضطرون الى زيادتها الى ضعفي هذا الرقم تقريبا ، على أثر الارصاد الدقيقة التي قام بها العالم الفلكي ولتر باد W. Baade في كل من مرصد مونت ولسن وبالومار

وعمل استاذا للرياضيات في المعهد الامبراطوري . وهو مكتشف النواميس الثلاثة التي تضبط حركات بعض السيارات .

(٥) غاليليو — عالم ايطالي من مشاهير العلماء الفيزيائيين والفلك في العصر الحديث . له رسالة في كلف الشمس اتهم فيها بالانحراف عن التعاليم الكنسية والانزلاق الى مهاوي الهرطقة فحكم عليه ديوان التفتيش .

(٦) دغز Digges عالم بريطاني من مشاهير العلماء الرياضيين في عهده، تولى قيادة القوات البريطانية العليا في هولندا (١٥٨٠ — ١٥٩٤) . له عدة مؤلفات في الرياضيات المطبقة على الهندسة الحربية

(٧) جيوردانو برونو ١٥٤٨ — ١٦٠٠ فيلسوف ايطالي لبس الثوب الرهباني في رهبانية الاباء الدومنيكيين ، اتهم بالخروج عن جادة الدين فخلع الثوب الرهباني ، وراح يعلم ويحاضر ويخطب ناشرا نظرية كوبرنيكوس الفلكية ودوران الارض حول الشمس . حكم عليه ديوان التفتيش بالاعدام حرقا بالنار . كان له تاثير بالغ على كل من بوهم وليبنتس وسبينوزا وهيجل .

وقد كان ليبنيتس ١٦٤٦ — ١٧١٦ فيلسوفا وعالما رياضيا من ابرز واشهر علماء عصره في اوروبا في القرن السابع عشر . ولد في مدينة ليبزيغ وتخرج من جامعاتها . جاء باريس ولندن واجتمع بزملائه من العلماء في تلك البلدان . عمل مدة مدير لمكتبة امير برونزويك ومستشارا له . حاول يوفق بين الاصلاح البروتستانتي اللوثري والتعاليم الكاثوليكية ، قامت بينه وبين بوسويه مراسلات عدة . قضى معظم حياته في درس الرياضيات العالية والعلوم الطبيعية

اما سبينوزا (١٦٣٢ — ١٦٧٧) ففيلسوف هولاندي يهودي من اصل برتغالي ، كرس حياته للفلسفة ولا سيما لابراز نظرية ديكارت . قال بالحلولية وعلم بها وعمل على نشرها .

في كاليفورنيا

لنعد الان للكلام عن السدم . يقدر علماء النجوم الذين يقومون بعمليات رصد الفلك ، وعلى ضوء النقط التي ترتسم على اللوحات التي يأخذها المرقب الكبير البالغ قطرعدسته المائتي انش والمركز في مرصد مونت بالومار ، ان هنالك نحو مليار من السدم موزعة على انصاب من التساوق تزيد او تنقص ، في فلك ، شعاعه او نصف قطره ، ملياران من السنين الضوئية . ولعل في السديم الواحد بين مجموعة هذه السدم ، من الهيولي المضيئة ما يوازي عشرة مليارات مما في شموس مجرتنا ، كما يمكن له ان يضم مثل هذا القدر ايضا من الهيولي المعتمة التي تتخذ أشكالا شتى من غازات ، وغبار ونجوم ميتة . وانتشار هذه السدم في الكون على امداد منسقة يقضي على حد اقصى فرضية احصائية ، بان السدم تتجمع غالبا في مجموعات تتألف الواحدة منها من بضعة سدم او من المئين منها ، وهي تتماسك فيما بينهابما فيها من قوة التجاذب المتفاعل.

هذه هي لعمري صورة تقريبية لهذا الكون الفلكي ، كما تمكن علماء الفلك من تصوره ، هذا الكون البعيد الارجاء ، الفسيح الحدود الى ما لا نهاية له ، الذي يضم بلايين او مليارات من السدم ، والتي يباعد من المسافات بين السديم الواحد والاخر ، ما يقتضي لاجتيازه ، ملايين من السنين الضوئية . ولما كانت هذه السدم مبعثرة جزافا في هذا الفضاء المنظور الرحيب ، كان بحث العلماء عن قطب او نقطة الدائرة لهذا الفلك الدوار أشبه ما يكون الرجم بالغيب او غير ذي موضوع . فكل قسم او جزء من هذه الفضاوات هو كغيره تماما من الاقسام او الاجزاء الاخرى . وهكذا فليس بعد الذي ذكرنا ولوهنا به من مركز او قطب يفضل غيره او يبز سواه يمكن اتخاذه نقطة الدائرة لهذا الوجود .

فلنترك جانبا ، والحالة هذه البحث عن مثل هذه النقطة : موضوع المركز الوجودي او نقطة الدائرة لهذا الوجود ، ولننصرف لتبيين الخصائص الكبرى التي يتصف بها هذا الكون الذي يتألف من هذه الديميات التي تبدوعلى عدسة المراقب . ومن محاولتنا تحديد هذه الخصائص او المميزات التي تبيناها ، علينا ان نسقها ونتنظمها وفقا للقوانين والنواميس الفيزيائية التي ادت للكشف عنها اختباراتنا العلمية المحدودة او التجارب التي قمنا بها في نطاق مجرتنا . فاذا ما جاءت هذه المحاولة اعتصارا للناموس الطبيعي الذي جرى تحديده حتى الان ، كما يرجح عدد من المتمكنين في العلوم الطبيعية ، امكننا ، اذ ذاك ، ان نبحث ما هي التعديلات او النظريات الجديدة التي يمكن الاستعانة بها والركون اليها لتنظيم معارفنا عن هذا الكون (Cosmos) اللامحدود .

ولعل ادهش واوقع هذه الظاهرات التي تبدو عليها السدم الواقعة وراء المجرة ــ مجرتنا ــ كما تبدو لنا من موقع ارضنا منها ، ان هذه السدم كلها تقريبا ، باستثناء عدد ضئيل جدا ، آخذة ، على ما يبدو ، بالابتعاد عنا ، وانما كلما امعنت في البعد ، وتناهت في النأي والتيه عنا ، زادت حركتها سرعة .

قلت : « على ما يبدو » انها تبتعد ، وذلك لان لدينا الان دليلا واضحا عن الطريقة التي يمكن لنا ان نوسع طرق تفكيرنا والانتقال من المعلوم الى المجهول . نعلم علم اليقين عن طريق اختباراتنا وتجاربنا العلمية على هذه الارض ان النور الصادر عن مصدر مشع ، يمكن تكسير اشعته وذلك باستخدام الآلات الخاصة التي تعرف : بالمطياف او المرقب الطيفي Spectroscope ورد مقوماتها الى الموجات الضوئية المختلفة التي يتألف منها النور ، مع تبيان ما لها من ذبذبات . فاذا ما نأى عنا مصدر النور هذا ، زادت بالتالي هذه الموجات الضوئية وما لها من ذبذبات مميزة بفضل سرعة ابتعاد المصدر المشع بالنسبة لنا ، كما يحدث مثلا في خفوت حدة الصفارة في قطار يسير منا بسرعة فائقة فاذا ما نظرنا الى النور الصادر عن نجم او سديم ما من خلال المرقب الطيفي ، ظهرت لنا خطوط ضوئية ، امكننا بما لها من مواقع وطاقة ضوئية معينة ، ان نرى فيها ذات المميزات التي نراها في بعض العناصر الكيماوية التي استطاع العلماء ان يعزلوها والتي يمكن لنا ان نجزم بوجودها ، نتيجة لهذا التحليل الضوئي ، في الاجرام السماوية المضيئة التي يجري رصدها في مراصدنا الفلكية . وهذه الخطوط المتألقة في الضوء السديمي ، يبدو انها تنتقل الى الطرف الاحمر في الطيف الشمسي فلا نعدو المنطق السليم والحالة هذه ، اذا ما استنتجنا ان هذا الانتقال سببه اصلا ابتعاد مصدر الضوء عنا ، وذلك بالاستناد الى القانون الطبيعي الذي اكتشفه دوبلر (٨) (Doppler) وهذا التعليل هو الاساس الذي ينهض عليه تأكيدنا بان السدم آخذة بالابتعاد والتنائي عن مجرتنا ، وهي ، اي هذه السدم ، كلما ابتعدت عنا بدت أعتم واظلم ، وزادت بالتالي سرعتها في حركة تباعدها عنا . وهكذا يمكن لنا ان نجزم ، بصورة عامة ، ان السرعات التي تبيناها تزيد في نسبة المسافة التي تفصل بين السديم وارضنا ، وذلك بمعدل ٥٠ ميلا في الثانية مقابل مسافة كل مليون سنة ضوئية . فالارصاد التي قام بها ادوين بويل هوبل(٩) (١٨٨٠) وهومايسون مستعينين عليها بالعاكسات الجبارة، والتي اضفت اضواء جديدة على حقيقة العلاقة القائمة بين السرعة والمسافة ، مكنت لوضع جداول دوبلر التي يفسرها الاخصائيون نتيجة لسرعات تمثل ١\٥ سرعة الضوء . وفي الطرف العلوي للسلم الطيفي ، نجد اجراما سرعتها تزيد على ٣٠ الف ميل في الثانية الواحدة ، في هذه المسافات التي تمتد الى ٧٠٠ مليون سنة ضوئية . ولكن هذه السدم يمكن رؤيتها حتى في الحالات التي يصعب عليها فيها الاشعاع لضعف نورها وخفوته فينعكس نورها على عدسة المطياف راسما مختلف ذبذبات الموجات التي يتركب منها . هل باستطاعة احد منا ان يقيس تأثيرات دوبلر

(٨) دوبلر ١٨٠٣ – ١٨٥٣ عالم نمساوي من مشاهير علماء الطبيعة والرياضيات العليا في القرن الماضي اشتهر باكتشافه القانون الطبيعي المتعلق بانتقال الضوء الصادر عن الاجرام البعيدة المتألقة .

(٩) هوبل ــ احد مشاهير علماء العصر من الاميركيين بالفلك والنجوم ، تولى ادارة مرصد مونت ولسن وعمل على الاخص في عملية رصد السدم السماوية .

في السدم وامكانياتنا من الرصد الجوي على ما هي عليه اليوم اذا كان معدل الزيادة التي ترسمها هذه التأثيرات يقف عند هذه المسافات الشاسعة ، فلا عجب بعد هذا من ان نصادف سدما تبتعد عنا بسرعة توازي نصف سرعة النور ، اي اكثر من ٩٠ مليون ميل في الثانية الواحدة !

بعد ان وصلنا الى مثل هذا الحد من التجريد ، آن لنا ان نتركجانبا جميع هذه الملاحظات الاستنتاجية، لنكون لنا صورة مبسطة لهذا الكون تبدي لنا المميزات البارزةالتي سجلناها في هذا الفضاء القائم . والقصد الاول من عملية كهذه هو ان نستبدل المشكلة العويصة الحل عمليا ، التي تعترض سبيلنا عندما نريد وصف حركات السدم في الفضاء ، بمشكلة اقرب تناولا منها قد يساعد حلها على تخطيط الطريق الذي يجب ان نسلكه في تفهم واقع الفضاء . ان رائدنا في هذه العملية فرضية يدعوها بعضهم بالمبدأ الكوسمولوجي Cosmologic principle وهو ان الصورة او الشكل تنبسط وتمتد على السواء ، وبعبارة اخرى ان السدم المثالية تتوزع بشكل سوي في الفضاء القائم بحيث ان واقع العالم كما يبدو من نظرة شاملة على احدى هذه السدم لا يتغير بتغيير موقف الراصد من الفضاء او باختلاف الجهة التي ينظر اليها . وهذه الحركة المقدرة التي يرسمها السديم في تنائيه وابتعاده عنا ، تبرز في الصورة التي نبنيها للفضاء اذا ما حددنا لكل سديم مثالي السرعة التي يتحرك بها ، على نسبة بعده عنا ، وذلك على ضوء العلاقة القائمة بين المسافة والسرعة التي المعنا اليها اعلاه . ان من يقوم برصد اي سديم لا بد له من ان يجد ان السدم باجمعها ، حتى ما جاء منها في النظام الشمسي لارضنا ، تبدو له كانها تبتعد عنه على خط مستقيم على نسبة العلاقة القائمة بين السرعة والمسافة التي اقمنا عليها ارصادنا الفلكية . وهكذا نرى ان المبدأ الكوسمولوجي يصح اتخاذه اساسا والاعتماد عليه في رصد حركة السدم ومواقعها من هذه الصورة التي رسمناها للكون الآخذ بالامتداد الى ما لا حد له .

وهذا الكون الآخذ بالامتداد والانبساط الذي وضعنا له هذا المخطط ورسمنا له هذا الشكل ، كيف يتصرف وما المستقبل الذي ينتظره وما هو ماضيه ؟ فاذا كنا لا نزال اليوم نجهل التفاعل الذي تتفاعله السدم الكونية بعضها مع بعض ، فليس ما يمنعنا من التنبوء من ان كل زوج منها سيستمر في حركته بمعزل عن غيره ، وبالمعدل ذاته الذي نراه عليه اليوم ، وان هذه السدم كانت على مثل حركتها هذه ، منذ ان كانت وكان الزمن . وهذا انما يعني انه منذ ثلاثة مليارات ونصف من السنين ، كانت هذه السدم تؤلف فيما بينها كتلة او مجموعة واحدة ضمن نطاق فضائي ضيق ، ثم اتسع فجاة عقب انفجار هائل تناثرت معه هذه السدم في الكون بسرعة لا يدركها عقل ولا خيال، وهي سرعة لا تزال السدم منذ ذلك الحين السحيق محتفظة بها في حركتها الجنونية ، فانتشرت على ابعاد وآماد تتباين بعضها عن بعض .

ان افتراضا على هذا الشكل ومن هذا النوع ، لا بد له ان يثير فينا قلقا واضطرابا بالنظر للشكل او الصورة التي اقترحناها ، اذ ان العلماء الجيولوجيين يؤكدون من جهتهم ان الارض لا يقل عمرها عن ثلاثة الى اربعة مليارات من السنين وهو تقريبا السن المقترح للسدم التي تفترش الفضاء البعيد ، اذ ليس من المستبعد قط ان تكون ارضنا هذه احدى نتائج القارعة الجبارة الاولى التي حلت بالكون فنثرت اجزاءه وبعثرتها . فحقبة الزمن التي تقترحها النظرة الاولى ، هي من الايجاز والقصر ما يزعج العقل ، اذ انها تقيم للكون عمرا هو اقل من عمر الارض ، فتحيل الضلالة الكبرى القائمة في ان عمر الابنة يزيد بكثير على عمر الاب الذي تدور في فلكه .

فالتقصي الدقيق حول تصرف الصورة المرسومة يجب ان يرتكز على نظرية من نظريات تفاعل الهيولى في حدها البعيد . ولعل خير النظريات التي تتفق تماما وتجاربنا العلمية هي نظرية النسبة لاينشتاين ، وهي نظرية تأخذ معادلاتها بعين النظر ناموس الجاذبية الذي يتحكم بالاجرام الكبيرة . ولكن هذه المعادلات تحتم بان تخضع خصائص الفضاء الهندسية لمحتوياته الطبيعية لا سيما وقد سبق لي ان افترضت من باب الاستقراء والاستنتاج على السواء ان الفضاء الذي تنتشر فيه هذه السدم والذي له من المدى ما يتسع الى ما لا حد له ، قد حدثت فيه احداث الفناء وعرفناها منذ الوقت الذي اقتبسنا فيه هندسة اوقليدس وهذا الافتراض او الحدسية يفتح امام الشكل الذي اقترحناه سلسلة من الامكانيات والاحتمالات تقوم في ان توزيع السدم المثلى توزيعا سويا عدلا يستدعي حتما ،مقابلا له ، فضاء سويا هو الفضاء المسطح الذي تقضي بوجوده هندسة اوقليدس . وقد يكون هذا الفضاء في الواقع فضاء مطبقا أو مغلقا ، تتفق مقاييسه الثلاثة والمقاييس التي يفرضها سطح كرة عادية حجمه الكامل محدود ، معين ، وخطوطه المستقيمة تنتهي ابدا حيث تبتدىء ، كما هي الدوائر الكبرى التي تمر بسطح الكرة الارضية . ففي مثل هذه الحالة ، نحن امام كون متناه غير محدود ، يضم عددا معينا من السدم . وعلى عكس الفضاء الاقليدسي المنبسط، ان فضاء من هذا النوع وعلى هذا الشكل ، يتمتع بتقوس موجب (Positive Curvature) له ما يعرف بـ « شعاع التقوس » (Radius of Curvature) وهو مسافة لها شانها ، وهو شان اشبه ما تكون بشعاع الكرة القائمة على حدين او قياسين لا غير . وفي هذه الحالة تنعكس حركة السدم بحيث ان شعاع التقوس سيتغير في الوقت المناسب بنسبة المسافة القائمة بين سديمين من السدم القائمة . ان معرفة كاملة للعلاقة القائمة بين المسافة والسرعة ستتيح لنا ان نستنتج نسبة علاقة الشعاع بالوقت . ولا يزال بعد الاخذ بهذا الافتراض امامنا افتراض ثالث ، هو افتراض قيام كون ينبسط فضاؤه الى ما لا نهاية له، ذو تقوس سالب (Negative Curvature) وهو عالم من الصعب تمثله او تصوره، انما يتميز بشعاع تقوس ، يتبدل في الزمن بنسبة حركة السدم .

ان الكوسمولوجيا النسبية ، اي دراسة مسلك الشكل الذي نصفه لعالمنا في ضوء المعادلات التي وضعها اينشتاين في حقل الجاذبية ، تعطينا صورة لهذه العلاقات القائمة بين حجم السدم وسرعة حركتها ، من جهة اولى ، وبين تقوس الفضاء وتقببه ، من جهة ثانية . ولسوء الحظ ان الارصاد القائمة الان تحت تصرفنا ، لا تسمح لنا باعتماد حل ما من هذه الحلول الممكنة التي ترسم او تحاول ان ترسم صورة لهذا الكون المتحيز في الواقع . وبعض هذه الحلول يجب اطراحها جانبا ونبذها بالكلية ، لانها تفضي بنا الى افتراض مدى قصير مر به العالم ، منذ القارعة الاولى التي نزلت به في العصور الهلكية السحيقة . وبين الحلول الاخرى الباقية ، ما يعكس تماما معرفتنا الدقيقة لامر السدم من بعض نواحيها . وباستطاعتنا ان ننظر باطمئنان وثقة ، الى الارصاد التي ستطلع في المستقبل التي ستزودنا ولا شك، بالمزيد من المعلومات الضافية الدقيقة وهي معلومات يمكن لنامعها تضييق دائرة اختيارنا او ربما دلتنا على ان ايا من هذه الاشكال النسبية المقترحة ، ربما اعطي صورة صحيحة للواقع المتحيز . ومع ذلك ، لا بد لهذه الخطة التي سرنا عليها في تفكيرنا والنهج الذي اتبعناه من ان يبرر ما نتوقعه للكون من ديمومة وبقاء ومن استمرار في امتداده الحثيث . فالسدم السحيقة في بعدها ، تمسي في منأى من هذا الفضاء الطارىء او العارض ، وسنبقى وجها لوجه مع بعضها في رفاقة واحدة من قوة الدفع والجذب التي تجمعنا معا في مصير واحد . وخيالات هذه السدم التي اتفق ان كانت فيما مضى من مقومات هذا الكون قد تكون بعدقائمة في ما يمثله الجزء المعتم من اشعة ما بعد الاحمر التي تظهر في الطيف الشمسي ، كما يذهب الى ذلك دوبلر نفسه ، وهي أطياف واشباح من الراجح ان لا يستطيع احدان يستكشفهااو يميزها ، بين من يبقى حيا ليبصرها . ولكن قبل ان يحدث شيء من هذا ، تكون الشمس قد اتت على اخر ما فيها طاقة ذرية ويكون مشعل النور العقلي قد انطفأ او دخل في خبر كان لفناء البشر ، او انه قد يكون عاد فتألف من جديد بعودة الحياة ثانية على ارض جديدة تدور حول شمس جديدة .

اما من منجاة ، والحالة هذه ، من هذه النتائج المظلمة وهي نتائجادى اليها اضطرارناعلى توسيع معارفنا والانتقال معها من القريب المانوس المالوف ، الى البعيد الغامض المجهول ؟ وفي احتمال من هذا النوع ، افسحنا المجال امام عنصر غريب لم نتبينه ان يتسرب الى داخل البناء . فبين حدود المعادلات التي تقيمها النظرية النسبية ، معادلة تقضي بوجود قوة تدفع بالسدم بعيدا بعضها عن البعض ، وهي نظرية دان بها انيشتاين وعلمها منذ عام ١٩١٨ عندما قام يجابه حل القضية الكوسمولوجية او قضية الوجود ، لم تفض الى نتيجة محسوسة يمكن تسجيلها تتعلق بالاجرام القريبة منا ، الامر الذي حمل اينشتاين نفسه على نبذها واطراحها جانبا فيما بعد . لا نستطيع ، وايم الحق ، ان نغادر بمعرفة ووعي هذا الموضوع ، موضوع الوجود الكوسموغرافي ، قبل ان نختبر بعض الاحتمالات العديدة التي اقترحت بهذا الصدد ، مع انه ليس من دليل قاطع على صحتها البتة .

ولعل اول طريق للنجاة قد تعرض لنا تقوم في ان هذا الاحمرار الذي نتبينه في النور الصادر عن السدم قد يكون مرده ، على الارجح الى بعض العوامل الغامضة الخفية التي يتعرض لها ، في رحلته الطويلة عبر الفضاء الفسيح ليبلغ الى ارضنا اكثر مما هو نتيجة مباشرة للمبدأ الذي يقول به دوبلر ، اذ يرد هذا الاحمرار للحركة التي تطبع المصدر نفسه . وفي هذه الحالة ، يمكن لهذه السدم ان تبقى حيث هي الى ما لا حد له فيتم فناء العالم عن طريق تبدد النور واشعته بدلا من فناء الهيولى او المادة عن طريق انفلاتها وهروبها في متاهات الفضاء الشاسعة الفسيحة . قد يكون في مثل هذا الاحتمال المعروض مخرج لنا منطقي غير ان المنهجية العلمية تفرض علينا ، انه قبل التسليم بهذه الفرضية ، يجب ان يتوفر لها من عوامل الاقناع والادلة القاطعة ما يدعونا للاخذ بها .

هنالك بعد هذا ، احتمال اخر يكون الاخذ به ثورة عارمة يفرض بداهة وجود مادة ، في محل ما من هذا الوجود ، تنشأ من لا شيء ، فتحل محل القسم المندثر في السدم البالية . وقد ذهب الى مثل هذا الافتراض علماء كبار امثال : هويل (Hoyle) في اميركا ، وبوندي (Bondi) وغولد (Gold) في انكلترا ، وجوردان (Jordan) في المانيا وقد يختلف هؤلاء فيما بينهم ، من حيث الطريقة والتفاصيل انما يتفقون معا ، على القول بخلق مادة سديمية جديدة ، اما عن طريق تجمع المادة الغازية المخلوقة حديثا ، او عن طريق انفجار طارىء او تألق فجائي لنجم مهموث (Super-Novae) ومثل هذه الانفجارات تحدث كما لوحظ ، كل قرن تقريبا في اقرب السدم الينا . ومثل هذا الافتراض او الحدسية يضطرنا التسليم بها لان ننبذ ، جانبا ، مبدأ فيزيائيا طالما علمناه وشددنا على وجوب احترامه واعتماده ، هو مبدأ بقاء المادة والقوة .

هذان احتمالان من اهم الاحتمالات التي تفضي اليها الكوسمولوجيا النسبية . فاية نظرية من هذه النظريات يا ترى ، هي التي يركن اليها ويعتمد عليها وتسود ؟ فالقطع فيها سلبا او ايجابا ، منوط بالمستقبل . والشيء الثابت الذي نثق منه الوثوق كله ، هو ان تطور العلم وتقدمه الصاعد هو الذي سيقضي نهائيا في الامر الذي نستفتي ، وفي مثل هذه القضايا المعقدة التي نقف حيالها حيارى . وقضية هذا الوجود او هذا الكون الذي يتألف من هذه السدم المحيرة ، لن تشذ هي الاخرى عن سنة العقل السليم والعلم العليم .

ولعل خير ما نختتم به هذا البحث المستفيض عن هذا الكون البهيم ان نصرخ مع النبي الملك : « السماء تذيع مجد الله والفلك يخبر باعمال يديه » .

يوسف اسعد داغر

كان أبي

لادونيـــس

كان أبي يُؤمن أن الشبابْ
وسَّع لي دربي
وأنه في لا نهاياته
أصغرُ من قلبي .
كانت حياتي معه عالماً
أسهلُ ما يزخَرُ فيه الصِّعابْ
أبي غدٌ يخطر في بيتنا
شمساً وفوق البيت يعلو سحابْ
أحبه ، أحبه أعظُماً
في القبر تَستعصي على الخالقينْ
أحبه سراً عصياً دفينْ
وجبهةً ملفوفةً بالترابْ
أحبه صدرا رميما وطينْ .

من مجموعة ((قصائد اولى)) تظهر في اوائل الشهر الحالي

قبر ابي

قبر أبي ، قبر أبي قصَّةٌ
تكتبها الريحُ
أوراقها أعمدةٌ رُكِّزتْ
هياكلاً والحرفُ تسبيحُ .
ترابه ، في صمته ، بيدرٌ
غلالُه الموتُ
لا همسةٌ تحفر في صدره
رفيقُها العقلَ ولا صوتُ
قبر أبي يغفو وأجفانه
مسحورة الهدب
تحلم بالبدء وبالمنتهى
وتسأل الحلمَ عن الربِّ
ما بالها نامت الى لا غدٍ
يأتي .. تُرى نامت على الحبِّ ؟

صانع الضلوع

مهداة الى من أتم عملية قلبي باعجاز ، الى

السير راسل بروك

o o o

أعلنت قسمات وجهه حزما صارما ، فبات ينفث في الروع بان للحياة طبيعة اعظم ادراكها الثقة بالبقاء واصبحت النظرة الى عينيه بحثا تحليليا يبدد كل وهن وخور .!

هو جراح انكليزي ، حقق النجاح السحري بما جمع من كفاءة المتفوقين ، مازجا بين العمق والبساطة بائتلاف مهيب فاذا عزيمة روحه تشحذ مواهب الامل في النفس الجريحة ، فتبدد حقائق الحياة جميلة صالحة ، وتتعين حدود انسانيته بما يرتفع عن ظل العرق واللون ، ثم يغدو استيلاؤه على العقل والعاطفة طريقة مثلى لتطهير التاريخ الانكليزي من اوبائه المادية .

فلو شاء هذا الرجل ان يوقف قلبه ويستنفد العيش بقلوب الملايين ممن رد اليهم شرف البقاء ، لامتدت به الحياة الجديدة الف الف عام ، لان في انفاس الخير الرضي ما يقوم مقام النور والهواء في بعث حركة قلبه وتجديدها !

امام كهولته الجليلة تنحني النفس خشوعا ، فهو فاتح ليس كالفاتحين ، يجوب مناطق القلوب متسلحا بالعلم العظيم ينزع قوته عن معجزات الانبياء .

يداه العجيبتان في جمالهما يقين بذيوع العطف ، ومشهد انامله خلود للصلاح ، من يذكر تلك الايدي ويجرؤ ان يشيع مقارنة بين انامل الهدم وانامل البناء ؟ بين من يقبض على زمام العداء في انكلترا ويطلق النيران من افواه المدافع ، وبين من يلمس مشرط الجراحة ويعيد الى النفس المعذبة اعمق خوالجها عذوبة ؟! فكأنما اعد فريدا ليكون انتشار تحية عبر البحار النائية الدانية .

كيف يحيل الانفاس المتهدجة الى زفرات ذهبية ويجعل الشهقات الصافرة تمتمات فضية ، فاذا القلب متابع مسيره جادا قويا مثل خبب الحصان ، لا يستوطنه من الموت وهم ولا يقاسي من ضربات المرض شيئا . . !

كيف جفا الطبيعة في اصل شريعتها ، واقفا حيال القلب بكل دقائق اخطاره ، مراقبا حركة الدماء المنقبضة المنبسطة والوجود يخلق خلفها انسام الحياة المتعاقبة المستمرة ؟

امثل قلبه العظيم تلك القلوب المريضة ؟ أم هي يعوزها الثبات على اقتحام الجديد ، فهي عنه غريبة !

ليت العظيم يخبرنا ، هو الذي كان انسانا قبل ان يكون جراحا ، عما يهمس اليه الحشد الهائل من القلوب ، اذ يبرز اليه من وراء الضلوع مبديا تحت مجهر روحه الف سجية وخلق !

أيتشابه القلب البشري رغم تباينه ، في اذعانه الحزين للقضاء ؟ أم هو يختلف استسلاما وجحودا ووضاعة ونبلا، ولكل قلب طابع يميزه بما يمارس من حنين وانجذاب ويأس وهوان ؟ هل هناك قلوب تستعر حزنا واخرى خالية الوفاض ؟ وهناك قلوب وحشية كالموت قاتمة كالليل تنعدم فيها مباهج الحب واشعة السلام ؟

أتمر امام مقلتيه عناصر الجبن والصمود ، ويرى القلب متسربلا ثوبا فضفاضا من الرحمة والشفقة ؟ أيطالعه القلب الهائم يوما ؟ كيف يكون القلب هائما وكيف يبدو عندئذ خفيا نقيا اثبت من كل قلب وابقى ؟!

اليه تفضي القلوب باعمق اسرارها ، نازعة عنها الى حين مذلة كل قيد ، مستفيقة من سبات الاوجاع والحياة ، غافلة عن ان هناك من يرقبها ليستشف منها معنى كل هدوء وكل تأثر ؟ فتبدو هكذا بجميع أهوائها حتى ليستطيع ان يلحظ كل ما فيها من رصانة وخفة واباء وتواضع ثم تمده بجميع مكنوناتها المضيئة المظلمة وتذهله بآفاقها الوسعات !

ابتناهى الى ناظريه ما يجري في مسارب الجنان ، فيجمد ازاء الغل والحسد ، وتستبد به الثورة حيال مجاهل القلب المدلهمة فيروعه ما يتشابك في انحائه من قهر وعنف!

كيف لا يضيق بالتشابه الرتيب بين نسج القلب الموحد ، حيث تستعيد الاذينة والبطينة والصمامة والشريان اشكالها الدائمة الواحدة ، فينزع الى ابداع المعاني في تأمل المشاعر الخفية النائمة في ابعاد كل قلب ، مهيمنة فيه على ادق خفايا الحياة !

ليخسأ العشاق جميعا ! فهو سيد القلوب الجريحة بلا منازع ، وهم في غفلتهم يهشمون قدسية العلة القلبية لكثرة ما يلمعون من ذكر الجراح ، قائلين باعتباطية فاجعة بان لهم في الفؤاد اوصابا ، هي من جراح المشرط البناءة العظيمة كالندب الزائلة !

عجبا للنبيل يصاول داء القلب بآلاته الصماء ، فينظم في دقة باهرة حركة الحياة الغريبة ، كيف يقنع ان يقف محايدا ازاء النشاط البشري المستعر في انحاء الشرايين المتعانقة المتنافرة ؟

كيف يكتفي بان يحدق في معاني القلب العميقة الساذجة حين تغدو مسالكه طوع يديه جميعا ؟

اليس في وسعه ان يضع قوتا روحيا لجوع كل قلب وشرابا لظمأ كل عاطفة ، ثم يحيله شفافا ملائكيا تسري الارواح في اجوائه وتتسع الممكنات ؟!

كيف لا يرقق كل ما ضخم في القلب من اثم ، ولا يبذل النقاء والمحبة في كل ما عكر من شعور ؟

بل ليته يخبرنا كيف تبدو له اليوم قلوب العرب من مرضاه ؟ هو الذي ينتسب الى الامة التي عضت على الافئدة بالنواجذ ، اتخرج اليه شاهرة سيوف البغض ام انه لا يسعها الا الخشوع امام من يحكم مملكة القلوب التائهة التي لا تغرب عنها شمس العرفان الا ليبزغ قمر البر ، تلك المملكة الشاسعة النادرة التي تعينت حدود انسانيتها بما ارتفع عن ظل العرق واللون وبما جثم على صدر رعيتها من فضل وشكران .

دمشق — **هبة الوادي**

أمـل

✳

امــل تالـق مشرقـا   كالفجر من خلل السحاب
حال الدجى شمسا تموج   بسائـل التبر المـذاب
وانزاح غمـر وساوس   حطمت عواصفـه ربابـي
وتفجرت للشـوق فـي   صدري رغـاب كالعبـاب
وزكت خمائـل للمنـى   ضاعت بعـرف مستطاب
فملأت مـن ورد الهـوى   كأسي وطاب بهـا شرابـي
وقنعـت مـن امـل   بحرمـاني ولم انكر مصابي
امـل غنيـت بجدبـه   ونقمت غلي بالسـراب
ولرب قفـر كالكآبـة   قاتم في العين نـابي
وافتيـه والفجـر يومىء   كالمليحـة مـن حجـاب
وبـكـل منعطـف لهمس   الريـح غمغمـة انتحـاب
والصمـت ران بكلكـل   فوق الاباطح والهضـاب
والشوك مـن ظمأ ترامى   كالنزيـف علـى التـراب
قـدح الهجير به السعير   وراح يقـذف بالعـذاب
لمـا نظرت بعين آمـالي   لـه حـين الغيـاب
ابصرت جنـات تحير اللب   بالعجـب العجـاب

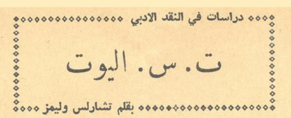
★ ★ ★

ولشـهقـة محمومـة   للريح تنقلهـا الروابـي
سالت لهـا عـين السماء   اسى وفاضت بانتحـاب
والارض بادرت السمـاء   جوابها قبـل الجـواب
اغضت باجفـان السقيم   اشاح من وقر المصاب
وترى السواجع اطرقت   مما شجاهـا بالرقـاب
وتشوفـت مذعـورة   للريـح تنصت باكتئـاب
ارهفت من امـل بسمعي   للعواصف في الغيـاب
فحسبت جلجلة الرياح   عزيـف الجان التصابي

★ ★ ★

ومررت بالروض الانيـق   أبـث جـدولـه عتـابي
جاذبتـه طرف الحـديث   وأمنيـات كالشـراب
وتـلوت من سير الهوى   عجبـا كمقتبـل الشباب
وبعثـت فيـه ربيعـه   لمـا عزفـت علـى ربابي
وأتيت بالسحر المبـين   مجليـا في كـل بـاب
فـاذا الـذي غنيتـه   الاعجـاز فـي ام الكتـاب
امل اطل مع الغيـاب   فزاد في حسن الغيـاب
والعمر لـولا الامنيـات   لـكان وقرا من عـذاب
ومسائـل نشد الصـواب   وحاد عن سنن الصـواب
قال المصير الى التـراب   وكـل امـر للتـراب
والعمر اضغاث تشتتهـا   الحقيقـة كالهبـاب
امـا الحيـاة فما يعادل   بؤسهـا حسن الثـواب
فاجبته هـون عليـك   مصيبـة واسمع خطابي
يكفيـك من نعم الحياة   على الدجى لمـع الشهاب
حسب الرجـال سعادة   أمل لهم حين المصـاب
ولرب حلم كان أحـلى   في النفوس مـن الشباب

دمشـق   **عدنـان مردم بـك**



ت. س. اليوت

بقلم تشارلس وليمز

ترجمة يوسف عبد المسيح ثروة

لو جاء اليوت الى الوجود في عهد الاساطير اليونانية لربما عد من ذباب الخيل . ولعل هذا يستمر الى الوقت الحالي ، لان حقيقة شكله لا تزال مجهولة ، كما هي الحال بالنسبة الى أي انسان اخر ، اما اليوت محرر مجلة (نيوكريتيريون) المعروفة بنقداتها الفكرية ، فهو ليس غير شبح او روح غريبة . ولكن الذبابة عاجزة عن دفع (ايو) عبر البحار والبراري ، في حين انها قادرة على لسعنا واقصائنا الى التيه ، بين التخوم الخضر تارة وبين القبور وغرف الاستقبال ، والاقبية النتنة والمناظر الطبيعية تارة اخرى . ولا شك ان في هذه المجاهل دليلا يقتدى به ، ولكنا لن نتمكن من معرفته ، اذ ان ازيز هذه الذبابة لا يفيدنا بمعنى من المعاني .

قد يقال انك واجد ذلك في بعض كتب الحكمة ، التي يعسر العثور عليها ، او قد تلحظ ذلك في شعر من درج من الشعراء القدامى ، غير ان الكلمة المهمة ، التي نحن بامس الحاجة اليها ، عزيزة الوجود ، عسيرة المنال . وبعد تجوالنا في هذه المتاهة مدة طويلة ، نعود الى المحل الذي انطلقنا منه ، تلفنا اذيال الخيبة ؛ ثم نعاود الكرة ، وتجري الامور بين الاخذ والرد ، وفي ذات مرة يستطرد بنا الحديث الى الشعراء المحدثين ، فاذا بنا في منتصف المتاهة نغذ السير من غير دليل ولا هدف ، مشتتين ، ضائعين ، غرباء لا نعرف سواء السبيل ، افكارنا مفعمة بالقوافي المنسية تقريبا ، وآمالنا متقطعة الانفاس ، وعيوننا مبهورة ، متعبة ، فيها كثير من التكهن والتطلع .

وهنا بين القبور الدوارس ، والتخوم المخضرة ، نلمح شخوصا غريبة ، ونسمع اصواتا عجيبة . بروفروك ، وسويني ، واغاممنون ، واشباح تتلاعب على اوراق تاروت ، والامير فرديناند ، امير نابولي ، الذي غرق ، ولم يغرق ، وخادمات البيوت ، والفئران الكثيرة . ثم نسمع نتفا من الاحاديث المتطايرة الينا ومن ذلك — (انا لا اتصنع في كلماتي — هذا ما قلته لها بنفسي) ، (قريبتي هاريت ، دونك نسخة من (بوسطن ايفننغ) — و (كنت معي في السفينة في ميلي) . تدور هذه المحادثات بالفرنسية والالمانية والايطالية . ومن اجل ذلك يتساءل احد الشعراء الفكتوريين ، مشيرا الى مثل هذه الظاهرة فيقول (انحن اذن مجانين ام هذا هو الشعر ؟)

وعلة ذلك كله هو الغموض والابهام . صحيح ان في هذا ردا عاطفيا على نتاج اليوت . ولكن ماذا يمكن ان يكون الامر غير ذلك ؟ انحن نملك اذن (اليوبانشاد) (١) وموعظة النار التي القاها بوذا ، وكتاب الانسة وستون (من الشعائر الدينية الى الرومانس) على رفوف كتبنا ؟ ومع ذلك فشرح القصيدة الموسومة بـ (ارض الخراب) تحتاج الى جميع الكتب التي ذكرتها ، وهذا ما يؤيدني فيه اليوت على وفق ملاحظاته .

ومما قاله في هذا الصدد « اني ارشح (كتاب وستون) ليكون مفسرا للقصيدة ، اذا اراد اي من الناس تجرع مثل هذا الاضطراب » ان الازيز لا يزال يطاردنا ، ويا ليته لم يكن ! آه لو نتمكن من الاستغناء عنه والعودة الى شعرائنا التقليديين الاصحاء . ذلك بانهم لن يثقلوا كاهلنا بالاستعارات غير المفهومة ، والتشبيهات المتحذلقة . نحن نعلم ما سيقولون ، فاذا لم يكن لهم ما يقولونه فهذا دليل لهم لا عليهم . وبعد من من هؤلاء ، اجاد باسلوبه الخاص كما اجاد شاعرنا حين قال :

« تغرد البلابل على مقربة من دير القلب المقدس ،
وتغني في الغابة الدامية حيث كان يصرخ اغاممنون عاليا .
ثم جعلن ينثرن رياشهن الذائبة ليلطخن الجدث الدنس » .

ومع ذلك فان القطعة الاتي ذكرها ، تغني الذهن ، ولو انها اقل جمالا مما سبق :

« رأيت لحظة عظمتي وقد هبت عليها الريح ، وشاهدت الانسان الحافي الخالد ، وهو يأخذ بتلابيبي » « ويتهكم ، وبالايجاز غمرني الرعب ، واشتد بي القلق » .

ولما كانت عبارة الانسان الحافي الخالد ، تتكرر في اول قصيدة ، من الكتاب ، ولما كنا لا نعرف المعنى الذي قصده اليوت ، يجدر بنا ان نفكر في هذا القول . نحن لا نعرف غرض الشاعر بكلمة (خالد) اهو يعني بذلك انتقاء الزمن او (الابدية) ؟ ومع ان هذا الامر لا يهم كثيرا ، غير ان اليوت هو احد الشعراء القلائل الذين يعنون ما يقولون بالحرف الواحد ، ومن هنا يتضح لنا قصده الجلي . على ان ذهن الانسان غالبا ما يسري عن نفسه باضفاء المغزى الاول على الثاني . اما شعور هذا الانسان الذي يصوره فهو لن يتعدى — في حال من الاحوال — نطاق الزمن . وفي هذا يبدو الوجود عاريا ، في ايجازه وقصره .

(١) عن كتب الهنود المقدسة

وهذه التجربة – اي تجربة الحياة – هي عامة شاملة وممقوتة في الوقت نفسه ؛ وبخاصة حين يقهقه الكون بأجمعه وراء اي منا ، في حين انه يمد يده الينا من اجل ان نعرض انفسنا كما نحن . وهذه اللحظة لا تبدو جلية كما تبدو حين نتصل بالاشياء العامة والخاصة ، عن طريقة التبدل والمقارنة ، لان فيها نشعر بآفة النقصان وضآلة القيمة . وخير ما يمثل في هذه الآفة هو الرعب ، ذلك العبد الذي لم يطأ عتبة باب التقاليد القديمة ، فجاء الى العصر الحديث ليجهد نفسه ، انه ذلك الخوف الذليل ، الصارخ .

يمتاز اليوت بشدة زخم شعره ، وقوة اندفاعه ، وتناوله لبعض الموضوعات التافهة ووضعها في اطر خاصة ، فما تتخلص اي اداة من ادوات البيت او القصر من ملاحظاته والتفاتاته ، فهو لا يأبى – مثلا من استخدام (فرشة الاسنان) في احدى قصائده المعروفة (فرحة في ليلة عاصفة) ومع رقة هذه القصيدة وصفائها ولطافتها ، فهي لا تتورع عن استعمال كلمات مبتذلة ، والتلاعب بها ، ووضعها في اغراض معروفة ، واساليب مطروقة (عامية) التفكير . ومع ما في هذه القصيدة من سهولة في العرض ، وبساطة في المعاني ، فهي لا تفرق في شيء من حيث الصعوبة عن اي من قصائده الاخرى ، اذ انها تأخذ مكانها في جحيم شعره ، وليس من وصف يصح لنا ان نضفيه على شعره غير هذا الوصف ، ولكن على شرط الا يرافق ذلك شيء من التعنت والتصنع .

فتجربة اليوت الشعرية في الحياة ، لا تعدو ان تكون جحيما مختلف الاشكال والالوان ، وسبب ذلك هو العنف الجامح في الصياغة الشعرية ، ولكن هذه التجربة هي ما نمارسه ونحسه نحن انفسنا ، بالاضافة الى ما نجده عند اليوت ايضا . غير ان الجحيم ، كالفردوس ، فيه مقاصير عديدة . فاذا خصص لنا اليوت احداها ، فمن اللياقة الا نخيب ظنه فينا قدر الامكان ، ولكن الشيء الذي نخشاه ونتخوف منه هو انسانه الجبار الخالد الذي قد يمنعنا من الدخول ، بعد ان يملأ شدقيه هزءا بنا وسخرية منا . قد يكون المكان الذي تحدث عنه اليوت موجودا قبل ان يذكرنا به ، ولكن حديثه ربما ضيق شقته ، وحدد موضعه . ومن هنا فالتعرف بعباراته هو تعرف بتجاربنا نحن ، وهو في الوقت نفسه انطلاق نحو الشعور بشيء من الغبطة والانشراح ، في صبيحة كل يوم حين :

(نحس بارواح الخادمات اللدنات ، في تطلعهن اليائس من وراء الابواب) .

من الطبيعي الا نضع اللوم على كاهل هاتيك الخادمات لانهن اكثر المخلوقات لطفا وايناسا ، ولكننا نلوم بشدة المحترفات منهن ، اللائي لا يعرفن غير التلفت والتطلع . ومع هذا ينبغي لهذا الامر ان يخفف في المستقبل ، باستعمال العبارات الرقيقة ، الناعمة الجرس . وبعد ، كم يسرنا لو اعترفنا باننا صائرون الى حالة معينة في امسية من الامسيات لا يفسرها شيء كما يفعل قول اليوت :

« تعب يدفعنا بكسل لنهز رؤوسنا قائلين: وداعا يا روشفوكو كأن احدنا أغذ السير في طريق الزمن ، ولم يبق له منه غير غايته » .

وهنا حتى فكرة التعرف بروشفوكو تبدو وكأنها توهج طارىء عظيم ! ثم يمضي فيما هو بصدده فيقول :

« تتساقط ابتساماتي وتتهاوى على (الارض) بددا ؛ والعوالم تدور كانها عجائز مثقلات بالسنين يلتقطن الوقود ليضعنه في اكياس مثقوبة . فيا ليتني كنت كومة من البرائن الممزقة لاغرق تحت صفحة البحار الساجية ، بين المهاوي العميقة » .

وكل هذه الاقوال تعبر – بمختلف الطرق – عن تجربة عامة ، تفسر ظاهرة معينة ؛ فيها الكثير من الاحتمال السلبي ، والتقزز العنيف . انها تعنى احتفاظ اليوت بقوته لدعم فكره ، وبخاصة التعبير عن مثل هذا الفكر ، وتبيح لنفسه الصبر غير الفعال تجاه هجمات العالم الخارجي المتعبة . وبسلبيته المجردة هذه يعزو الى تلك الهجمات ضربا من الضعف والوهن . ومن هنا ، فمقابل فراغ اذهاننا ، هناك فراغ هائل مجهول يغمر الكون ، وتجاه ظلالنا الخيالية تنتصب خيالات مماثلة لا تمت بصلة الى الحقيقة او الواقع .

ولا يبدو تأثير اليوت عنيفا عميقا كما يبدو في منازلته للثورة الواسعة الانتشار التي تجعل منا موضوعات تراجيدية ، ومكافحة للاساليب الفخمة ، والتقاليد المزركشة ومصاولته للملامح النارية التي تعلقت بها الاذهان الكليلة . وبالرغم من ذلك ، فلا يسع الا اشجع النقاد ان يقول ان هذا الامر كان في نية الشاعر . لان الله وحده يعرف ما كان يقصده اليوت حين ذهب ما ذهب اليه . ثم قارن هذه الرباعية الاتي ذكرها برباعية غولدسمث المشهورة :

« حين تنحني الغادة الجميلة على عبثها ، وتقطع غرفتها جيئة وذهابا ، فريدة وحيدة لا تفعل شيئا غير تصفيف شعرها بيد آلية ، بعد ان تكون قد ادارت اسطوانة لتسمع اغنية بالية » . (1)

هنا نجد متنفسا ، لاننا نسمع هجاء يتناول اوليفر ، او اذا شئت مرورا رفيقا به ، لان اليوت لن يرضى لنفسه السخرية منه . لشد ما يرضينا هذا في عالمنا الآلي الذي نعيش فيه ، وكم يسرنا ان نتعرف على ماجريات الامور في جحيمنا هذا ، الذي تفرض عليه اخلاق معينة ، لتستخلص منه اهمية محددة . والصعوبة التي تواكب الاخلاقيين في هذا الشأن هي ان قراء كتبهم غير متأكدين مما يفعلونه ، فهم يحاولون حصر العالم في نطاق قواعد معينة ، ليجعلوه مفهوما ، قابلا للادراك . . . اما اذا كانت ثمة اهمية في هذا العالم ، فهي تلك الاهمية التي تقر بالحقائق (غير المرغوب فيها وغير المنكورة) .

وهذا الذكر لغولدسمث يقودنا الى مسألة اخرى . فالذكريات هي القانون المسيطر على شعر اليوت وليست هي (ميزته الخاصة) لانها واضحة الملامح احيانا ، وغامضة (بالنسبة الى الاذهان القليلة الادراك) احيانا اخرى . وعلة ذلك اننا لا نعرف ويبستر ومدلتون كما نعرفهما . اسمعه يشير الى ذلك :

« قالت : هنا نصيبك ، هنا الملاح الفينيقي الغريق . هذه هي اللآلىء التي كانت يوما عيناه . انظر ! »

هذا شيء معروف ، فيه نفحة من شكسبير . ولكن :

« ما هذه الضوضاء ، ما هذه الرياح المنطلقة من خلال

---

(1) تقع هذه الرباعية في القسم الثالث من (ارض الخراب)

الباب ؟ »

ولا شك ان في هذا تلميحا الى وبستر . ولكن القلة النادرة منا تعرف ذلك .

ولكن هذه الظاهرة لا تخص اسلوب اليوت الفكري حسب ، بل هي دليل على الاتجاه المتنامي في الشعر الانجيلزي ايضا . وقد اصبح ارثنا الادبي من الفنى — في توارد الخواطر — بحيث غدا من العسير تجنبها في خلق ادب جديد . ولم يرفض اليوت التعلق بها حسب ، بل هو جعلها — عن دراية وتفكير — جزءا لا يتجزأ من لغته . ومن هنا نحن نتقرب الى ضرب من الحياة الشعرية التي تتضافر على العمل من خلال اساطير الشعر القديمة . فنعود الى الماضي السحيق لنتحدث عن فاوستس ، وروميو ، وارثر ، وعبديل . اماالاسماء التي هي اقل شهرة ، فمن الطبيعي الا تستخدم الا قليلا . ومن اجل ذلك فان ميرابيل وميلامانت والشيطان الابيض نبذوا جميعا ليتناولهم مبضع النقد .

وكل هؤلاء صاروا الان وسائل جديدة في التعبير . واذا ما استمر هذا التطور فسيغدو الشعر نوعا من الاختصاص ، وسيكون بالنسبة الى المختصين اكثر اثارة ، واشد فعالية . ومن هنا ستنظم القصائد من اصداء عبارات لا تكاد تعرف ، نطق بها شعر الاسبان في القرون الوسيطة. والشيء المدهش انها ستكون قصائد جديدة ، جميلة . اما معرفتنا بشاعرنا المعاصر ، فستنبثق من اسلوبه في معالجة هذه العبارات ، في استدعائه لها وضبطه اياها . سنراه في مرآة مجلوة ، لا تعرف الظلام ابدا ، سنراه في صفاء ونقاء ، كانه هو الذي سطر كل بيت من ابيات قصيده .

ومن الجلي ، الذي لا لبس فيه ، ان اليوت لم يذهب بعد الى حد التطرف الذي ذكرنا ، فمعظم ابياته لا تزال من ابداعه الخاص ، واسلوبه يختلف بين الخلق المباشر ، والتطوير ، ولذا تتفق العقائد القديمة والعلم الحديث في مجالي شعره ، فهو وحدة المتناقضات ، بحق وصدق .

ومما قيل ان هاوسمان يلائم في القصيدة الواحدة بين السطحية العامية والجمال الفريد .

اما الحال بالنسبة الى اليوت فهو يوائم بين سطحية غريبة وجمال عامي . ومن اجل ذلك يصح القول ان سطحية قصائده متقصدة مختارة ، وجمالها لا يفرق في شيء عما تعارف عليه الناس ، في المقتطفات المنتقاة ، وهي — اعني هذه القصائد — لا تعدو كونها اصداء لادبنا ، في الوقت الحاضر ، الامر الذي يحول بينها وبين التأثير الوصفي الجديد ذي الصبغة الخاصة ... انا لو تصورنا (الشاعر) وتعمقنا في مدركاته ، لحسبنا الكون شيئا منفصلا عنا ، ولذا نحن مضطرون الى امرين ، اما الاعتياد على اسلوبه ومجاراة تسلسل افكاره ، واما مقته مقتا عنيفا . والحالة الاخيرة لا بد لها من ملازمتنا ، فهي طبع انساني لا غبار عليه ، وعاطفة لا ينبغي توجيهها توجيها انانيا ...

* * *

ومما يعتمد عليه الشاعر هو مقتطفاته ، التي يجمعها من هنا وهنا ، ومن ذلك ما قاله القديس جون الصليبي :

(ان الروح لا تنسجم بالوحدة الالهية ، ما لم تنفصل نهائيا عن الاشياء المخلوقة) .

وقد استخدم الشاعر هذا القول في قصيدته (نتف من المقدمة) قد كان نشرها سنة ١٩٢٧ في مجلة (نيوكريتيريون) ، ثم انه وضع صلاة استهل بها قصيدته (الى لانسيلوت اندروز) — التي نشرت سنة ١٩٢٨ . ومما جاء فيها :

« يا الهي ، انت الذي تسير في وسط الشموع المذهبة ، لا تحرك شموعنا من اماكنها ، ولكن وضع الامور في نصابها ، انا نتوسل اليك ، لاننا بحاجة الى عونك ، يا الهي اشدد ازر الذين ظلوا في قيد الحياة ، منتظرين الموت ، مستعدين له » .

وفي عصر مثل عصرنا هذا الذي تبدو فيه الصوفية الزائفة الظاهرية ، يتجاوز الناس قول القديس جون ، لشدته المعروفة . ومع هذا يستخف اليوت بالاهمية (الكونية) التي قد تظهر على نتاجه . ولكن صلوات المتصوفين وابتهالاتهم لا ينبغي ان تختلف في دلالتها على الشعر المنظوم من دلالتها على الشعر الذي نمارسه ، والذي ندعوه الحياة . وتحت ضياء مثل هذه الكلمات ، تظهر شخوص (اغون) في حدتها وحرافة طباعها ، فتبدو المومسات وعملاؤهن ، في جو من الرعب النفاذ ، والجهامة المتغلغلة في النفوس ، وهذا كله واضح في تلك الاغاني المجنونة المتطايرة من تلك الاحياء ، وفيما يتداوله الزوار والدواعر من مجاملات ثقيلة ، وقلق لا يصدق ، حتى لكأن كل هذا البناء ينهار برمته ، فلا يبقى منه غير العويل واصدائه المرعبة .

وهذا ما يعود بنا الى الصفحة الاولى من (مجموعة قصائد) لاليوت ، حيث تصدّر (اغنية غرام) لالفريد بروفروك بمقتطفات من دانتي . واذن هنا يجتمع القديس جون الصليبي ودانتي — من اجل ان يكونا مفسرين للشعر وهل يكون هذا الجحيم غير المطهر بالذات ؟ وهل يصح ان نجعل (الرجل الخالد) على صلة وثيقة بالايام الخوالي؟ ولا شك في ان اليوت على حق اكيد حين يحذرنا من البحث في هذا الشأن — لقد رغب آباؤنا في التشبث بفكرة (الرسالة) الرفيعة القدر ، ولكننا لن نكتب (كراسات) عن (ت.س. اليوت ، وكيف اعاننا في شدائدنا) ولكن الامر يقودنا ، بالرغم من رضا الشاعر او غضبه ، الى فكرة ذات وجهة عقلية ، تبدو في تغير مستمر ضمن الانحلال والانهيار الى النشوء والارتقاء . ودونك في هذا الصدد اقواله : [مقطوعة الختام]

« اطفىء الضياء ، ثم اطفىء الضياء ،وكيف لا والذهن المؤمن ، يتخلص من كل شيء بسكون وهدوء ليس بلمحة عابرة ، ولا بتحد ساخر ، يشملان مصابيح السماء ، بل هذا الانسان ينتظر اخلاء المسرح ، ومع اشباحنا المتشابكة المنهزمة ، ينتهي الزمن ، بعد ان تبح صرخات الثناءوالمديح. عندئذ يسير الخدم في الاروقة الفارغة ، ليقضوا على الظلمة نفسها . فالفراغ والامتلاء يمكن التمتع بهما ، وما المتعة ان لم تتناول الخواء والعراء ؟ وما مسرات الشعر ان لم تكن منبثقة من النقائض المتلائمة ؟ والذهن في كلا الحالين يقظ متحرك ، تثيره كلمة (اواه ، اصغ ، كل الغنى في كلمة) كل الخير في خدمة زينوكرات المقدس » . [الشعر في الوقت الحالي ١٩٣٠] .

العراق — بعقوبة — يوسف عبد المسيح ثروة

الحـــادي

انا الحادي ، انا الحادي   دليـل المهمـه الهـادي
انـا الرائـح والغـادي   من البحر الـى الـوادي
سميري القمـر البـادي   وتمـر المنحنـى زادي
رفيقي الجمل الصادي

نجـوب البـر والقفـرا   نطيـق القـر والحـرا
نجوز السهـل والوعـرا   ونطوي الليل في المسرى
بأغـوار وانجـاد

فضـاء اللـه دنيانـا   ووادي الاثـل مغنانـا
ونهوى الفجـر نشوانـا   بانسـام ومزدانـا
من النـور بابـراد

وعند المـاء فـي الواحه   يمـد النخـل اشباحـه
وريـح الرنـد فواحـه ،   فتجثـو النـوق مرتاحه
ويروى الظما الصادي

* * *

كم ذا امما تدمرا ونخلها والاعمدة
زحف الرمال هد من اركانها المخلدة
اخنى على ربوعها ودورها المردة
طيوف ماضيها ترف في الفضاء مصعدة
وهيكل البعل يباب بات يبكي سؤدده
زنوبيا تطل من عليائها منفردة
والفرس والروم مضت جموعها مبددة

* * *

انفاس نجد عبقت فهاجت الوجد الدفين
لاحت ظباء حاجر(1) تميس في غنج ولين
بين اثيلات النقا كانها حور وعين
نشر الخزامى في الربى ازرى بعطر الياسمين
وصاح مجنون الفلا : اني على العهد امين
وطيف ليلى قد اطل باسما عبر السنين
يقري السلام عاشقا له الهوى دنيا ودين

والرطبة الدكناء في قلب الفلاة جاثمه
تلثم ردنيها الرمال كالاواذي القاتمه
جفونها مغمضة : هل هي حقا نائمه
تحرس ابواب البوادي في الليالي الهائمة
قوافل البر اليها في الصباح قادمه
حاملة وسق الطيوب والثياب الناعمه
كم من عروس في البعيد تشتهيها حالمه

* * *

« سلمان باك » خلدت آثار كسرى الغاليه
فالطاق يقعي شامخا تحت السماء الصافيه
غدت مغانيه وجارا للوحوش الضاريه
تأتي الرعاة تبتغي خصب المراعي الدانيه
وينثر الناي لحونا لاهثات باكيه
كم تطلق الاسد زئيرا في الليالي العاريه
فتشرد الغزلان خوفا والضباع العاويه

* * *

زمان العيس قد ولى   ومجد البيد قد ذلا
وعصر العلم قد حلا   يضيء الكهربا ليلا
تبز القمر الهادي

سرى العمران في القفر   وشق الطرق في الوعر
فسياراته تجري   من الوادي الى البحر
ومن شام لبغداد

واضحى ذلك الحادي   غريب الوجه في النادي
مضى وقتي وميعادي   كأني بعض احفاد
ثمود باد او عاد

دعاني المنزل الخاوي   الى كهف به آوي ،
وخدني الجمل الضاوي   فهل يروي غدا راو
حديث العيس والحادي ؟

بغداد ● مير بصري

(1) قال ابن الفارض :
احفظ فؤادك ان مررت بحاجر   فظباؤه منها الظبي بمحاجر

محمد علي الطاهر

بقلم السيدة وداد سكاكيني

✳

هذا الاسم الكبير يتجاوب صداه في العالم العربي كما يتجاوب الصدى بين الجبال الشامخة ، ويتردد ذكره ورأيه في محافل الفكر والوطنية ، كما يتردد المثل الطيب والكلمة المأثورة .

لقد حمل السيد محمد علي الطاهر منذ كان فتى صغيرا يتلقى المعرفة والادب ويحس ما تعانيه العروبة والحرية من هم وضيم، فكرة كبيرة دبت في مزاجه وشعوره وسيطرت على وعيه المبكر ووطنيته الملهمة ، انه هو نفسه لا يعرف على التحديد متى تمكنت منه تلك الفكرة الضخمة التي شبت معه وعاشت فيه على الحداثة والرجولة ، يحملها على ضخامتها ونحافة جسمه وطول مراسه ولا يحس في ثقلها الا العزة والقوة ، لان نفسه الكبيرة هي التي حملت اعباء الفكرة واعتنقتها ، فكان صنعها ووحيها ، بينه وبينها عهد قديم شهد عليه جهاده الذي لم يفتر يوما، فقد نصب عمره للفكرة التحررية ، لا يبالي ان يشرد من اجلها وان يلقى الدواهي في سبيلها ، ومتى آمن المرء بفكرته وعاش لها تمازج فيها ودلت عليه ، وقد شاع اليوم في راي العالم العربي وصف المجاهد محمد علي الطاهر بفكرة الوطنية المتوقدة ، وانها لفكرة مجردة مجنحة تبدو في ذاته وصفاته شفافة متوهجة ، فهي تطل من عينيه النافذتين وتحسها في نبراته ولهجته ، وتراها في حركاته واشاراته ، والطاهر نفسه لو سئل عن سرها لما احار جوابا ، لانها اعم من حسه واقوى من نفسه .

ان رواسب الاستعمار وبقايا عهده ما تزال تجري في دماء كثير من مدعي الجهاد ومحترفي السياسة والوطنية مهما نسجت الظروف على شخوصهم ومآربهم ستائر التمويه والمغالطة ، وكان من حظ الطاهر ان يسلم دمه من هذا الرسوب الوبيل الذي جعل المتلونين والمستغلين كدليل الرياح الذي يدور مع الهواء حيث دار .

اما فكرة المجاهد الطاهر التي ولدت نقية حرة وعاشت فيه قوية متأججة فقد رافقته في مقره ورحيله وفي ليله ونهاره ، ومن جرائها ضاقت عليه الارض التي انبتته واعدته للايام العصيبة ، فانطلق من نابلس قبيل الحرب العالمية الاولى فتى ثائرا يتأبى الخمول والتربص ويتحرى لفكرته وحريته نورا جديدا وافقا رحيبا ، فنزل القاهرة كما نزلها من قبل ومن بعد اعلام الفكر واحرار الراي الذين وجدوا في حماها سكنا واهلا ، وقد كان في انداد الطاهر من افذاذ المصريين لهيب من الثورة على المحتلين . وكانت الكنانة في ذلك الحين تضج باحداث دنشواي وما خلفت وراءها ، ويعيش شبابها المتنور بتعاليم مصطفى كامل وصحبه ، فازداد الفتى الطاهر حمية ونخوة وعزما ، ومضى في غمرة النضال يدعو لانقاذ فلسطين من غد اسود وعدو يتوعد ، ولم يفتر سعيه عن المشاركة في حركة التبصير والتحرير ومناواة المستعمر الذي رصد عيونه المتدسسة لتقصي مشاعل الثورة واطفائها بالقمع والحبس والتشريد .

ولم ينج السيد محمد علي الطاهر من السجن عام ١٩١٥ ، لكن هذه الشدة من المستعمر ما كانت ، الا لتزيد فكرته حدة وتوقدا ، فكان يودعها دعوات لليقظة والحذر ، ومقالات تحررية وطنية ، نشر اكثرها بجريدة « اللواء المصري » وقد اتخذ التجارة للمعيشة وما هو بسبيله من السعي الى اذاعة العروبة والتأهب للكفاح ، حتى غدا متجره المتواضع ملتقى الاحرار ورجال السياسة المشردين من مصر والشام وبلاد المغرب والعراق ، فيهم شيخ العروبة احمد زكي والرئيس شكري القوتلي ، واعلام الجهاد الوطني والفكري : رياض الصلح ونبيه العظمة واميل الخوري وعادل ارسلان ومنصور فهمي ومحمود عزمي ، والزنكلوني والسمالوطي والثعالبي التونسي وعمر المختار الليبي وغيرهم كثير ممن كانوا يتخذون مصر ملجأ لهم ومرصدا لجهادهم حتى احسوا الحاجة ماسة الى صحيفة حرة تعبر عن مشاعرهم وتفكيرهم ، وتبصر القوم بقضايا مصر والبلاد العربية مع الغاصبين ، فبادر الطاهر الى انشاء « الشورى » لتكون صوت الفكرة التي يؤديها من ضفاف النيل الى كل بلد عربي يكابد الويل والمحن في سبيل الاستقلال والى مهاجر العرب في امريكة وافريقية حيث يتنادى المجاهد ومن منهم وحملة الاقلام لنصرة الوطن الذي يناديهم ، ولقد ضاق اعوان المحتلين بجريدة الطاهر التي لقيت التأييد والاقبال والتجاوب ، وكان هذا الصحافي الدائب مثابرا على تأييد رسالته بالرغم من كل ازمة ورقابة، فكانت «الشورى» تتسلل الى البيوت والمجالس ، وتتغلغل بين الاحرار والمجاهدين حاملة انباءهم واراءهم في المشكلات القومية الراهنة والمساعي الوطنية في بلادهم وظاهرها ، ولم يخف على الحكم الغاشم خطر هذه الجريدة الحرة ، فالحق الكيد بصاحبها وهو ماض في فكرته وجهاده غير عابىء بما اصابه من العابثين بحقوق الوطن ، حتى زار مصر « بلفور » صاحب الوعد المشؤوم ، واحتفى بقدومه بعض الساسة ، فهب الطاهر غاضبا في تظاهر مع رفاقه ، هاتفا ، بسقوط الزائر المداور ، لكن الحكومة قمعت غضبه والقته بالسجن فازدادت ثورته على الغاشمين المراوغين ، ولم تزده النقمة والمساءة الا مضيا في فكرته التي اخذت سبيلها الى القلوب الواعية والنفوس الحرة في الجيل الصاعد .

وفي مصر اسس المجاهد الطاهر مركزا لمصلحة فلسطين جعله وسيلة الاتصال بين وفدها في لندن برئاسة موسى كاظم الحسيني وبين وفد سورية برئاسة شكيب ارسلان وذلك ما بين عام ١٩٢٠ – ١٩٣٠ كما اتخذه رابطة بين المجاهد الثعالبي وبين تونس والمغرب العربي .

وفي خلال هذا الداب والنضال كان الصحافي الطاهر بالقاهرة مثابرا على الدعوة لحرية مصر والبلاد العربية بمقالاته الثائرة المبصرة ، وباقلام الاقطاب من المفكرين والاحرار وقد سجل في « الشورى » حوادث الثورة السورية عام ١٩٢٥ – ١٩٢٦ وما تلاها من الفورات والانتفاضات السياسية بمصر واقطار العرب ، حتى وقعت الحرب العالمية الثانية فكان لاعلانها دوي رهيب ملأ النفوس في الشرق والغرب قلقا وفزعا ، وقد سرى في وادي النيل كثير من الوان الدسيسة والوقيعة ، اذاعها الارصاد والمضللون كبتا لحرية الراي وتنكيلا بذويها من المجاهدين ، لعل الفتنة تفت في عزائمهم وتشغلهم عن قضايا العروبة والكفاح ، وكانت اعين المتربصين تتبع هؤلاء وتنصب عليهم بالحقد والتوعد ، واول من تصيب صاحب « الشورى » لترميه بداهية تطفيء فكرته التي كانت تلقي في قلوب المحتلين واعوانهم حمما ، وبخاصة بعد هزيمة فلسطين وافتضاح الذين اضاعوها بخلافهم وخذلانهم لمن افتدوها بالارواح ، ففوتوا على الاحرار والمناضلين سوانح الخلاص والبطش بالخادعين والاعداء ، فضاق المتهمون ومدعو الزعامات بتهكم الطاهر ومقالاته العنيفة التي كشفت عن التضليل والخطيئات ، والناس يومذاك يتقاذفهم القلق والتدليس والاضطراب وقد ازداد وعيهم للحوادث وسرت فيهم النقمة وروح الثورة ، وكان الطاهر ينشر المقال تلو المقال في النقد الصريح والتوجيه السليم ، غير عابيء بالمضطغنين والمتوسلين بالدس والرياء ، حتى ظهر حكم الارهاب وزج الطاهر بالسجن عام ١٩٤٩ مع كثير من الاحرار والابرياء الذين كانوا يجاهدون الظلم والاستعمار ، فكان غيظ الاستاذ الطاهر من حكام هذا العهد لا يقل عن غيظه من اعداء التحرر والوطنية ، ولما الح عليه المرض في الحبس والمستشفى آثر الفرار والتنقل في ارجاء مصر متخفيا تارة برداء بدوي ووقور وتارة بزي معلم ازهري ، وقد تصدت الشرطة السياسية بالاذى لزوجته ام الحسن (١) وسيقت الى السجن تشفيا واحراجا ، لكن الفرج كان قريبا فقد تغيرت الحكومة وكان رئيسها الجديد عارفا بجهاد الطاهر وفضله ، فضمن له الحرية على الرغم من اعدائه المستعمرين على ان المجاهد الطاهر وقد استرد هذه الحرية الغالية وتحدى الخصوم والناقمين تعهد لرئيس الدولة بالمهادنة والسكينة ريثما تنجلي ايام البلاء

ولئن وقف نشاطه الصحفي والوطني لميقات محتوم ، فانه عكف على اوراقه في تلك الفترة بفك الرموز التي كتبها وهو في السجن ، كما عاد الى مفكراته ليستخرج منها صفحات وانطباعات تصور اطوارا مما عاناه في سعيه وسجنه وما لقيه في حياته النضالية ، لتكون تاريخا للحوادث المتعلقة بقصة الجهاد ومن شاركوا فيه مخلصين ومستقلين ، ولقد استعجل الاديب الطاهر بتصوير تلك الحوادث وتحليلها كما قال في مقدمة كتابه ظلام السجن « ليضرب الظالمين قبل ان يبرد الحديد » .

وفي ذكريات « معتقل هاكستب » (٢) دارت صور هائلة للثورة الفكرية والوعي الوطني في مصر والبلاد العربية كانت ثمرة التجاوب والتمازج بين الاحرار والمكافحين ، وفيها صفحات مشرقة وقاتمة لمن اخلصوا لله والوطن او انحرفوا عن الحقيقة والمصلحة العامة ، فتلونوا بتلون الايام والسياسة والقاريء المتتبع يحس مرارة في السطور التي اودعها المؤلف عتابا وذكرى لصحبه الذين عرفوه في الجهاد والفوه في المحن والنزل الخشن ، فلما اظفرهم الله بحرية بلادهم ونعموا بالعزة الوطنية نسوا ان يسعدوه معهم بفرحة الاستقلال وجلاء المحتل عن ارضهم وديارهم ، فكان المجاهد الطاهر في كتابه هذين قاسيا على من عاتبهم ولامهم ، وهذا الامر منه يحتمل افتراضين ، اما انه ذكرهم بما صنعوا واعصابه منتفضة وشعوره انف حزين ، لما احس منهم ساعة الحوادث واما انه كتب ذلك على سبيل الذكرى فان كان الاول فحسبه ما صنع ، وان كان الثاني فان

---

(١) لهذه الزوجة الذكية المثالية اثر فريد في جهاد قرينها الطاهر على ان المجال في هذا المقال لا يتسع لتعداد مآثرها ولكن لا بد من القول بانها لبنانية المولد مصرية الثقافة والوطن .

(٢) هاكستب اسم ضابط امريكي مشهور عند قومه ، فلما نزل الجيش الامريكي ارض مصر لنجدة الانكليز في الحرب العالمية الثانية عسكروا في الصحراء بين مصر الجديدة والسويس وقد سمي المعسكر باسم صاحبهم الضابط هاكستيب ، واتخذت الحكومة المصرية مبانيه سجنا .

الحوادث تبدو للقارىء عميقة ني نفس المؤلف ، اذ ان الايام وتغير الاحكام لم يخففا من هولها وثقلها ، لكنه حلل شعوره في اخر صفحة من « ظلام السجن » حيث قال :

« حتى انني – انا نفسي قد اغير فكري فيه ، وقد يتغير بعض من ذكرت من اشخاص فهذا كله بيد الله ، ونحن في هذه الدنيا لسنا اكثر من شخوص واشباح تمر وتنطوي ونفنى جميعا والمحرك باق » .

ومهما يكن شأن هذا المجاهد المؤلف فيما كتب منتقدا او مستحسنا او موجها وما اعطى التاريخ من ذكريات ومشاهد في نضاله واعتقاله ، وفي حوادثه وتجاربه ، فان صراحته فيما ابدى وحلل وناقد جعلته يعيش في نطاق من محبين يفهمونه ويفدونه واصدقاء يظهرون غير مايبطنون وربما خسر مودة بعضهم واكتسب الثقة والتقدير من الشعوب واعداء لا يتورعون عن التلفيق ضده دسا ، وهم ادرى الناس باخلاصه وتفانيه في الجهاد وثورته على المستغلين ، وهذا كله دليل على سمو شخصيته وخلوده في تاريخ النهضة العربية التي كان من روادها وطلائع الوعي والتحرر فيها ، وان احكام القدر العجيبة هي التي سخرته لهذه الرسالة الشاقة وقضت ان يكون على هذه السيرة داعيا الى اليقظة الفكرية والتعبئة الروحية في الرجال والنساء ليتحقق الانبعاث المرجو والوعي العام ، واليوم يعيش الطاهر ناعم البال بما يرى من تحرر الشعوب العربية وسعيها الى الوحدة والائتلاف .

على ان المرء ليعجب للطاقة الكامنة في هذا المجاهد الحر الذي يبدو في حديثه ومن بين سطوره كالماء النمير عذبا صافيا ، لكنه حين تمسه النار وتشتد عليه يغلي كالماء ، فهو في الحالتين يعطي الخير ، ولئن كان ابي النفس قوي الثقافة والوجدان حريصا غلى كرامته فان في طبعه وحياته تواضع العلماء وزهادة المجاهدين ، ولن يحاسب الطاهر على صراحته لانه لا يجرح فيها ولا يقدح ، وتعبيره بالقلم او باللسان ممزوج باللباقة والنكتة ، لكنه لو اوتي المسايرة والمكابرة لعاش في راحة وبحبوحة ، ولو انه ادى رسالته في الادب لبرزت مواهبه في النقد والتصوير متجردة مسددة ، ولقد آثر الصحافة بقلمه الحر ودرايتهالواسعة لشؤون السياسة في الشرق والغرب ، فجال في ميدانها وكان ولا يزال من فرسانها ، مجاهدا فيها للعروبة بما ينفع اهلها ويقيم العثار ، ولم تكن صحافة الطاهر يوما حرفة استغلال وملق للجمهور او ذوي النفوذ ، ولم ترفدها جماعات او حكومات ، ولهذا توقفت « الشورى » عن الصدوروان بقي ذكرها قائما واثرها بعيدا ، وبقيت صفحاتها مرجعا وثيقا لتاريخ الجهاد الوطني وتطور الوعي القومي ، وحين تعذر على صاحبها نشرها من جديد عكف على تصنيف مذكراته وانطباعاته وتأليف الكتب التي تصور جوانب من الحياة السياسية ابان النضال القومي للتحرر من قيود الاستعمار ، ففي عام ١٩٣٢ نشر المجاهد الطاهر « نظرات الشورى » وقد حوت فصولا وخواطر عن احوال العالم العربي عامة وفلسطين خاصة ، ولما اصدر كتابه « معتقل هاكستب » عام ١٩٥٠ نشر في الصفحة ٦٦٧ اشارة الى انه تبرأ من « النظرات » وان نفد المطبوع منها لانه غير رايه في بعض من اثنى عليهم فيها إذ كان يحسن الظن فيهم ويعدهم من الاخيار ثم تبين له انهم ثعالب ...

ثم اتبع المؤلف تلك النظرات بكتاب « ذكرى الامير شكيب ارسلان » عام ١٩٤٧ وقد اشتمل على سيرة هذا المجاهد القديم الذي يعتز الطاهر بصداقته ، وفيه اكثر ما قيل في تأبينه ومراثيه التي قيلت في الشرق الغرب ، والاستاذ الطاهر يدعو اليوم لتجديد هذه الذكرى بتخليد الفقيد في كتبه وآثاره .

وفي اخر سنة ١٩٤٨ ظهرت للمجاهد الطاهر « اوراق مجموعة » وصف فيها حال فلسطين قبيل رحيل المحتلين ، وكيف كان اهلها يستبسلون في الذود عنها حتى شردهم الغدر والطغيان .

وعلى مرور الايام عاود الطاهر الحنين الى اعادة « الشورى » لكن الحكومة لم تسمح له بتحقيق هذه الامنية ، فلم يجد بدا من تسريح قلمه في صحف مصر والعالم العربي والمهاجر التي عرفت جهاده للعروبة والحرية ولا يكاد يمضي اسبوع حتى تقرأ له مقالا يتعلق بالحوادث الوطنية او يبصر بالامور العابرة والشخصيات السياسية الخطيرة ، فاذا كتب الطاهر عن قطر عربي جال في مقاله جولة السابرين في اعماق القضايا والمشكلات ، وما هذا الا لانه يعيش في صميم الحياة العربية متتبعا وجهة نهضتها ، ولم يتفق هذا الامر الا لهذا المجاهد الكبير الجدير بلقب المواطن العربي حيثما وجد .

لقد استوطن الطاهر مصر منذ صباه فأحبها وفداها وكافح فيها لحريتها وحرية البلاد العربية فكان له اثر في الحركة الوطنية وتعبئة الشعور القومي والوعي الفكري ، بل انه يعد اليوم ممن مهدوا للثورة وجاهدوا من اجلها ، وحسبه ما لقي من الظلم والاساءة في العهد السابق ، وان مصر اليوم بشوق الى الرجل الذي وهب لها عمرهواخلاصه مرتقبة عودة « الشورى » بعودته ، فهو يعيش بعيدا عنها وعن اهله فيها لهيفا مشوقا ، فاذا تحدث عن ثورتها ووثبتها كان شديد الغبطة والاعجاب بما ادى رجالها من وطنية وبطولة ، وتجوال الطاهر في البلاد العربية للتعاطف بينها ، وبعث المقومات والذكريات لتوثيق الروابط فيه دعامة لهذه الثورة التي يؤيدها بقلمه فيكتب المقالات والتعليقات فيما يوضح اهدافها ومجهودها ، وذلك في صحف سورية ولبنان والمهجر .

وأي مؤرخ للصحافة العربية والجهاد الوطني القديم والحديث لا بد ان يذكر الدور الذي قامت به «دار الشورى» بمصر اذ كانت هذه الدار اول سفارة عربية حرة لم تعرف قيود الدبلوماسية ولا مجاملة التمثيل ، تتلقى بالحفاوة والتكريم كل عربي يؤم القاهرة على اختلاف الديار وبعدها، فيجد اخوانه ومن يشوقه التعرف اليهم من رواد النضال واعلام الفكر والادب ، حتى لو ان زائرين احدهما من شرق العرب والاخر من غربها هبطا مصر على غير ميعاد ، فانهما يلتقيان حتما بدار الشورى على خير ما ترجو العروبة والثقافة والمودة .

وحين يكتب التاريخ العربي الجديد حوادث التطور والانبعاث سيكون لهذا المجاهد الكبير الذي نذر حياته للحرية دون ان يبتغي جزاء او منالة ذكر خالد على الايام في صفحات هذا التاريخ العتيد .

دمشق وداد سكاكيني

الليلة المقبلة

✳

لشلي

•

ترجمة

عصام الدليمي

•

بغداد

✳

الا سيري مسرعة فوق الامواج الغربية
أيتها الروح روح الليل
واخرجي من الكهف الشرقي المضبّب
حيث طيلة النهار الطويل الموحش
تحوكين احلام السرور والخوف
مما يجعلك مخوفة وعزيزة
فليكن طيرانك الي سريعا

*

غطي شكلك بعباءة مبهجة
أيتها المرصعة بالنجوم
واعصبي بشعرك عيون النهار
وقبليها طويلا حتى تكل
ثم تجولي فوق المدن والبحار والبر
لامسة الجميع بعصاك السحرية المخدرة
تعالي يا من أفتش عنك طويلا

*

عندما استيقظت وابصرت الفجر
تحسرت عليك ...
وعندما ارتفع النور عاليا وزال الطل
واضطجع الظهر بثقله على الاشجار والازهار
ثم مال النهار المتعب نحو راحته
متثاقلا كالضيف الثقيل
تحسرت عليك ...

*

اقترب موت اخيك فصرخت
يجب ان تكون معي
ان طفلك الحلو ذا العيون الناعسة
همس كنحلة الظهر
هل استقر بجانبك
وهل أكون معك فأجبت
ليس معك

*

ستأتي منيتي عندما تموتين
وذلك قريبا جدا
سيأتي النوم عندما تهربين
وسوف لا اطلب نعمة من احد
بل اطلبها منك ايتها الليلة المحبوبة
فاقتربي الي طائرة مسرعة
وتعالي سريعا سريعا

قصة لسومرست موم

في ارض غريبة

ترجمة حسن السعران

انا اسافر شوقا الى مشاهدةروائع من الناس الذين يعشقون اسافر شوقا الى مشاهدة روائع الاثار الخالدة ، فهي تضايقني الى حد ما ، ولا حبا في التفرج على المناظر الخلابة فما اسرع ما تملها نفسي وتزهدها . انني اسافر لرؤيةالناس. ولست بالذي يجشم نفسه مشقة عبور الطريق لمقابلة رئيس او ملك ، فانا اتحاشى العظام والكبار حتى لتجدني اقنع بمعرفة الكاتب من صفحات كتابه والفنان من لوحاته . ولكنني اذكر انني قطعت في مرة من المرات مئات الاميال لمقابلة احد افراد ارسالية سمعت عنها قصة غريبة .. كما اذكر انني قضيت نحو اسبوعين في فندق خال لاوطد علاقتي بمحاسب طاولة البلياردو . واخالني لا ادهش للقاء اي مخلوق لولا انني اسعى دائما ابدا وراء طراز معين من الناس لا تحرمني مقابلته من مناجاة طريفة او قصة ممتعة . مثال ذلك ، انجليزية عجوز - ميسورة الحال عادة - تعيش وحدها في اطراف نائية من الدنيا قلما يتوقع المرءوجود امثالها في مكان كهذا . الا يستغرب المرء اذا سمع بامراة تعيش في فيللا منعزلة ببلدة ايطالية صغيرة ، وانها الوحيدة من بنات جنسها التي تقيم في ذلك المكان او فيما يجاوره . او ربما بشيراحد الناسالى ضيعةصغيرة قائلا ان سيدة انجليزية عاشت بها سنوات وسنوات . ولكن لعله ما من شيء اكثر غرابة من ان تسمع مثلا بان الشخص الابيض الوحيد في مدينة صينية هو سيدة انجليزية ليست من الارساليات . من يدرينا اي سر وراءها ؟.. وغيرها كثيرات . وهناك من تقيم في جزيرة مهجورة في البحار الجنوبية ومن تعيش في بيت هندي خلوي بقرية في قلب جاوة وهكذا .. انهن يعشن وحدهن في عزلة ، وما من صديق يؤنسهن .. ومع ذلك تراهن لا يرحبن بالغريب في الوقت الذي لا يلقين احدا من جنسهن طوال شهور . تمر بك الواحدة منهن وكانها لا تراك . واذا تراءى لك زيارتها لما يجمع بينكما من جنسية مشتركة ، فانها غالبا ما تعتذر عن المقابلة ، او هي تدعوك لتناول فنجان من الشاي من ابريق فضي جاءت به من وطنها . وهي تتحدث اليك في غاية الادب حتى لتشعر كانك ضيف في بيت قسيس . وعندما تفترقان فانها لا تبدي اية رغبة خاصة في استمرار العلاقات بينكما او في تكرار الزيارات ويعجب المرء كل العجب ولكن عبثا يحاول معرفة السر او الدافع الذي طوح بهن بعيدا عن الاهل والخلان ليعشن هكذا في ارض غريبة وقد تقطعت بهن الصلات والاسباب . اهو الحب دفعهن الى ذلك ؟ .. ام هي الحرية ينشدنها بعيدا عن الاهل والديار ؟..

ومن بين جميع اولئك الانجليزيات اللاتي سمعت عنهن او التقيت بهن واحدة لا تزال قصتها عالقة بذاكرتي. عجوز عرفتها في اسيا الوسطى . اذ حدث ذات مرة ان بلغت بلدة جبلية صغيرة بعد رحلة شاقة ، وكنت قد وطنت العزم على الصعود منها الى جبل مشهور . هنالك اهتديت الى فندق صغير عند سفح الجبل ، بلغته في ساعة متاخرة من الليل فوقعت اسمي في دفتر النزلاء ثم صعدت على الفور الى غرفتي . وكان الجو شديد البرودة بحيث اصابتني رعدة عندما اخذت اخلع ملابسي استعدادا للنوم . وماهي الا لحظة حتى دق الباب ودلف منه الترجمان ودهشت عندما قدم الي زجاجة ماء ساخن قائلا : مع تحياة السنيورة نيكوليني.

فسالته : ومن تكون السنيورة نيكوليني ؟

فقال : صاحبة الفندق ..

فطلبت اليه ان يبلغها شكري ، وانسحب الرجل . والواقع ان ذلك هو اخر ما كنت اتوقعه في فندق صغير باسيا الوسطى تديره عجوز ايطالية كما يبدو من الاسم . وليس من شيء احب الى نفسي عند النوم في غرفة باردة منزجاجة ماء ساخن. (ولو كان حديث الحرب مما تطيقه النفس لقصصت عليك قصة ستة جنود خاطروا بحياتهم لاسترداد زجاجة ماء ساخن من قلعة دكتها القنابل في الفلاندرز) . وفي صباح الغد، طلبت مقابلة السنيورةنيكوليني لاعبر لها شخصيا عن شكري وتقديري . وبينما كنت في انتظارها اخذت افتش في ذاكرتي عن اللفظة الايطالية لزجاجة الماء . وما هي الا لحظة حتى اقبلت . كانت سيدةبدينة بعض الشيء ، بادية الاعتزاز بالنفس وكانت ترتدي ميدعة (مريلة) مطرزة وقبعة من طراز الميدعة . وقد وقفت امامي متشابكة الذراعين . وراعتني طلعتها اذ كانت اقرب شيء الى مديرة بيت من البيوتات الانجليزية العريقة.

قالت : اتريد التحدث الي يا سيدي ؟

وتبينت من عبارتها القصيرة ولهجتها اثر اللكنة اللندنية ، فلا شك في انها انجليزية .

فاجبتها في شيء من الاضطراب : اردت ان اشكرك على زجاجة الماء الساخن .

فقالت : عرفت يا سيدي من دفتر الزوار انك انجليزي ، وانا دائما ابعث للنزلاء الانجليز بزجاجة المياه الساخنة

فقلت : صدقيني ، انها كانت

ترحيبا سارا .

فقالت : لقد كنت في خدمة المرحوم اللورد اورمسكيرك سنوات طويلة . وقد كان دائما يستخدم في اسفاره زجاجة الماء . اهناك اية خدمة اخرى استطيع يا سيدي تاديتها لك ؟

فاجبتها : ليس الان وشكرا جزيلا .

ثم انسحبت بعد ان ابتسمت ابتسامة تنم عن ادب جم . وتملكني العجب اذ كيف تسنى لعجوز انجليزية كهذه ان تكون صاحبة فندق صغير في آسيا الوسطى . ولم يكن من السهل دفع الكلفة بيني وبينها . انها تعرف مركزها كما فرضته هي بالذات فلم تقربني اليها قيد انملة . وذلك على الاقل بعض ما تعلمته من خدمة عائلة انجليزية عريقة . ولكنني الححت عليها واضطررتها اخيرا لتدعوني الى تناول قدح من الشاي في حجرة جلوسها الصغيرة الخاصة . وعرفت منها انها كانت وصيفة للسيدي اورمسكيرك ، وكان السنيور نيكوليني (اذ لم تشر قط في حديثها عن زوجها الا بهذا الاسم) ، رئيس خدم اللورد . وكان السنيور نيكوليني رجلا جذابا للغاية ، ولهذا ساد « التفاهم » بينهما بضع سنوات . ولما تمكنا من اقتصاد قدر من المال اعتزلا الخدمة وبحثا عن فندق لابتياعه ، فوقع اختيارهما على ذلك الفندق منذ ثلاثين سنة ، عن طريق اعلان في الصحف . وكان السنيور نيكوليني يتوق الى مشاهدة العالم .. ثم وافاه الاجل المحتوم بعد خمسة عشر عاما . ولم تعد ارملته الى انجلترا منذ ذلك الحين . فسالتها اذا كانت لا تحن للعودة الى الوطن .

فردت قائلة : « لست ازعم انني زاهدة في زيارة الوطن ، وان كنت اتوقع الكثير من التغييرات ولكن عائلتي لم تكن راضية عن فكرة زواجي من اجنبي ، فانقطعت صلتي باهلي منذ ذلك الحين . وطبيعي ان الحياة هنا لا تشبه الحياة هناك ، فشتان ما بين الحياتين . ومن عجب ان المرء يعتاد الامور ويالفها على مر الزمن . هنا ارى جانبا حافلا بالحياة . ولست اظن ان الحياة الصاخبة في مكان مثل لندن بالحياة التي تروقني » .

ووجدتني ابتسم ، اذ يناقض ما تدعيه واقع حالها ، على الرغم من انها كتلة من اللباقة . اليس من الغريب انها عاشت كل تلك السنوات الثلاثين في هذا الوسط الموحش وتلك البلدة المتاخرة دون ان تتاثر بها اطلاقا ؟ ومع انني لا اعرف اللغة التركية ، وهي تتحدثها بسهولة، فانني على يقين من انها لا تجيدها ومن انها تلفظها بلهجة لندنية . واكبر ظني انها محافظة على طابعها ، شخصية الوصيفة الانجليزية التي تعرف مكانها على الرغم من كل ذلك التغير الذي يحيطها . شخصية تنقصها القدرة على الاعجاب . لقد كانت تتقبل الامور على علاتها وعلى النحو الذي تاتيها به . كانت تنظر الى كل من ليس بانجليزي على انه اجنبي ، فتراه لذلك انسانا شبه اخرق يمكن التماس المعاذير له . وكانت تتعسف في معاملة خدم الفندق — او لا تدري هي كيف يحق لرئيس الخدم في البيوتات الكبيرة ان يملي سلطانه ونفوذه على كل من هم دونه ؟ — وكان كل شيء في الفندق نظيفا غاية النظافة .

— انا ابذل قصارى جهدي .

قالت ذلك معقبة على تهنئتي لها على تلك الهمة والنظافة . وكانت تقف كما هي عادتها وقد شبكت يديها في احترام ظاهر ، ثم استطردت تقول :

« طبعا ليس للمرء ان يتوقع من الاجانب ان تكون لهم نفس افكارنا ، ولكن علينا — على حد قول سيدي السابق اللورد اورمسكيرك — يتحتم علينا يا باركر (هكذا كان يناديني) في حياتنا هذه ان ننتفع الى اقصى حد بمادتنا الخام » .

والواقع انها احتفظت باكبر مفاجاة ليلة استعدادي للرحيل اذ قالت :

— يسرني انك لن ترحل قبل رؤية ولدي يا سيدي .

فقلت : لا اعرف ان لك اولادا على الاطلاق .

قالت : كانا خارج الفندق في مهمة ولكنهما عادا منذ برهة قصيرة . وستدهش لرؤيتهما . لقد ربيتهما بيدي كما يقولون ، وعندما يحين اجلي فسيشتركان معا في ادارة الفندق .

ودخل الردهة في تلك اللحظة شابان يبدو عليهما سيماء الصحة وطول القامة . فشع النور في عينيها عندما اقبلا نحوها يحتضنانها ويقبلانها بقبلات مسموعة .

وقالت : انهما لا يتحدثان الانجليزية يا سيدي ، وان كانا يفهمانها قليلا . ولكنهما بالطبع يتحدثان التركية كالاهالي ، واليونانية والايطالية كذلك .

وبعد ان تبادلت معهما السلام اسرت اليهما بشيء فانصرفا على الاثر .

فقلت لها : لا بد انك جد فخورة بهما يا سنيورة فهما رائعان كل الروعة .

فقالت : نعم انا فخورة بهما ، وكلاهما رائع حقا . انهما لم يزعجاني قط في اي يوم منذ ولادتهما . وهما صورة صادقة للسنيور نيكوليني .

فقلت : الحق ان احدا لا يستطيع القول بان لهما اما انجليزية .

فقالت — انا لست امهما تماما يا سيدي ، لقد بعثت بهما لكي يسلما عليها .

وبان علي شيء من الاضطراب .

فقالت — انهما ابنا السنيور نيكوليني من فتاة يونانية كانت تعمل في الفندق ، وقد تبنيتهما لانه ليس لي ابناء .

وعبثا وجدت عبارة اعلق بها على قولها .

فقالت وقد شدت من قامتها بعض الشيء : ارجو الا تظن بالسنيور نيكوليني الظنون . فلست اود شيئا كهذا يا سيدي . ثم شبكت يديها واضافت عبارتها الاخيرة في مزيج من الكبرياء والعزة والرضا .

— لقد كان السنيور نيكوليني رجلا موفور الرجولة .

حسن السعران

انا الحب

٥

انني اسير وحدي .. في طريق مظلمة موحشة ..
أسير وأسير دون ان التفت او أعلم الى أين المسير..

✶

اريد ان اعرف اين انا .. وهل ما زلت – كما خلقت – فكرة من وهم أزرق في فضاء واسع كبير ..
أم انني مجرد فضاء ليس بمحدود .. اريد ان أعرف اين انا .. ؟

✶

ماذا ستقول عني ..
مجنون يتكلم .. ! قل ما تشاء ، ولكن قبل ان تحكم علي .. دلني على الطريق وقل لي اين انا .. ومن اكون .. وقل بعدها .. انني مجنون ..

✶

.. والتفت ورائي فجأة .. لاسمع صوتا يناديني ..
كلا ..
انه لا ينادي .. انني انا الصوت ..
انا النداء .. فمنذ ان عرفت الحياة وانا انادي وحتى لا اسمع صدى صوتي .. !

✶

أتراني اتساءل – يوما اين كنت اتحمل ضوء هذه الشمعة الخافت ..
أتراني أرى – يوما .. ضوءها المتراقص الهادي..
أتراني استطيع ان اتحمل رؤيتها وهي تذوب ..
أكاد اجن يا صاحبي ..

✶

لك وحدك هذا القلب يا حياتي
لك وحدك استطيع ان ادعي وابتهل .. ولكن لم كل هذه النيران المتوقدة حواليك .. ؟
أتوقدينها لتبعدي الشر عنك .. !
لن اقترب منك يا حياتي ، واطفئي النار .. لانني المحك تحترقين .. !

✶

سأطهر نفسي .. سأطهر نفسي واقترب منك بعدها اقترب وارى النار ، واعلم انك توقدينها لتصطلي بها وتتبعدي ،
لا لتبعدي الشر عنك ، سأطهر نفسي ..
انك لا تعلمين .. كيف سأطهر نفسي ،
سأحرقها .. سأحرق نفسي .. فحبك في قلبي لا يزول
انه يريد نارا أزلية متأججة ..

✶

كم تمنيت ان اقطف اجمل وردة من البستان ..
اجمل واعطر وردة .. واضعها بين طيات شعرك الفاحم يا حياتي ..
ولكنني أخاف .. ان انا فعلت ذلك ..
ان يفقد شعرك الساحر الجميل رائحته وعطره !

✶

بعدي وجهك الساحر عني ..
ودعي شعرك وضفائرك فوق جبينك – هذا الذي قبلته بالامس ..
فأنا مشتاق لان اراك هكذا في صورة ساحرة ..
حتى ولو كنت لا احتمل ..
فأنا الحب الذي في قلبك يا حياتي .. !

حمص — عدنان الداعوق

قبـل الحقيقـة

*

احلامي الميته
لا زالت حيث تركتها
في الافق النائي
تلمع كقوس قزح
لن يبهر بعد الان ذاتي
.. الى أفق جديد
لا الوان فيه ولا ضياء
رحلت بذاتي المفجوعة
وقبعت ، هناك ، في الظلام
وحيدا بلا احلام
احلامي الميتة

*

في أفقي المظلم
بكت ذاتي احلامها وانتحبت
وضاقت بوحدتها معي
وتلفتت كثيرا للافق المغمور بالضياء
فلا زال يبهرها الضياء

*

هنا ..
سأقف وجها لوجه
أمام تفاهتي
وسيبزغ في ذاتي ــ هنا
فجر الحقيقة
الحقيقة التافهة

*

لتبك ذاتي وتنتحب
فلن اروع ابدا من تفاهتي
ولتلمع احلامي الميتة وتلمع
فلن يقوى بريقها
بعد الان على محوي

*

هنا ــ في أفقي
سأبقى قابعا في الظلام
وسأنتظر بزوغ الحقيقة في ذاتي
الحقيقة التافهة
الحقيقة ...

حلب • عبد الوهاب سايس

الجغرافية العربية

للمستشرق بارتولد – ترجمه وعلق حواشيه

حسين علي الداقوقي

مفتش معارف كركوك بالعراق

✳

لقد احتضنت الخلافة العربية ممتلكات الدولة الساسانية ، وبلادا شاسعة من جسم الامبراطورية البيزنطية بالاضافة الى شبه جزيرة العرب وربوع الاندلس وقد كانت هذه الدولة على النقيض من سابقاتها من الدول الشرقية ، لان أجزاءها لم تكن مترابطة بروابط الوحدة السياسية فحسب انما كانت مستندة الى اساس ديانة عامة ، فتأسست في داخليتها رابطة وثيقة دامت دون ان تفقد خطورتها حتى بعد اضمحلال الخلافة نفسها .

ان الاختلاط بين العناصر البشرية التي كانت تضمها الدولة الاسلامية ، والتأثيرات المتبادلة فيما بينها تمخضت عن حركة الترجمة الى العربية وعن تطور العلوم بما فيها علم الجغرافية . فاحتفظ العرب بقسم من النظريات اليونانية على ما كانت عليه من دون تعديل ولم يغيروها كما غيرتها النظريات الحديثة في اوربا الغربية رأسا على عقب ، فظلوا على التقسيم اليوناني القديم للربوع المسكونة من الارض من الجنوب الى الشمال الى سبعة اقاليم ، وحافظوا على نظرية سلسلة الجبال الممتدة من الغرب الى الشرق والتي تفصل اليابسة من الكرة الارضية الى قسمين. غير ان معارفهم الجغرافية من حيث غزارة المواد الجغرافية التي جمعوها ومن حيث صحتها تفوق على ما لليونان مرات ومرات ، وان الدراسات الوصفية التي قدمها الكتاب العرب عن مناطق ارض الخلافة وحواضرها ، والدراسات التي وصفوا بها الاحوال الجغرافية والمناخية لهذه البلاد قد تضمنت معلومات مسهبة وصحيحة حول حياة الناس وحول مختلف ضروب صنائعهم ودرجات تقدمهم المدني . ولم تنحصر معلومات العرب الجغرافية بين حدود ارض الخلافة بل تجاوزت الى ما وراء البوادي العربية الى البلاد الخارجية عنها فغدا الطريق البحري المؤدي الى بلاد الهند وجزيرة سيلان والصين معروفا لديهم بكل وضوح من جراء حركة الاختلاطات التجارية التي حصلت في تلك الاثناء . واكثر من كل ما ذكرنا انهم قد تعقبوا حذاء سواحل الصين وواصلوا سيرهم حتى وطئوا ارض مسمية جزيرة كوريا . اما اليابان فان ما بلغهم عنها لا يتعدى اشاعات غامضة حول هذه البلاد .

ومن جهة البر فان الآثار الاسلامية تحمل معلومات واوصافا مفصلة عن طريق الصين وتدل على ان مسالك اخرى كانت معروفة لديهم كالطرق المؤدية الى (جو) الساكنين في جهات (التبت) و (يدي صو) . والى (أيرتيشن) القاطنين في سيبيريا . والى مقرات خانات آسيا الوسطى الرحالة الضاربين على ضفاف أعالي نهر (بكي جاي) .

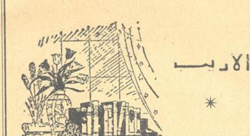
ان المع ادوار التقدم في تاريخ التأليف الجغرافي هو القرنان التاسع والعاشر الميلاديان ، ويسرنا ان نقول بان جانبا عظيما من هذه الآثار الادبية الجغرافية توجد ضمن السلسلة التي نشرها المستشرق الهولندي المتوفي (دي خوية) تحت عنوان المكتبة الجغرافية العربية .

ان اعظم مؤلفات القرن التاسع والذي حاز القيمة والاهمية الكبيرتين هو أثر ابن خرداذبة (١) ، وكذلك يكون اثر محمد التاريخي الاندلسي وهو من مؤلفات القرن العاشر المع حجة على التبادل الخصب بين الاجناس ، التبادل الذي استمر بين مختلف انحاء الخلافة حتى بعد سقوطها .

الف البلخي وهو احد جغرافيي آسيا الوسطى كتابا يسمى (صور الاقاليم) (٢) وهو مصدر رجع اليه الاصطخري وهو احد جغرافيي الفرس وجدد فيه العمل واكمله (٣) . ومؤلف الاصطخري بدوره اصابه تصحيح وتكميل من قبل (ابن حوقل) (٤) الذي نشأ في بغداد وامضى شطرا كبيرا من حياته في شمالي افريقيا .

ان المعلومات التي امكن وصولها الينا بواسطة كتب العرب الجغرافية حول البلاد الخارجة عن حوزة الخلافة مختصرة جدا ويرجع ذلك بوجه خاص الى انه لم يظفر الى الان بنسخة كاملة من مؤلف ابن خرداذبة ، ولا تيسر ايجاد نسخة من كتاب الجيهاني (٥) الذي تناول المعلومات التي اوردها ابن خرداذبة في القرن العاشر وجدد فيها العمل وعمل على استكمالها . بل كل ما هنالك اننا عثرنا على مقتبسات بلغتنا من هذين الكتابين ، وهي تعكس صورة مفصلة للطريق البحري المؤدي الى كوريا ، وتعرض معلومات قليلة جدا حول الطريق المؤدي الى بقاع الصين عن طريق آسيا الوسطى . وينبغي الا يغرب عن البال في هذا الصدد ان الخليفة العباسي الواثق بالله (٨٤٢–٨٤٧م) رأى في المنام ان سد الصين مشرف على الانهيار وامر سلاما الترجمان ان يقوم بسياحة الى السد فحصلت هذه

الأديب



لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة بدؤها شهر

يناير ، كانون الثاني

تدفع قيمة الاشتراك مقدما وهي :

الاشتراك العادي :

في لبنان وسوريا : ١٢ ليرة

للمؤسسات والشركات والدوائر الرسمية : ٢٥ ل.ل.

في الخارج : ٢٥ ل.ل. او ما يعادلها

في الولايات المتحدة ١٠ دولارات

اشتراك الانصار :

في لبنان وسوريا : ٢٥ ليرة كحد ادنى

في الخارج : ٥٠ ل.ل. او ٢٠ دولارا كحد ادنى

*

المقالات التي ترسل الى الاديب ، لا ترد الى

اصحابها سواء نشرت ام لم تنشر

للاعلان تراجع ادارة المجلة

*

تليفون : الادارة ٢٣٨١٩   المنزل ٢٥١٣٩

Tél. Direc : 23819   Dle. : 25139

*

صاحب المجلة ورئيس تحريرها : البير اديب

توجه جميع المراسلات الى العنوان التالي :

مجلة الاديب ــ صندوق البريد رقم ٨٧٨

بيروت ــ لبنان

السياحة وصورت (٦) .

وهناك قطع مفصلة مقتبسة من ابن خرداذبة والجيهاني محفوظة في الآداب الفارسية ، وتدور حول طرق التجارة في آسيا الوسطى . وقد وجدت هذه القطع بوجه خاص في كتاب عثر عليه في بخارا عام ١٨٩٢ وعنوانه (حدود العالم) (٧) لمؤلف مجهول من جغرافيي القرن العاشر ، كما وجدت قطع اخرى من هذا القبيل في مؤلف الكرديزي احد مؤلفي القرن الحادي عشر .

وبالاضافة الى كل هذه الاثار فان الطرق البحرية المؤدية الى الهند والصين عرفت بأثار مؤلف في القرن العاشر من سيراف (ميناء فارسي) اسمه ابو زيد السيرافي (٨) ، وهذا بدوره مثلما افاد من مؤلف التاجر سليمان (في القرن التاسع) فقد اكمل عمله بما سمعه من الروايات الشفهية عن ابن وهب (٩) والرحالة الاخرين .

ان مرافىء الصين الرئيسية في تلك العهود بالنسبة لاقوال العرب مدينة خانفو (كانتون الحالية) وزايتون (توبان ــ جوي ــ فوالحالية) وكان في المدينتين الثنتين اذ ذاك جالية اسلامية وافرة العدد عظيمة الشأن (١٠) .

وقد كانت الطرق المؤدية من المرافىء الصينية الى البقاع الداخلية معروفة ايضا والعرب بخلاف اليونان ، ومن بعدهم متأخرا الاوروبيين ، كانوا يعرفون الطرق البحرية والبرية المؤدية الى الصين معرفة جيدة ، ووجدوا في الآداب الفارسية معلومات تتعلق بالطريق البحري الصيني اكثر تفصيلا مما وجدوه في المؤلفات اليونانية . فنجد ان عاصمة الصين مدينة (سي ــ يان ــ فو الحالية) حافظت عند العرب على اسمها الفارسي « خومدان » ، ويقابلون هذه الكلمة باسم (هون ــ ديان) الذي يفيد معنى العاصمة . وكان هذا الاسم هو الاخر معروفا عند البيزنطيين ويحتمل انهم اقتبسوه ايضا من الايرانيين (١١) .

لقد كان مجال نظرة العرب في تاريخ العالم اوسع من مجال نظرة اليونان بمرات ، ويرجع ذلك الى اتساع معارف المسلمين الجغرافية اتساعا لم يتيسر مثله لليونان . فظهر في القرن التاسع الميلادي مؤرخون عرب حاولوا جمع روايات تتعلق بماضي الشعوب المتحضرة كافة بما فيهم الصينيون والهنود ، في الوقت الذي لم تكن هناك وسيلة تذكر لتحديد صحة هذه المنقولات وما قد توفر لدى هؤلاء المؤرخين لم يكن يكفي لتقدير الحضارات الاجنبية باستيفاء ولم يكن يلقي الضوء الكافي على الخطوط الحيوية التي تلعب الدور الاكبر في تعيين مقدرات الامم .

ان الاهمية التي اكتسبها الدين في المجتمعات الاسلامية دفعت المؤرخين العرب الى ايلاء ارجح الاهمية للمعتقدات الدينية في حياة الامم الاجنبية فرأوا ان الصين قد اغلقت الطرق المؤدية اليها امام الخارج تبعا لتعاليم دينية وضعها حكيم ديني قرر فيها « ان تأثير الاجانب يعرض اعتقاد الناس الى خطر الضعف والوهن » . وهكذا يعلل اهتمام المؤلفين المسلمين في بحوثهم التاريخية بتوضيح ديانات الاقوام الاجانب ، وتفسر دقتهم في هذه الناحية من حياة الاقوام اكثر من النواحي الحيوية الاخرى .

فالصور التي وضعت من قبل هؤلاء المؤلفين حول المذاهب المسيحية واعتقادات الفرس والهنود تسترعي الانتباه لما بلغوا فيها من مبلغ الكمال والحياد . ولم يتوان

واضعو هذه البحوث في هذا المضمار عن تعلم اللغات الاجنبية وتحمل مصاعبها كما كان شأن البيروني أحد علماء القرن الحادي عشر . فقد ترك أثرا مهما حول الهند يدل على امتلاكه ناصية اللغة السنكريتية وتضلعه بها .

يعتبر القرن العاشر الميلادي الدور الكلاسيكي لتاريخ الجغرافية العربية أما المؤلفات الجغرافية التي وضعت بعد ذلك فانها لا تعكس سوى مجموعة مواد تعود للقرنين التاسع والعاشر . ومن أشهر المؤلفات المتأخرة من هذا القبيل الحاوية على تلك المواد هو مؤلف الادريس (١٢) المكتوب في صقليا في القرن الثاني عشر . والمعجم الجغرافي لياقوت الحموي في القرن الثالث عشر . ويستلزم عند استعمال هذه الاثار ان يوضع حيال الاعين بان المعلومات الواردة فيها لا ترجع الى الازمنة التي عاصرها جامعوها انما ترجع بوجه خاص الى القرنين التاسع والعاشر . وهذه حقيقة كثيرا ما نسيت فأدت بالباحثين الاوربيين الى الوقوع في أغلاط عديدة في هذا الشأن .

الشـــــروح :

(١) (المسالك والممالك) . الفه في سنة اثنين وثلاثين ومائتين من الهجرة . استرعى هذا المؤلف انتباه الغربيين في القرن التاسع عشر . فنشر (رينو Reinaud قسما منه تحت عنوان (المدخل الى جغرافية الشرقيين) . وفي عام ١٨٦٥ طبعه Barbier de Maynard باربيه دومينار) في باريس ، وقد نقله الى الفرنسية ونشر الاصل مع الترجمة الفرنسية . وفي عام ١٨٨٩ نشره دي خويه في ليدن في سلسلة Bibliotheca Geographorum Arabicorum وتعرف بالاختصار BGA المجلد السادس VI

(٢) وهو اكبر مرجع عول عليه الاصطخري [راجع آرم متز ٢ ح ص ١٠]

(٣) ابو اسحق ابراهيم بن محمد الاصطخري (المسالك والممالك) . اثار اعتناء المستشرقين في اوربا فطبعه مولر J. H. Moeller في غوتا سنة ١٩٣٩ ثم نشره دي خويه بطبعة انيقة في ليدن ١٨٧٠ ١ح المكتبة الجغرافية العربية .

(٤) ابو القاسم محمد بن حوقل البغدادي : الف كتابه صورة الارض او المسالك والممالك عام ٩٦٧ م وهو يحمل خاصية كتاب تاريخي وجغرافي معا قام بتحقيقه وترجمته السر W. Ouseley وطبع في لندن سنة ١٨٠٠ ثم أخذ P.J. Ugienbroek بطبع المتن العربي والقسم الخاص بعراق العجم من هذا الكتاب باسم (خلاصة اخبار المسافر والعجم في معرفة بلاد العراق والعجم) في ليدن سنة ١٨٨٢ بعد اضافات وحواش قيمة . وترجم دوسلان De Slane الى الفرنسية القسم الخاص بافريقيا ونشره في باريس عام ١٨٤٢ . وبعد ثلاث سنوات من انتشار كتاب المسيو دوسلان ترجم آماري Amari القسم الاخر من كتاب المسالك والممالك باختصار الى الفرنسية ونشره في باريس سنة ١٨٤٥ . وعلى اثر هذه الترجمات حاز هذا الكتاب اهمية كبيرة في اوربا . ففي عام ١٨٧٣ نشره دي خويه كاملا في ليدن II BGA

راجع رسالة العلامة Z. W. Togan المنشورة في حيدر آباد سنة ١٩٣٤ باسم Islam and the Science of **Geography** وكتابه المشهور بـ (اصول البحث في التاريخ) وقد اورد في الثاني بان اقدم نسخة من هذا الكتاب واكملها موجودة في مكتبة طوبقيوسراي باستانبول رقم ٣٣٤٦ وعليها نشر J. H. Kromers الكتاب تحت عنوان Opus Geographicicum Auctore Ibn Haukel ليدن سنة ١٩٣٩

(٥) الجيهاني وزير احمد بن نصر الامير الساماني ويعرف كتابه بـ (المسالك والممالك) . وهذا الكتاب كان قد وقع في سبع مجلدات ضاعت كلها ، الا ما نقل عن مطهر بن طاهر المقدسي في كتاب البدء والتاريخ ، والكرديزي في كتاب زين الاخبار الذي الفه في حدود سنة اربعين واربعمائة ، وشرف الزمان طاهر المروزي في كتابه منافع الحيوان ، الذي نشر قسما منه مينورسكي .

كان الجيهاني مولعا بجمع اخبار الملل غير الاسلامية في الترك والصين والهند . وكان يكتب الى بلاد الروم والصين والهند يسأل عن عادات تلك البلاد . وكان يجمع الاجانب الواردين من تلك الاصقاع عنده ويسألهم عن الخراج ، والطرق وامور تتعلق بالسياسة ثم يضع ما سمعه في كتابه المذكور (مقتبس من بحث للاستاذ ريتر نشر في كتاب (المنتقى من دراسات المستشرقين ١ح) .

(٦) راجع ما ذكره عن الرحلة : المقريزي وياقوت والادريس في نزهة المشتاق ، ومولانا ابو الكلام آزاد في مجلة ثقافة الهند سبتمبر ١٩٥٠ .

(٧) حدود العالم (فارس) كتب سنة ٣٧٢ هـ و٩٨٢هـ وقد نشره ف. بارتولد V. Barthold بواسطة الاكاديمية الروسية العلمية جزءا فجزءا . لننفراد ١٩٣٠ وترجمه الى اللغة الانكليزية ونشره وعلق له حواشي ف.مينورسكي V. Minorsky بعنوان The Regions of the World في(مجموعة تذكار جب) أكسفورد ١٩٣٧

(٨) سليمان السيرافي رحالة عربي لا نكاد نعرف شيئا عن ترجمة حياته ولكن وصف سياحته في الهند والصين انتهى الينا فقد كتبه سنة ٢٣٧ هـ (راجع كتاب الرحالة المسلمون في العصور الوسطى ص ٢١ ، ٢٣)

(٩) ابن وهب القرشي: قام برحلة الى الصين نحو سنة ٢٥٦ وساح طويلا في ممالك الهند الصين وقد افاد من حديثه مؤلف اسمه ابو زيد حسن . (الرحالة المسلمون في العصور الوسطى ص١٩)

(١٠) راجع : تاريخ العراق الاقتصادي في القرن الرابع الهجري للدكتور عبد العزيز الدوري ص ١٤٧

(١١) احسن ما يجدر ذكره :
Gabriel Ferrand: Relations de voyage et textes géographiques et Arabes, Persans et Turcs relatifs à l'Extrême-Orient du VIII au XVIII siècles, Paris 1913-1914 جزءان

(١٢) الادريس : نزهة المشتاق في اختراق الآفاق الفه بناءا على طلب الملك روجر ضمنه ما توصل اليه الاقدمون وزاد عليه بحوثه الخاصة . منه نسخ مخطوطة في باريس Arab. (2221, 2222) وفي استانبول : مكتبة كوبرولو رقم ٩٠٥ ونسخة اخرى مع الخرائط في مكتبة اياصوفيا رقم ٣٥٠٢ مكتوبة سنة ١٤٩٩ وراجع عن طبعات الكتاب : الاستاذ Togan وقدري حافظ طوقان في كتابه العلوم عند العرب واورد الاستاذ محمد بهجة الاثري معلومات قيمة عن الادريس في مقالة له نشرها في مجلة المجمع العلمي العراقي نيسان ١٩٥٢ .

العراق ــ كركوك **حسين علي الداقوقي**

الطـاحون

للشاعر البلجيكي فيرهارين

في اعماق المساء .. تدور الطاحون بهدوء عميق
في سماء كئيبة ، لهفى
تدور وتدور وشراعها بلون الحثالة
فهي حزينة ، ضعيفة ، ثقيلة ، تعبى للغاية

★ ★ ★

منذ الفجر ، واذرعها ممتدّة كأذرعٍ تشكو
انها تتراخى أيضا
وها هي تتدلّى .. هناك في الهواء الاسود
والصمت مطلق .. صمت الطبيعة الخامدة

★ ★ ★

ذات نهار ماطر حزين ، فوق القرى الغافية
الغيوم تعبى ، من رحلاتها الغامضة
والغابة الطويلة تلملم ظلالها الخضراء
والعجلات ترحل نحو افق ميت

★ ★ ★

حول مستنقع حنون ، بضع اكواخ من الشجر
شيدت بحزنٍ عميق على شكل دائرة
وهناك مصباحٌ نحاسيّ يضيء سقوفها
فينسلّ شعاع عاشق من زوايا نوافذها

★ ★ ★

وفي السهل المديد ، على شاطىء موجة ناعسة
هذه البيوت القلقة ، تحت السماء المنخفضة ترنو
بالعيون المشقوقة ، خلال النوافذ الوحشيّة
والطاحون العتيق تدور تعبى ، تدور وتموت

طرابلس **صالـح درويش**

قصة سورية

المرأة التي كانت امه

بقلم اسكندر لوقا

لم يكن يعلم بانه ضيق الابعاد ، صغير الحجم ، الى هذه الدرجة، حتى جاء الى « الشام » لاول مرة ، فرفع بصره الى البنايات العالية على جوانب الشوارع . الشوارع العريضة التي يكاد يذوب فيها كما تذوب قطرة من ماء في بحر ..

احس الفتى في المدينة الكبيرة .. بما يحس به الفار في متاهة علماء النفس والحيوان ! فار مرتبك امامه ثمة طرق لا يدري ايها يسلك لينجو بنفسه من هذه الزحمة التي لم يألفها من قبل في طرقات القرية التي ودعها في الصباح مكرها ، ولن يعود اليها ثانية الا اذا عثر في « الشام » على ضالته ..

الفتى يبدو في اول شبابه . ربما في الثامنة عشرة من عمره او دون ذلك بقليل . هيئته تنم عن انه رقيق الحال بين اليسر والعسر . يلبس جلبابا فضيا مقلما بخطوط سوداء لامعة .. مشدودا الى خصره بدكة سوداء ايضا . وفوق الجلباب سترة ذات لون بني متأثر بالشمس . وفي قدميه حذاء مستعمل علته غبرة واضحة .

كانت عيناه تائهتين . لا يدري الى اية جهة يتحول بناظره . الى الجبل الذي سمع عنه كثيرا في القرية ؟ الى القصور التي قرا عنها في الكتب المدرسية ؟ الى السيارات الفارهة الملونة المسرعة تنهب الطريق وتغيب ، كما تظهر وتختفي الذكريات في رأسه .. كان ثمة كارثة ستحل بذلك المكان ؟ الى الاناسي يمرون به ولا يلقون اليه بالا ؟ الى الاشجار المزروعة على جانبي الشارع الطويل وتبدو متعانقة من بعيد تؤلف خطا اخضر واحدا ؟

انه لا يدري تماما ..

كل شيء حوله يغري بالتأمل فيه. ومرقت اذ ذاك من امامه فتاة

o

o o

نحيفة العود ، جميلة ، انيقة جدا . التقت عينه بعينها . عيناها عسليتان! وكانت الفتاة ترتدي ثوبا رقيقا مثقوبا من عدة جهاته العليا بثقوب غير دقيقة ، يظهر من تحتها لحمها الناصع كان ثمة عيونا مزروعة هنا وهناك تصعد وتنزل في وجوه الرجال كما تصعد وتنزل عيون هؤلاء الرجال على بدن صاحبتها !!

وكان لهذه الفتاة تاثير كبير عليه ، كتأثير الكوكب الجديد في عالم الفلك الذي يكتشفه على حين غرة ! على ان الفتيات اللواتي مررن به فيما بعد ، استطعن ان ينتزعنه من غمرة ذهوله بكل جديد في النساء ، تكاد نفسه الجاهلة تقع تحت تأثيره لاول وهلة !!

وكان لا يزال واقفا امام « السبع بحرات » في شارع بغداد . الهواء الناشط يرشقه برذاذ الماء المتطاير من نافورة البحيرة فينعشه . الوقت أصيل . حركة السير عنيفة . بنت صغيرة في يد امها تثور في غضب ويصبح جسدها كخلية النحل الهائجة . ثمة قطة هزيلة مدهوسة ملقاة قرب الرصيف ..

وكان لا بد ان تبدأ مهمته . ان يبحث عن ضالته . عن المراة التي يمضغ ناس القرية اسمها بافواههم منذ سنوات طويلة، وينعتونها بصفات قبيحة . المراة التي كانت امه ذات يوم ..

فحاول السير .. ولكنه تفكر الى اين ؟

كان دابه الخروج من القرية على صورة من الصور ، ذلك انه تشاجر مع ابن قائد فصيل الدرك .. وضربه على عينه ضربة قاسية .. معلنا بها عن كامل سخطه على ناس القرية ، منذ وقت طويل ..

لم يكن يهمه من قبل ان يسمع من الناس بأن امه قد هربت مع معلم مدرسة الى « الشام » يوم كان في الثامنة من عمره . وكان يجب ان يتريث في القرية مدة اطول لجمع اخبار امه والتعرف على ماضيها قبل محاولة البحث عنها ، ولكن جاءه ابن قائد فصيل الدرك مؤخرا وعيره بامه ، وقال له امام جمع من الناس : « ابن الـ ... » ففقد اعصابه اذ ذاك ، وما لبث ان اشتبك معه في شجار اسفر عن تحويل لون عين خصمه الى لون الصدأ ! ومن ثم فر الى المدينة . فر من وجه «السلطة» الوحيدة في القرية ! وقرر – بالمناسبة ان يبحث عن المراة التي بقيت ثماني سنوات بدون رجل.. ثم احبت معلم مدرسة .. وهربت معه .. وتركته صغيرا ترعاه جدته لابيه .. وسببت له آلاما كبيرة ..

البحث عن امراة معينة مهمة عسيرة .. وتجربة عقيمة .. في هذه المدينة الواسعة ، ذات الشوارع العديدة الفسيحة .. وخصوصا اذا كانت ملامح المراة المطلوبة غير واضحة، ولكن مجرد «كروكي» خطوط رئيسية

انه يكاد لا يذكر امه . كانت نحيفة . ذات عينين خضراوين كعينيه . شعرها طويل اسود. ولكنه لا يذكر شكل فمها وانفها وجبينها. انما سمع اكثر من مرة من جدته لابيه، بانه صورة طبق الاصل عن امه . امه القاسية . وكان ذلك من بواعث اطالته النظر الى وجهه على صفحة المرآة.. ثم الضوء الوحيد الذي يخترق ظلمات مأساته .. واول الخيط الذي أمسك به حينما وجد نفسه مرغما على البقاء في المدينة ، يسير مع جملة من الناس صوب «بوابة الصالحية » .

وبلغ ذلك المكان ، وسأل هناك عابر سبيل عن اسم فندق ، فسمى له الرجل فندق « قصر عدن » . يقع على « كتف » نهر بردى .. قرب

فندق اخر اسمه « سميراميس » .. احدث فندق في المدينة . وقال له بانه في وسعه ان يختار لنفسه احدهما !!

لم ينتبه الفتى الى ما في اقوال الرجل من سخرية ، ولكن تلمس سبيله الى الفندق سائلا اين يقع نهر بردى . فوصل اليه بعد تجوال قصير . ووجده متواضعا وكما كان يرغب ان يجده . وقبل ان يضع قدمه على عتبته .. تحسس كيسا صغيرا في ثنايا الدكة التي يشد بها وسطه .. وتسلق بعد ذلك الدرجات الضيقة ..

المدينة تبدو رائعة ومغرية كالحسناء التي التقت عينه بعينها قرب « السبع بحرات » .. من نافذته العالية ! الاضواء تظهر وتختفي في كل مكان كعيون مصابة بالرجفان! المصابيح كأنها نساء عاريات يتدفق من أثدائهن النور ! النهر ماؤه قاتم يأتي من بعيد حاملا معه قصصا مؤلمة من التاريخ . حركة السير لا تزال على اشدها . والناس لم تخل منهم الطرقات . الطرقات التي تأخذ بالالباب .. وتأسر قلوب القرويين ..

ودار حول نفسه في الحجرة البسيطة التي اودع فيها كل تعب جسمه . جدران مزينة بنقوش ملونة صغيرة ولكن غير دقيقة . الارض مبلطة ومرشوشة بالماء . الفراش ليس طريا تماما . الوسادة فيها قش حتما ! المرآة .. واما المرآة ، فالتقت عينه بها اكثر من مرة .. فوقف امامها وراح يطيل التحديق الى العينين الخضراوين .. والشعر المهوش الاسود .. والقسمات القوية التي تنم عن طيبة وعزم معا ..

انه يشبه امه . حسنا . ولكن ذلك لم يعد له اهمية بالغة في الموضوع . انه بعد ان طالع تلك الوجوه المطلية بالاحمر والابيض في الطريق .. فقد نصف رجائه بالتعرف على امه اذا ما لقيها صدفة في مكان ما ، بين جمع آخر من الادميين !

وخرج ليتناول عشاء خفيفا في مطعم صغير قرب الفندق اياه . ومن ثم دار مرتين حول النهر يستنشق هواء المساء مضمخا برائحة السمك . ورائحة الارض المبلولة .. وما هي الا ان عاد الى مأواه .. ورأسه محشوة تدور مع جملة أفكار متعبة ..

غدا موعده مع العمل . ولكن من اين يبدأ ؟ اين يقف ليستعرض النساء؟ كم يوما سيقضيه في الشام ؟ الايجدر به ان يسأل عن عمل يكفل له دفع اجرة الفندق الذي ينام فيه على الاقل ؟ ولكن كيف يتاح له تأدية مهمته اذا ما ملأ يومه بساعات عمل ؟ واذا لم تكن امه موجودة فعلا في « الشام » ، وكانت — مثلا — في مدينة اخرى او في قرية من القرى ذهبت اليها مع زوجها المعلم ؟ من يسأل ؟الشرطة؟ المخاتير ؟ دائرة النفوس ؟ صاحب الفندق ؟

قال له صاحب الفندق ان دائرة الشرطة لا تستطيع ان تساعده . وموظفو النفوس اعمالهم الرسمية تبتلع كل اوقاتهم ، بالاضافة الى ان كل واحد منهم وراء طاولته نصف امبراطور ! والمخاتير انفسهم مجرد القاب فارغة يسعون وراء المصالح الشخصية ! ولا احد يعرف حقا ماذا جرى هنا قبل عامين .. فكيف قبل عشر سنوات ؟!

فاسقط في يد الفتى غب اول سؤال طرحه على انسان . والدوامة التي بدأ يدور فيها متعبة حقا . فما أطيب النوم العميق ، حتى الاصباح ، على انسام الليل ؟ الانسام التي تذكره بجو قريته . بصفاء سمائها ونقاء فضائلها ؟

لشد ما يستشعر حنينا الى كل شبر من تلك الارض التي تفوح منها رائحة الحقول. الارض التي نما عليها كساق شجرة جذورها عميقة . لشد ما يحب القرية التي تنكر لها في ساعة حرج . جدته التي ذرفت دمعها خلفه . النهر الذي اغتسل بمائه مرة وكاد يغرق فيه . نساء القرية اللواتي لا يتبرجن .. ولا ينثنين الا في عذوبة وطهارة .. ولايعرفن الابيض والاحمر والشعور القصيرة كشعور الصبيان !

غدا لن يعمل شيئا . سيعود فقط الى قريته . سوف يقبض عليه حتما اذا عاد ، ولكن ذلك لا يهم .. طالما ان ابن قائد الفصيل .. وباقي الرجال.. لن يلوكوا اسم امه بافواههم في حضوره .. بعد ان ضرب ابن اقوى شخصية في القرية ! سيعرفون اذ ذاك بانه قد صار رجلا . دخل السجن . ككل الرجال الذين دخلوا السجن وخرجوا منه !!

مرة اخرى تقلب الفتى في فراشه القاسي . وحدق الى الضوء الاحمر الذي يبدو كعين متعبة من كثرة السهر ومصابة بالتراخوما ! الجو لطيف مقبول ، ولكن افكاره لا تدعه يتفرغ للنعاس . الافكار أقوى من النوم . ورأسه مستودع افكار . فكيف ينام ؟

يجب ان ينسى اذن لماذا حضر لماذا هو موجود في المدينة التي يتيه فيها الانسان كفأر ضئيل تافه ؟

ابوه مات قبل ان يخرج هو الى الحياة .. فماذا يضيره ان تموت امه الان ، فيريح ويرتاح ؟!

انه لم يعد شيئا بالنسبة الى امه .. والا لما فرت مع معلم المدرسة وحرمته دفء صدرها .. واهملته كل هذه السنوات الطويلة . فلم لا تكون امه بالنسبة اليه مجرد خاطر وليس شيئا اخر البتة ؟

ابوه مات قبل ان يولد . وامه يجب ان تموت الليلة . هذا كل ما في الامر ..

وذرف الفتى دمعتين على قبريهما ..

ونام ..

ومع خيوط الصباح الاولى ، ودع صاحب الفندق .. وترك باب حجرته مفتوحا ليلعب فيها الهواء . وسار في الدرب . درب المدينة التي نامت فيها امه مع رجل اخر غير ابيه منذ عشر سنوات ..

وبصق في مياه نهر بردى ..

واسرع خطاه كأنه مجداف يشق الموج .. وبلغ ساحة المرجة وكان قد انتشر فيها ثمة عمال يكنسون ارضها في نشاط. احدهم كان يغني ميجانا، وبين قدميه كلب وسخ صغير.. يلعق براس لسانه عظمة يلعب حولها الذباب ..

اراد ان يتوقف امام المشهد يتأمل فيه ، ولكن تساحب الى اذنه صوت رجل ينادي من بعيد : حمص .. حماه .. حلب . حمص .. حماه ..

فغذ السير صوب الكراج ..

وفي طريق عودته ، مر « بالسبع بحرات » ، وخيل اليه كأن ثمة فتاة تنتظره على عطفة الطريق . فتاة عيناها عسليتان .. يضحك الحب له في جفنيها ..

دمشق ـ كلية الاداب اسكندر لوقا

ابن المقرب من شعره

بقلم عبدالله علي الخنيزي

o
o o

في الجزء السادس – يونيو ١٩٥٥ – من الاديب الغراء : كلمة قصيرة ، حول ديوان ابن المقرب كتبها الاستاذ محسن جمال الدين ، بنفس وشعور رفيع ، تكبر فيها الاخلاص ؛ وتجاوبها اصداء عميقة ، بعيدة في نفسي ... ذلك : دعوته لازاحة هذه الاكداس ، الحاجبة عن اعيننا الضوء ، لنبصر من ماضينا : جوانبه المشرقة ، ونتطلع الى رجالاتنا الخيرين ؛ فالحاضر انبثاق من الماضي . والماضي للحاضر بذرته الاولى ، وانبثاقته المتصلة . فامة لا ماضي لها امة بتراء . وامة لا تصل ماضيها بحاضرها ، وحاضرها بماضيها ، لتماسك بينها الحلقات ، وتشتد الاواصر ، وتبعث التفاعل امة ناقصة الثقافة ، ضحلة المعرفة ، منكرة لما عليها من واجب ودين .

وفي نفس الموضوع : [ابن المقرب ، وديوانه] ، من بريد الاديب – اكتوبر ١٩٥٥ – كلمة اخرى ، للاستاذ محمد عباس القباج ؛ دفعته تلك الكلمة ، والشعور الانساني والتعاون الادبي ، لان يسجل فيها ما يعرفه عن هذا الشاعر وديوانه .

وكلتا الكلمتين ، القيتا على كاهلي الواجب ، لان اقوم بتسجيل هذه الالمامة القصيرة ، عن هذا الشاعر – وهي جهد المقل ، والفقير من مصدر ، يسعف الباحث ، ويأخذ بيده في ملتوي الطريق . اذ ليس – لدي – ما ينير لي هذا الطريق ، سوى الديوان نفسه ، وما فيه من شروح كلاسيكية بالية ، تلقي بعض الضوء .

نسب الشاعر ، ولمحة عن العيون والاحساء

نسب شاعرنا الامير – كما نجده في الديوان – هو : علي ، ابن مقرب ، ابن منصور ، ابن مقرب، ابن ابي الحسن ابن غرير ، ابن ضباب ، ابن عبد الله ، ابن علي ، ابن عبد الله ابن محمد ، ابن ابراهيم ، ابن محمد ، العيوني ، الاحسائي – ويكنى بأبي عبد الله، ويلقب بجمال الدين (١).

واما العيوني – وليس « العينوني » ، كما ذكر الاستاذان : محسن جمال الدين ، والقباج – فنسبة للعيون : احدى المدن الاحسائية وقد ذكرها الفيروز ابادي – في قاموسه – تحت مادة « عين » : قرية بالبحرين – ويعني بالبحرين : المعنى القديم ، لهذا الاقليم ، كما سنوضحه قريبا .

وقد اشار لها شارح الديوان ، عند مطلع قصيدة لشاعرنا ، يمدح بها الامير شمس الدين باتكين ، امير البصرة ، عند قتاله بني معروف ، وهو :

ترى حيث اعلام العيون تراها فخلوا لاعناق المطي براها

فيقول الشارح : [العيون : ناحية الشمال من الاحساء من البحرين . زعموا انه كان بها اربعماية عين كلها تجري ، وتسقي بساتين ، وهي الارض التي تنسب اليها ملوك البحرين : بنو عبد الله ابن علي العيوني ، وكان صاحب مال عظيم] (٢) .

وعبد الله هذا ، هو الجد السادس للشاعر .

وقد ذكر « العيون » جرير ، في بيت ، قاله ، في احمر بن غدانة :

ونبئت عبدا بالعيون يسبني احيمر سوارا على كرب النخل (٣)

ولعل من الخير – وقد ذكرنا بيت جرير – ان نذكر ما اجابه به احمر :

اعيرتنا بالنخل ان كان مالنا ؟ وود ابوك اللؤم لو كان ذا نخل(٤)

وينسب هذا البيت – بابدال « ابوك الكلب » للصلتان العبدي ، ردا على جرير ايضا ، في بيت اخر (٥) .

وكان قد [نزلت عامر بن الحارث بن انمار بن عمرو ، بن وديعة بن لكيز بن افصى بن عبد القيس ... الجوف والعيون والاحساء ، حذاء طرف الدهناء ، وخالطوا اهل هجر في دراهم] (٦).

اما الاحساء : فجزء من الرقعة الممتدة ، التي كان يطلق عليها – قديما – احد الاسماء الثلاثة : الخط . البحرين . هجر . وبعد تعاقب الازمنة ، طرا على هذه الاسماء ما ابدل اطلاقها ، فكان ان اختصت الاحساء باسم هجر .

والاحساء – في اللغة – جمع حِسي – بفتح اوله ، وقد يكسر – السهل من الارض ، الذي يستنقع فيه الماء « او غلظ فوقه رمل يجمع ماء المطر ، وكلما نزحت دلوا جمت اخرى » (٧) . وقيل : « هو الماء الذي تنشفه الارض من الرمل ، فاذا صار الى صلابة امسكته » (٨) . وقيل فيه غير ذلك .

وهناك عدة مواضع ، تحمل اسم الاحساء – ولعل اكثرها في البادية ،حيث تنطبق عليه هذه الكلمة ، فيما تحمله من معناها اللغوي . فمنها : احساء بني سعد بحذاء هجر . وماء لجديلة طيء باجا . واحساء خرشاف . واحساء القطيف . و « مدينة بالبحرين معروفة مشهورة كان اول من عمرها وحصنها وجعلها قصبة هجر : ابو طاهر الحسن بن ابي سعيد « الجنابي » القرمطي ، وهي الان مدينة مشهورة عامرة » (٩) .

---

(١) ذكر الاستاذ القباج نسب الشاعر هكذا : « الامير غالي الدين : ابو عبد الله ، محمد بن علي ، بن المقرب ، بن المنصور ، بن مقرب ، بن علي ، بن عبد الله ، بن محمد ، بن ابراهيم ، بن محمد القيولي » . ومما نستدل به على ان النسب الذي اتينا به اصح : اسم الشاعر نفسه . فليس من شك ، في ان اسمه علي ، وليس محمدا . والنسبة فهو : « العيوني » ، لا القيولي – وان يكن القباج ، قد لفت نظر القارىء للنسبة بكلمة (كذا) الا انه ذكره – اولا – « العينوني » وكلاهما خطأ .

(٢) الديوان ص ٥٥٨ . (٣) و (٤) طبقات فحول الشعراء لابن سلام : تحقيق محمود محمد شاكر ص ٣٨٦ (٥) المصدر ص ٢٤٥

(٦) المصدر هامش ص ٣٨٦ (٧) القاموس ص ٣١٧ : ع

(٨) مهد العرب ، الدكتور عزام ص ٨٤

وهذه الاخيرة هي الاحساء ، اليوم .

وفي تحديد الاحساء ، وقع الجغرافيون القدامى ، في اختلاف ، يعسر على الباحث تقصيه ــ مثلهم في مدلول كلمة البحرين ، والخط ، وهجر ، وحدودها . ولعل السبب في ذلك : ان كل واحد منهم ، يسجل ما يسمع ، دون تثبت من الواقع ، او انه يسجل ما يصطلح عليه في عصره ، دون ان يدرس ما سجله من قبله . لهذا من الصعب ان تجد الكلمة الفاصلة له ، في الموضوع ، لتضارب الاقوال!

والاحساء : صحراوية رملية ، ترتفع من الجهة الغربية عن ساحل البحر . لذلك فان هواءها شديد اللهب في الصيف ، يثير الرمال ، فيكسو الافق بحلته الدكناء . وفيها: كثير من التلال ، الا انها متباعدة ، كأنها قائمة على نفار .

وهي من كثبان الرمل على غنى ؛ وتنتقل هذه الثروة الرملية من محل لاخر ، حينما يزلزله من مستقره ، ما يهب من العواصف والزوابع .

وفي الاحساء ــ مما يسترعي الانتباه ــ جبل القارة الرائع . ويجثم هذا الجبل في جهتها الشرقية .

اما ارضها : فمخصاب. فثروتها المائية غزيرة. وتوجد فيها بعض المياه المعدنية . ولكن ــ مع كثرة ما فيها من الاراضي ، العامرة بالزراعة ــ فان فيها من الاراضي القاحلة والصحارى المقفرة ، ما لعله يزيد على المساحات المزروعة ، اضعافا واضعافا .

الديــوان

كان لا بد لنا ، وقد نسبنا شاعرنا للاحساء : ان نسجل سطورا حولها . وكم كنا نود ان نستوفي الحديث حولها ــ في مثل هذه المناسبة ــ لولا ان الحديث ــ وقد يطول ــ يخرجنا عن موضوعنا ، او يبعد علينا فيه الطريق !

والان ، نود ان نخلص من تلك المقدمة ، لنعرف القارىء الكريم ــ اولا ــ بشكل الديوان ، قبل ان نمضي في الحديث ، عن الشاعر وشعره ــ وهما حديث واحد ؛ اذ ليس لنا حديث ، حول الشاعر ، من سوى الديوان .

يقع الديوان في ٥٧٦ صفحة ، من القطع الوسط ــ وهي كل ما اشتملت عليه الدفتان ، من مقدمة مسجعة ، وشروح خاطفة . وهذه الشروح ، تفصل بين البيت واخيه، فهي تتخلل الابيات ، وتجزأ القصيدة ، الا ان هناك بجانب كل بيت ، من شعر الشاعر ، رقمه المتسلسل بين القصيدة ويضم الديوان ، من الشعر ، واحدا وتسعين قصيدة (١٠)، تكون اربعة الاف وستمئة وستين بيتا .

اما جامع الديوان ، فهر ــ كما نهتدي له ، من التقريظ الذي في نهاية الديوان ــ الشيخ حمد بن خليفة العيوني .

وقام بطبعه عبد العزيز بن احمد العويصي . وقد طبع في [المطبعة دبرت ساد الواقع في المنبىء سنة ١٣١٠ هـ] .

وهذه الطبعة ــ كما يتبين لنا ــ غير الطبعة ، التي اشار اليها الاستاذ القباج ، في مقاله ، حيث ذكر انه «طبع بالمطبعة الميرية بمكة المكرمة في عهد ... عبد الحميد عام ١٣٠٧ هـ. وقد التزم نشره الشيخ عبد الله بن سعيد باخطمة » .

ولم نقف على الطبعة الثانية ، حتى نعرف اي الطبعتين :ميز واتقن ، واوفى لشعر الشاعر . وهل الجامع واحد ، ولا تمتاز احداهما عن الاخرى ، من حيث ضبط الرواية وصحتها ، ومن حيث استيفاء شعر الشاعر ، ام هناك خلاف بينهما ذو قيمة ؟

وتنسب للشاعر قصيدتان ، في رثاء الامام حسين السبط «م» ؛ ولم نقف عليهما في الديوان ، الذي بايدينا.! ولماذا ...؟ الانهما منحولتان ؟ أم انهما اسقطتا عند الطبع ... ؟

نحتاج ، في الاجابة ، عن هذا السؤال ، الى دراسة اوسع من هذه ... ونامل ان نتوفر عليها في المستقبل ، حين تتاح لنا ادوات الدراسة العلمية ، عن الشاعر وشعره.

وعندما عارضنا ما اتى به الاستاذ القباج ، من الفقرات التي اقتطفها من مقدمة الديوان ، وجدنا بعض التفاوت ، بينها في الاديب ، وبينها في الديوان الذي لدينا . ولعل من الخير : ان ناتي على شيء من هذه الفقرات بالذات ، ليتسنى للقارىء الكريم المقارنة . وقد جعلنا ما نجده من زيادة ، في الديوان ، عما جاء في الاديب ، بين قوسين « ... » كما جعلنا هذه الاشارة «خ» جوار الكلمة التي فيها خلاف ، ما عدا المواضع التي لها اهمية ، فانا سنشير لها في الهامش :

[وقد اعطى « الله » الامير جمال الدين ابا عبد الله علي ابن مقرب ــ الخ (١١) ــ من هذه الحلة «خ» افضل الانصبا «خ» وخصه «خ» فيها بخصائص لم ينلها احدا «خ» من الادباء ، حتى صار فريد دهره . ومقدما «خ» في هذا الشان على كثير من سابقي «خ» عصره . « وشهد له بالسبق كل ناقد اريب ، وملكه زمام الفضل كل فاضل اديب . وفيه كرم النفس المتوافر ، ونزاهتها ومجدها المتكاثر ، والتمسك بالدين والعفاف ، وحسن الخلق والانصاف ، فلم يقصر عن الكمال بغوى فضيلة ، ولا دنس عرضه بارتكاب رذيلة . بل كمل فضلا وخلقا ، واخذ من كل نفيس حظا وحقا » (١٢) ومع ذلك فقد نظم بدائع الكلم (١٣) قبل «بلوغ » اوان الحلم ، وبرز على الكهول في الشعر (١٤) ولم يزد سنه على عشر . ولم يخرج منه القريض لاكتساب مال ، او لفاقة ورثاثة حال (١٥) فانه من ... (١٦) الشرف الاصيل « والنسب » الوافر الجزيل، وله النفس الابية عن المطامع ... (١٧) « والجبلة المرضية في الطبائع » . ومنه الاحسان العميم على الاقارب والاباعد

---

(٩) القاموس ٣١٧ : ٤ ، وجغرافية شبه جزيرة العرب ، لرضا كحالة ، حاشية ص ٢٦١ــ٢٦٢ . وقد ذكر « الجنان » بدل « الجنابي ».

(١٠) من الخير ان نشير الى : حدوث غلط في عدد القصائد ، فتكرر رقم ٧١ ، فبلغ مجموعها ٩٠ ، فاذا صححت الغلطة كان ٩١ .

(١١) وهو ما سبق ان عرضنا له في صدر المقال . وقد اشرنا الى الاختلاف في نسب الشاعر ، عما جاء هنا ، وعما جاء في مقال القباج. وكذا لقب الشاعر ونسبه .

(١٢) ما بين القوسين من « وشهد » الى « وحقا » ــ زيادة في الديوان ، عما جاء في مقال القباج . وكذا كل ما بين قوسين .

(١٣) في المقال : ومع ذلك اختص بنظم بديع الكلم .

(١٤) في المقال : وبرز على الملوك في الشباب ــ ولا نشك في ان الاصح هو ما جاء في الديوان . اذ به يستقيم سياق الحديث .

(١٥) في المقال : ولم يكن همه لاكتساب مال ، ولو نالته رثاثة حال .

(١٦) في المقال زيادة ــ محل النقط ــ كلمة : ارباب .

(١٧) في المقال زيادة كلمة : الموبقة .

(١٨) والافضـال الجسيـم (١٩) والافاضـل الجسيـم
(١٩) على الغادي والقاصد «خ» شعره مقصورا « خ »
على تعديد «خ» مناقبة وتعريف «خ» ابائه واقاربه] .

ونكتفي بهذا القدر ، فليس لنا ان نمضي في المقارنة ، بين كل ما اقتطعه الاستاذ القباج من مقدمة نسخته .

الامارة العيونيـة

انبسطت السلطة القرمطية على البحرين ؛ وكانت ـ كما اشرنا ـ قد عمرت الاحساء ، وجعلت منها مدينة . ولكنها عندما انهارت منها قوى السلطة ، واذنت بالعدم والانقراض ، ثار في وجهها الثوار ، بعدما سئموا الضيم وذاقوا مرارة الاذى . وكان قد تزعم حركة الثورة في القطيف : يحيى بن العياش . وفي البحرين : ابو البهلول محمد بن يوسف الزجاج . وفي الاحساء : عبد الله بن علي العيوني .

وخلف يحيى على القطيف ابنه زكريا . فما عتم هذا ان غزى البحرين ، فتغلب عليها . وكان الطمع في الغنم يدفع هؤلاء الثوار على ان يكسر احدهم الاخر فاذا ما قدرت الغلبة لاحدهم ، فان الطمع ليدفعه لالتهام الاخر ، لئلا يبقى في وجهه ذلك النظير ، وهو لا يرى فيه سوى اللقمة السائغة ، السهلة الازدراد . لذلك لم يمكث زكريا ان جهز ما يغزو به الاحساء ـ وقد غره النصر ، فطمع في بسط سيطرته على هذه الرقعة الممتدة ـ ولكنه لم يكد يبلغ « ناظرة » ـ وهي احدى قرى الاحساء ـ حتى فجاه عبد الله بن علي ، فلم يلبث ان هزمه هذا هزيمة نكراء ، فاتبع اثره الى القطيف . فراى ابن العياش : ان القطيف فراى ابن العياش : ان القطيف ليست بمانعته ، ومن وجه هذا اللاحق به ، والذي يريد ان يريق منه الدم ، وقد انتهك حرمة البلد الامن .

ولم يرض عبد الله ان يقف من النصر ، عند هذا الحد فالحق ابنه الفضل ، بابن العياش ، هذا الفار الى البحرين ، ليمتنع فيها هناك ، ويبقي على الحياة ، وصبابة من الملك المضعضع ، الذي لم يكد يتسع حتى عاد فضاقت منه الرقعة ، وليس يعلم الى اين سيبلغ هذا الانكماش .

وفي تلك المحاولة ، بين الفضل وابن العياش ، تغلب فيها الفضل ، فخمد الانفاس من اشجع جندي في جيش العياش ـ يدعى « عكروتا » ـ فانهزم بذلك ابن العياش ، وركب البحر الى العقير ، ليعاود ـ ثمة ـ صياله ـ فحشد من البادية الحشد الكبير ، واغار على القطيف ، فصمد له عبد الله بن علي ، ليفت من الجيش وحدته ، ويكسو منه شوكته ، وكانت هذه المعركة اختام حياة ابن العياش .

وكانت هذه الحركات ، هي الدعامات الاولى ، في بناء الامارة العيونية ، التي امتد منها الظل علـى : البحرين ، والقطيف ، والاحساء ، واستمرت نحو قرنين ونصف (٢٠)

ولشاعرنا ابن المقرب قصيدة ، طـال فيها النفس ، وامتد به الشوط ، حتى بلغت مئة وواحدا واربعين بيتا ، يعدد فيها مناقب سلفه ، ويفتخر بماثرهم الباقية ، نظمها ـ وهو في بغداد ـ عام ٦١٣ هـ ، استهلها بقوله :

قم ، فاشدد العيس للترحال معتزما   وارم الفجاج فان الخطب قد فقما
ولا تلفت الى اهـل ، ولا وطـن   فالحر يرحل عـن دار الاذى كرمـا

ويقول ـ بعد اثنين واربعين بيتا ـ ليعرض انهيار الدولة القرمطية ، وقيام الامارة العيونية ، وما لابستها من احداث ، وهو في معرض الفخر ، بان كان تقويض هـذه الدولة ، على يد اسلافه ثم يمضي في عرض حوادث اخر حتى يصل لقوله :

ولـم ينج ابـن عياش بمهجتـه   يم ، اذا ما يراه الناظر ارتسمـا
آتى مغيرا فوافى جو « ناظـرة »   فعاين الموت منا ، دون ما زعمـا
فراح يطرد طرد الوحش ليس يرى   حبل السلامة ، الا السوط والقدما
فانصاع نحو «اوال» يبتغي عصما   اذ لم يجد في نواحي «الخط» معتصما
فاقحم البحر منا ـ خلفه ـ ملك   ما زال مذ كان للاهوال مقتحمـا
فحاز ملك « اوال » بعد ما ترك « العكروت » بالسيف للبوغاء ملتزمـا
وصار ملك «ابن عياش» وملك «ابي   البهلول » مع ملكنا عقدا لنا نظما

ثم يمضي الشاعر ، في شوطه البعيد . فبعد ان يذكر عبد الله بن علي ، يعدو اسلافه ، ويذكر منهم من ابقـى الاثر ، او من نال مكرمة ، فيعدد منهم الكثير ، ويقـول : منا . . . ومنا . . . وبعد عشرين من « منا » عد خلالها كثيرا من اسلافه ، بما ابقى من اثر ، وما لابست حياته من احداث ، وما قام به من عمل باق ، ولو في رايه ـ على الاقل ـ حتى يقول :

منا الذي ابطل «الماشوش» فانقطعت   آثاره ، وانمحى في الناس وانطسما

ويختتم هذه الملحمة بهذا البيت :

وما عددت عشـيرا من مناقبنـا   ومن يعد ترى « يبرين » مرتكما ؟!

خطوط من حياة الشاعر

لسنا نعرف عن حياة الشاعر ونشأته شيئا ، يعتمد عليه الباحث ، او يرجع اليه المؤرخ . فمتى ولد ؟ وما لابس حياته ، ورافق طفولته ، واثر في تفكير ؟ ومـاذا ؟ . . . ؟ وماذا . . .؟ اسئلة تزدحم وتلح ، وليس في وسعنا الجواب عليها ! .

ولكن مما لا شك فيه : انه ولد في القرن السادس الهجري. اذ انا نجد في ديوانه قصيدة ، يمدح بها الامير محمد بن احمد ، بن محمد بن ابي سنان ، عام ٦٠٢ هـ ، « حين تحالفت عامر على حربه » ـ كما يقـول الشارح ـ « وهي اخر قصيدة قالها فيه » :

رماح الاعادي عن حمـاك قصـار   وفي حدها عمـا تـروم عثـار

اذن . فهذا التاريخ ، ليس اول عهده بنظم الشعر ـ كما تدل قولة الشارح : بان للشاعر قصائد اخرى ـ قبل هذه ـ في مدح محمد هذا . وله في هذا العام ـ ايضا ـ قصيدة اخرى ، استهلها بقوله :

الا رحلت نعم واقفر نعـمان   فبح باسى ، ان عز صبر وسلوان

وكان ما دفعه لنظم هذه القصيدة ـ وهي في مدح الامير محمد بن احمد ، ايضا ـ ان دخل الشاعر على الامير

---

(١٨) قدمت في المقال كلمة « الاباعد » على « الاقارب » . وهذا مما يسيء الى التسجيع ! (١٩) في المقال : وله المروءة البالغة على . . .

(٢٠) اخذنا خطوط هذا العرض ، من شرح الديوان ص ٤٥٠ ، ومن ملوك العرب للريحاني ص ٢٣٥-٢٣٦ .

فجر الحديث الحاضرين الى ذكر الشعر ، حتى سألوه عن شعر جديد ، .قد يكون قاله ، فلم يكن لديه شيء . «وكانت العرب قد فسدت نياتهم عليه ، ولم يكاشفوه بذلك خوفا منه » (٢٢) . وكان قد لمس هذا منهم ، فافزعه ذلك ، لان هذا مما يجعله في مأزق . فالاحوال السياسية مضطربة. فلما تلى هذه القصيدة ، نال الاعجاب من الامير ، وممن ضمه مجلسه . وكان من ثمار هذا الاعجاب : ان طلب منه الامير ، أن يقول قصيدة اخرى ، ولم يجده الاعتذار ، حتى قال تلك القصيدة الاولى : « رماح الاعادي . . . » ، مما مكن منزلته في قلب الامير ، وضاعف الاعجاب به .

فاذا كان الشاعر ينظم الشعر ، في هذا العام ــ وهو عام ٦٠٢ ــ وليس هذا التاريخ بنقطة البدء . واذا كان هو ــ حينئذ ــ ممن يخاف الجانب ــ ويهاب السيطرة ، فانه حينئذ ــ ولا بد ــ ناضج الرجولة ، مكتمل التفكير ، فهو ــ على اقل تقدير ــ في اخر عقده الثاني ، او بداية الثالث وان يك قد نظم الشعر ، وهو ابن عشر سنوات ــ كما يقال ، او كما بالغ الشارح في مقدمته : « برز على الكهول ولم يزد سنه على عشر » .

ولسنا ــ كما قلت ــ لنستطيع ان نعرض شيئا ، عن حياته وملابساته ، وما رافقتها من احداث . فالمقدمة ليست بالتي تسعف الباحث لتأخذ بيده في ملتوي الطريق ، ان لم تزده حيرة وتخبطا ، وان لم تكاثف عليه من الظلم طبقات وطبقات . . . وليس بين هذه التسجيعات الطوال ــ ومنها صيغة المقدمة ، التي شغلت حيز سبع صفحات ــ سوى عرض غامض ، لشيء من مطاردة السياسة القائمة للشاعر ولكنها لا تعرض الاسباب ، ولا تبحث الدواعي ، ولا تعلل الاحداث . . .

صادر ابو المنصور علي ابن عبد الله ابن علي (٢٣) ــ وهو للشاعر من بني عمومته ــ كل ما يمتلكه الشاعر ، حقيرا كان او جليلا ، وزج به في غياهب السجن ، تحت وطأة الاصفاد ، ومرارة الاضطهاد والحرمان .

ولكن الشارح يدع الباحث ، لا يدري لم يعزو هذه الشدة والعقاب الصارم ، الذي انزله ابو المنصور في الشاعر ، وهو له من الارحام الواشجة ؟

ان الشارح يعلل ذلك بوشاية ، نسجها اعداء الشاعر وحساده ، من أهل بيته ، وقصدهم من وراء ذلك : اخماد هذا الصوت ، ولملمة هذا الفضل ، الذي يتمثل في شخص الشاعر ، الرفيع المقام ، الشامخ الفضل .

وهذا التعليل ، وان كان ينير للباحث بعض الجوانب ، الا انه غير مستكمل الادوات . فالحسد والبغضاء لا يبقيان في المرء على فضيلة ، ولا يفسحان لحسنة ان تبقى في قلب من يحلان فيه . . . الا ان ذلك تعليل سلبي ، او تعليل ناقص ــ على الاقل ــ فاول ما يتبادر للسؤال : بماذا وشي به هؤلاء السفل ، حتى اثاروا حفيظة ابي المنصور ، فانزل الشاعر ما انزل ، وهو عقاب لا ينزل الا في من عظم منه الذنب ، وتضاعفت الجريمة ؟

فهل ان الشاعر دبر مؤامرة ضد السياسة القائمة انذاك ؟ او الهب الجمهور ، فغرس في قلوبهم بذرة المناهضة والعصيان ، فوشى به هؤلاء ، قبل ان تنتج حركته شيئا ذا بال ؟ او انهم اتهموه بذلك ، ولم يكن يعلم بشيء ، ولم يقم بشيء ؟ أم الوشاية من نوع غير هذا ؟

وهل ان ابا المنصور : منذ صغى لقول الوشاة ، قام بهذا العقاب ، قبل ان يدرس الحال ؟ أم انه بان له من التهمة دليل ؟

كل ذلك يتعطش القاريء للجواب عليه . . . ولكن ماذا بيد الباحث ، ليجيب ؟

ويمضي الشارح ليقول : ان الشاعر نال العفو ، بعد تأزم الحال ، وشدة العقاب ، فعاش كسير الفؤاد ، كاسف الوجه ، مهيض الجناح ، مضاعف الالم ان ينال الاذى من القريب وان تصفعه الكف المرجوة لان تقيمه وتحميه .

ولم يطل المكث في الاحساء ، بعد ما نبا منه المضجع فيها . وكيف يعيش فيها ، وهو المجروح الكرامة ، المرضوض الهمة ، الصفر الكف ؟

اتجه نحو العراق ، ليمكث هناك شهورا ، يأسو فيها جراحه ، ويريح باله ، ويتناسى الامه . ففي بغداد ما يرضي نفسه الطموح ، ويحافظ على كرامته الرفيعة .

ولكن ليس له ان يهجر وطنه كل هذا الهجران . . . فليتناس كل ما لاقى من انماط العذاب ، والوان الاذى والهوان . فما للطير سوى عشه ، وان طورد او هوجم . فليعد للوطن ــ وليس لمثله ان ينأى عنه ــ فعسى ان يلين من الدهر جانبه الخشن الملمس ، وتنبسط منه رقعته الكمداء . فعاد وقد اعد له سلاحا ــ وما سلاح الشاعر سوى ما تجود به قريحته ــ فليس له الا ان يمدح الامير محمد بن ماجد ، ابن محمد ابن علي ، ابن عبد الله ابن علي ــ وقد ملك الاحساء والبحرين .

وانه ــ وهو يقدم القصيدة ، يستعطف بها الامير ــ لا تبرح فكره صورة املاكه المغصوبة ، ويتساءل عماذا الت اليه ، وهل نالتها كف البلى والعدم ، فيستطلع للاخبار بنفاذ صبر :

خنوا عن يمين المنحنى ــ ايهاالركب ... لنسأل ذاك الحي: ما صنع السرب؟
عسى خبر يحيي حشاشة وامق ... صريع غرام ، ما يجف له غرب
باحشائه نار اشتياق يشبها ... زفير جوى يابى لها النأي ان تخبو
الا ليت شعري ، والحوادث جمة ... وذا الدهر سيف لا يقام لا عضب
وهل اينع الوادي الشمالي واكتست ... عثاكيل قنوان حدائقها الغلب ؟
عن الحي بالجرعاء هل راق بعدنا ... لهم ذلك المرعى ومورده العذب ؟

ويقول الشارح : ان الجرعاء من الاحساء في الشمال وفيها منازل اهل الشاعر . كما يقصد بالوادي قريته من سواد الاحساء تسقى من عين اسمها « السحيمية » وفيها الكثير مما اغتصب من امواله .

ويخلص الشاعر لمدح اسلافه ، ليأخذ في اطراء هذا الامير ؛ فعسى ان يلين منه القلب ، فيعيد عليه ما اخذه

---

(٢١) ص ٤٩٦ الديوان

(٢٢) ناقض الشارح ما قاله في المقدمة ، حيث ذكر : ان ابا المنصور هو الذي صادر اموال الشاعر ــ هذا في المقدمة ــ ولكنه عاد في ص ١٨٤ ليقول : ان ذلك كان من محمد بن ماجد بن محمد بن علي ، وذلك عند شرحه لهذين البيتين :

كنت قبل اليوم ابكي بشجى ... هم نفسي وطريفي وتلادي
ثم قد اصبحت ابكي باسى ... شجو اخواني ورهطي وبلادي

ومحمد هذا ، هو الذي استعطفه الشاعر ، لرد املاكه ــ كما سيجيء ــ فكيف هذا ؟ وأي القولين نعتمد ؟

الفاصب الجائر ، ولكنه لا يلقى من الامير سوى خلوب الوعود ، فاستبطأ منه الوفاء ، فعاد يستنجزه ما قطعه على نفسه من وعد ، بقصيدة اخرى ، استهلها بقوله :

امن دمنة بين اللـــوى والدكادك   شففت بتذراف العيون السوافك

ولكن الامير يمضي في الوعود بكرم واسراف ، دون ان يفي بجانب من هذه الوعود الكثر . فليس غير وعد يمتد دون ان يقف عند ساحل . ويعلل الشارح : ان مطل الامير في وعده ، جاء نتيجة لوشاية من اعداء الشاعر ـ ايضا ـ حيث حسنوا له ذلك ، وحملوه على عدم الوفاء ؛ فهم يخوفونه ـ ان رد عليه ما غصب منه ـ ان يطمح في اكثر من ذلك ، وان تمتد عينه الى ابعد ؛ فانساق لذلك ، واثر ان يضرب مثالا للوفاء بالوعود !

ولكن الشاعر ، لم يستقر به المقام في الاحساء ، وقد بات الخوف يقلقه ، وحب الحياة يدفعه للخروج . فاتجه الى القطيف ـ وواليها : الامير فضل ابن محمد ـ فطال منه فيها المقام ـ وامتدحه بقصيدة ، لم تعد عليه بالجدوى ... ويقول الشارح : ان الجلساء حسنت له ان لا تمتد اليه يد بمعروف ، لانه لن يرضى بيسير العطاء ، ولن يرضى طماحه حقير الصلة ؛ فما مال الامير اليهم ، بل امتدت اليه يده بما هو في حق غيره وفير ، وان يك في حقه يسيرا ـ كما يذكر الشارح .

ولعل هذه القصيدة التي امتدح بها الفضل ، هي التي استهلها بقوله :

تجاف عن العتبى ، فما الذنب واحد   وهب لصروف الدهر ما انت واجد
اذا خانك الادنى الذي انت حزبه   فوا عجبا ان سالمتك الاباعد ... !
ولا تشك احداث الليالي الى امرىء   فذا الناس : اما حاسد ، او معاند
وعد عن الماء ، الذي ليس ورده   بصاف ، فما تعمى عليك الموارد
فكم منهل ـ طامي النواحي ـ وردته   على ظمأ ، فانصعت والريق جامد؟!
ولا تحسبن كل المياه شريعـــة   يبل الصدى منها وتوكى المزاود
فكم مات في البحر المحيط اخوظمأ   ـ بغلته ـ والماء جار وراكد ؟ !
وان وطن شانتـــك اخلاق اهلـه   فدعه!ـ فما يغضي على الضيم ماجد
فما «هجر» ام ، غذتك لبانهـــا   ولا «الخط» ـ ان فارقتها ـ لك والد

وهي قصيدة تضج بالشكوى ، ويصرخ فيها الالم المبدع وما هي سوى نفحة من نفحاته .

عاد الشاعر للاحساء ، وكاد يركن لليأس القتال ، فلم ير جدوى في مراجعة الكرة ، لاستعطاف الامير محمد ابن ماجد ، بعد ان فشلت كل مساعيه ، ولم ينل منه سوى سلسلة من الوعود المفرغة . ولكن هذا الامير شارف من العمر النهاية ، فختم صفحة حياته قتيلا على يد عمه ابي القاسم محمد ابن مسعود ، ابن محمد علي ـ واولاد القاتل اخوة للقتيل من امه ـ فكانت اليه ازمة الامور ، ودفة الحكم ، فوجد الشاعر متنفسا ، وشع له من الامل بريق ، فعاود العمل ـ وليس سوى الاستعطاف ، والمدح ، الذي جره للندم ، وتمنى الموت ـ قبل ان يقدم على ذلك ـ لتخمد فيه الانفاس ، ويتلاشى الصوت :

ندمت على مدحي رجالا ، وسرني   بان ضمنتني ـ قبل ذاك ـ الملاحد!
وحـق لمثلي ان يمـوت ندامـة   اذا نشرت في الناس تلك القصائد

امتدح هذا الامير بقصيدتين . وامتدح ولده الفضل مسعود ابن محمد بقصيدتين . وامتدح ولده الفضل ابن مسعود بقصيدة ، حيث راى بوادر الخير ، في فاتحة امارته . ولكنه لم يرتض منه اعماله ـ اخيرا ـ وقد انحرف منه السلوك ، فيغتصب املاك ذوي قرباه ، ليغمر به الاباعد ، فكان للشاعر ـ معه ـ عتاب طويل !

لم يطق الشاعر هذه الاعمال ، فغادر الاحساء للعراق ـ مرة اخرى ـ ولم يعد لها ، الا وقد قام في الاحساء الامير علي ابن ماجد ، ابن محمد ابن علي ، ابن عبد الله ابن علي ، ابن ماجد ، فامتدحه بقصيدة ، استهلها بقوله :

صدت فجذت حبل وصلك زينب   تيها ، واعجبها الشبـاب المعجب

ومدحه لهذا الامير ، هو من طراز اخر ، فهو نمط من انماط مديحه. انه ـ بذلك ـ يحاول ان يلجم افواه الحسدة والوشاة ، لئلا تحمله عليه ، اذا لم يقدم له هذه المدائح.

وضن الشاعر على الامير الجديد ، الذي خلف علي ابن ماجد ـ وهو : مقدم ابن غرير ، ابن الحسين ابن شكر ، ابن علي ابن عبد الله ابن علي ـ حيث لم يجد من سيرته ، سوى ما ينتقد ، سوى ما يثار عليه ، وليس فيها ما يطرى او يمتدح !

وصمم الشاعر على مغادرة الاحساء ، ميمما شطره للعراق ؛ وقد عزم على لقاء « الملك الاشرف ابن العادل » . غير انه لم يحقق له هذا العزم ، وقد حال بينه وبين اللقاء : ما قام به الملك واخوته وجنده ، ليلتقي بالافرنج .

ولكنه وقد وطات قدمه تربة الموصل ، شاء ان لا يعود منها بخفي حنين ، فقدم لواليها ـ بدر الدين ـ قصيدة يستندي منه الكف ، فتشاء الظروف ان تسجل له هــذه القصيدة ، من اجل طلب الرفد والمعونة ، فتكون من تاريخ حياته سطرا على انفراد ، اذ لم يمدح سواه لطلب الرفد ـ كما يقول الشارح :

حطوا الرحال فقد اودى بها الرحل   ما كلفت سيرها خيل ولا ابـــل
بلغتم الغاية القصـوى ، فحسبكم: هذا الذي بعلاه يضرب المثـــل
هذا هو الملك بدر الدين خير فتى   به تعلق للراجي الفنـا : امــل

ونال من الوالي ما كان يأمل ، فعاد عنه ، وهو يلهج بذكره ، غير انه يحن الى لقاء الاشرف ، وقد نمي اليه : ان الاشرف محمد يطري شعره ، ويأمل بان يخلد في احدى روائع هذا الشاعر الشهير . ولكنه ، وقد حالت الاقدار عن ذلك ، فليعد من حيث اتى .

وكانت رحلة الشاعر هذه ، في العام الـ ٦١٨ هـ .

والى هنا يقف الشارح عن ابراز هذه الخطوط الباهتة من حياة الشاعر ، وقد استكثر هذا الكرم الفياض ! اذ يقول :

[وانما قصصت هذه الاحوال ، واطلت المقال ، تصديقا لما ذكرته من طرائقه الزاهية الزاهرة].

وهكذا نجهل حياة الشاعر ، وماذا جد عليه ؟ وهل ابتسم له الدهر ، بعد طول قطوب ، وانفرجت عنه تلك الجهمة الكمداء ، فلان له الجانب الخشن ؟ ام بقي يجرع كاس الخيبة والحرمان ، وتتضاعف له الالام والمتاعب ؟

ويمتد بنا هذا الجهل ، حتى يضم الخلود شاعرنا بين جنبيه ، فلا نعلم : متى لفظ النفس الاخير ، وارسل السراج انفاسه المحتضرة .

شعره

هذه الظروف السود ، التي مرت بالشاعر ، واثرت عليه ؛ وهذه القسوة والشدة والمطاردة ، الاخذة منه بالخناق ؛ وهذه الحياة المضطربة المزعزعة ، الجهمة الطلعة . . . كل هذا اثر على شاعرية الشاعر ، وصقلها الالم المبدع ، فانتجت الشكوى والعتب ، وتحولت الى النقد والثورة .

طرق الشاعر من الشعر اكثر مواضيعه . فالشكوى والمديح ، والرثاء ، والنقد والهجاء ، والغزل والوصف . . . كل هذه كان لها نصيب في الديوان .

اما المديح – ومنه اكثر الديوان – فهو يقسمه لاقسام يعتبر بعضها عثرة لا تقال :

الى الله اشكو عثرة لو تدوركت   بتمزيق جلدي ما اسفت على جلدي

مديحي رجالا بعضهم اتقي بـه   اذاه ، وبعضا للمراعاة والـود

فلا الود كافي ذا ، ولا ذا كفى الاذى   ولا نظروا في باب ذم ولا حمـد

فكيف بهم لو جئتهم متشكيـا   خصاصة ايامي ، وسمتهم رفـدي؟

وكنت ، واهدائي المديح اليهـم ،   كخابط اذنـاب المهلبـة المقـد

وهذه الحاجة الملحاح ، والضرورة الخانقة ، التي تحتم عليه ان يمدح اناسا – ليتقي شرهم – هم عنده اولى بكيل الذم والنقد طافحا ، من اسباغ حلل المديح الفضفاضة . . . هذ الضرورة ، هي احدى بواعث تذمره وشكواه وثورته ، وهي التي تورث له الندم ، ويتمنى – معه – الموت المريح ، قبل ان تنشد هذه المدائح ، وتسير بين الناس .

وهكذا تبذر هذه الظروف بذور النقمة عنده

الى م انتظاري انجم النحس والسعد؟   وحتى م صمتي لا اعيد ولا ابدي؟

لقد مل جنبي مضجعي من اقامتي   ومل حسامي من مجاورة الغمـد

لقد طال اغضائي جفوني على القذى   وطال امترائي الدر من بحر جـد

وان مداراتـي العـدو مهانـة   اذا لم يكن من سكرة الموت من بد

ارضى بما يرضى الدني وصارمي   حسام ، وعزمي عزم ذي لبدة ورد؟!

سامضي على الايام عزم ابن حرة   يفدى باباء الرجال ولا يفـدي

وتتطور لديه اساليب النقمة . فقد تمر به ظروف تضرم اوارها ، وتلهب سعيرها ، وتدفعه لان يرسل الحمم ملتهبا من قلبه ، حتى انه ليتناسى – وهو الوطني – وطنه ، وينكر النسبة بين المواطن والوطن ، اذا كان له الوطن على نكران . والاهل على هجران ، فبلاده ستذل عنده ، ان لم يلق منها سوى الجور عليه ، واهله اللئام ، ان هم تقبضت منهم الايدي عنه ، وانبسطت لسواه ، فليس وطن المرء ، سوى ما ربى في تربته ، فحسب ، بل كل بلد تيمم شطرك نحوها ، فهي لك وطن . فليس للحر ان يصبر على ضيم ، لا يستطيع دفعه ، ، بالسكوت والصبر ، بل عليه ان يضرب في الارض الفسيحة الارجاء ، وكل رقعة منها وطن له .

ولكنه وقد عرض هذه الفكرة ، فانه لا يعرضها مسلوبا عن الوطنية بل يعرضها بدافع الوطنية ، ليبعث في النفوس العزيمة ، فهو ينعى عليهم هذا السكوت ، وهذا الاستسلام انه يلهب النفوس :

لا تكثري من مقالات تزيـد ضنـى   ما «الخط» امي، ولا وادي «الحساء» ابي

في كل ارض اذا يممتـها وطـن   ما بين حر وبين الدار من نسب

يا ساكني الخط والجرعاء من هجر   هل بانتظاركم شيئا سوى العطب !

بححت مما اناديكم واندبكم   لخير منقلب عن شر منقلب

فسكتوني بقول لا تفون بـه   قد صرت ارضى بوعد منكم كذب !

لي عن ديار الاذى والهون متسع   ما كل دار مناخ الويـل والحرب

لا تحسبوا بغضي الاوطان من ملل   لا بد للود والبغضاء من سبب

قل ، وذل ، وخذلان ، وضيم عدا   مقام مثلي على هـذا من العجب

اذا الديار تغشاك الهوان بهـا   فخلها لضعيف العزم واغترب

لاطلبن العلا جهـدي طلاب فتى   يدوس بالعزم هام السبعة الشهب

دعاي : يا رب الهم رب دولتنـا   ان يبلغ الراس منا رتبة الذنب !

وتنفجر هذه النقمة في قصيدة ، نظمها في القطيف فقد رأى الاساليب المستعارة ، والاشارات البعيدة ، ليست بالتي تعود بالجدوى .

الى كم مناجاة الهموم العـوازب   وحتى م تأميل الظنون الكواذب ؟

اما حان للعضب اليماني ان يرى   بيمناك كالمخراق في كف لاعب ؟

لعلك خلت الذل حتما ، او العلا   حراما ، او ان الشر ضربة لازب ؟

فقم ! – قام ناعي من يقيم بمنزل   يضام به ، والارض شتى المذاهب

ولا عاش من يغضي على الضيم جفنه   وفي قائم الهندي فضـل لضارب

اتظما لديك المشرفيـة والقنا ،   وفي قلل الباغين ورد لشـارب ؟

ثم يسفر عن وجه النقمة ، ويرسلها مدوية بعيدة الصدى :

وامدح اقواما لو اني امتدحتهـم   بما فيهم... لم يبق عيب لعائب !

لكف اذاهم ، لا اجتلابا لخيرهـم   وكيف يدر الحول ابساس حالـب؟

فيا عررا لا يفتأ المدح شرهـم   وقد يفتأ الراقون سم العقارب

متي جر نفعا مدحكم او كفى اذى؟   وكم نفع السارين حدو الركائب !

فيا ضيعة المدح الذي سار فيكم   على السن الراوين سير الركائـب

الا ليتني من قبله كنت مفحـما   ولم يجر من لفظي به خط كاتب !

فقد كان مني – مثل ما قال «فلتة»   وما اعتضت منه غير عض الرواجب

لان كنت – لا كنتم ! قذى في عيونكم   فاني شفاء للعيـون الضـوارب

اغركـم دهـر خسيس ، احلكـم   مراتب ما كانت لكم بمراتب ؟ !

ويمضي في الانذار ، وتخويفهم سوء المغبة :

رويـدا بنـي المستقرمات ! فحاضر   وعدتكم انجازه ، غيـر غائـب !

فوا اسفا ان مت لم اوط ارضكم   كتائب خيل تهتـدي بكتـائب !

تريكم نجوم الليل ظهرا ، اذا بدت   تكدس في ليل من النقع ضـارب

بكل فتى امضى من السيف عزمـه   اذا اعتركت والسيف عضب المضارب

فلست ابن ام المجد ان لم تزركم   مسومة بين القنا والقواضـب

وهو – في الكثير من شعره – يشاء : ان يضرب منه امثالا ، تسير ، وتتلقفها الاسماع ، وتلهج بها الالسن ، كل ما مر في شريط الزمن – من الاحداث – شيء يتناسب معها .

وهنالك امثال ، قالها الشاعر ، متأثرا بامثال اخرى ، لبعض فحول شعراء العربية – كالشريف ، والمتنبـي ، وغيرهما – وهذا مما يدلنا على تأثره واعجابه بالشعر الرفيع ، من تراثنا القديم .

وهذه الامثال وان جاءت مجترة ، الا ان لها قيمتها ، من حيث تقديمها في حلة جديدة . . . ونود ان نأتي على طائفة من امثاله – بالاضافة الى ما مر بنا ، في القطع التي

اتينا بها ــ ودون ان نقصد عرض المبتكر من المجتر . ولكنا نود ــ الى جانب هذا ــ ان نبدأ العرض بهذا المثل ، الذي اجتره من الشاعر الفخم الشريف :

اذا لم اداو العضو الا بقطعه   فلا قصب يبقى ــ لعمري ! ولاقصب

فشاعرنا لم يوفق في اجترار هذا المثل ، من مثل الشريف ، اذ افقده الحياة الدافقة ــ بقوة ــ في مثل الشريف :

اذا العضو لم يؤلمك الا قطعته   ــ على مضض ــ لم تبق لحما ولا دما!

ان هذا المثل طاقة حية ، تترقرق فيها النضارة والقوة . فجاء شاعرنا ، فخمد فيها الحياة ،وقدمها قطعة جامدة !

وهذه طائفة اخرى من امثاله :

ومن لم يرو السيف يظما ، ومن يهن   يهن ــ ومحاريب العلا للمحارب
ومن لم تخف منه العدا بلادها   تخفه ــ وعقبي الذل شر العواقب
ارى الناس ــ مذكانوا عبيد الغاشم ،   وخصما لمغلوب ، وجندا لغالب !
ومن لم يعض الدهر من قبل عضه   بنابيه ، اضحى مضغة للنوائب

✶ ✶ ✶

اما الوطنية في شعره ، فهي : على جانب مرعي . وما نقمته الاجانب من هذه الظاهرة ، البارزة فيه . ونريد ان نشير ــ هنا ــ الى : انه كثيرا ما يعنى بتسجيل صور وطنية فيصف عادات شعبية ، في شعره ، لتبقى صورة ناطقة باقية ... وهذا ما نود أن نعرض على القارىء بعض نماذجه ، الى جانب ما مر بنا ــ عفوا ــ في غير هذا الموضع

وقد جعلت «نخلين» خلفا ويممت   قرى الشام، او ارض العراق نجوعها(٢٣)
فخير ــ لعمري ــ من بساتين «مرغم»   على ذي المجاري: طلح نجد وشوعها(٢٤)
ومن ماء نهر « الجوهرية » لوصفى   ذبابة حسي لا يرجى نبوعها (٢٥)
ومن «مرزوي» بالقطيف و «الالس»:   «عباء» بوادي طيء و «نطوعها»(٢٦)
ومن لحم «صاف» في اوال و «كنعد»   ضباب وجرذان ، كثير خدوعها (٢٧)

ومثل هذا كثير في شعره . ولعل الشاعر ــ هنا ــ متاثر بتلك البدوية ، التي لم يرقها ترف معاوية ، ومفاتن قصوره ، وشهي ملذاته ، فصرخت تحن للبادية ، بشعرها المعروف !

✶ ✶ ✶

وقد يكون اولى ظاهرات شعر الشاعر هي : طول النفس ، وامتداد الشوط . فقليل من قصائده ، التي لا تبلغ الثلاثين بيتا ــ على الاقل ــ وفي شعره الثوري قوة وحماس شديد . ولكنه قد يسف في اسلوبه ، حينما يطول منه النفس ، في قصيدة يحشرها بالاحداث ، ويجعل منها سجلا تأريخيا حافلا .

---

(٢٣) نخلين : قرية بالاحساء .

(٢٤) مرغم : موضع من الاحساء .

(٢٥) الجوهرية : عين جارية في وسط الاحساء .

(٢٦) مرزوي ولالس : نوعان من الثياب . ولعلهما ــ كما يتبين ــ ينسجان في القطيف ؟

(٢٧) الصافي والكنعد : نوعان من السمك معروفان في القطيف والبحرين وغيرهما . وهما اجود انواع السمك الموجود فيها .

وقد طرق الهجاء ــ في بعض شعره ــ فاسفّ فيه وجعل من بعضه هجاء بذيئا ففي الديوان قصيدتان ، هجاء في « بن الدبيثي » .

وهذان بيتان يهجو بهما بدر الدين ، وقد ارتفع فيهما الشاعر عن الاسفاف :

تسلط بالحدباء عبد للؤمه   بصير... بلى ! عن نيل مكرمة عمي
اذا ايقظته لفظة عربية   الى المجد ، قالت ارمنيته : نم !

ولكنه يعود الى الدبيثي ــ في القصيدة الاخرى ــ لينزل الى سفح السباب والشتائم . الا انه لا يصل الى واطىء مستوى قصيدته الاولى :

قالوا : الدبيثي ذو قواف   محكمة النظم مستقيمة ...
فقلت : بعدا لكم وسحقا !   اكل افهامكم سقيمة ؟
هو الذي تعلمون كلب   فهل لنبح الكلاب قيمة
انا الى الله من طغام   تعتقد الفضل في بهيمة
راحت جيوش الضلال فوضى   قد هزمت اسوء الهزيمة

✶ ✶ ✶

والشاعر يحمل روحا حرة ، لا ترضى بخرافة ، ولا يقر ما لا يعتقد . فقد كان من الرقى والتعاويذ على غير طمانينة . اذ ضمته جلسة ، كان من بين الجلوس من اصيب بوجع في رأسه ، وحمى ملتهبة الحرارة ، مرتفعة الدرجات فاتجه الحضور للشاعر ، طالبين منه ان يكتب للمريض تعويذة ، تطرد عنه المرض ، وكان المريض ذا دعابة ومزاح ، خفيف الروح ، ساخرا ، لا يألف سوى منتديات اللهو والضحك ... فعرف ما بيته الصحب ! فاختلى عنهم ، واستوحى آلهة الشعر ، ليكتب هذه التعويذة ، وقدمها للمريض لتشد في عضده ، غير ان بعض الصحب شاء ان يعرف ما ضمته سطور هذه التعويذة ، فاذا بهم يقراون :

يا مالك الخير ! عليك السلام   اتاك شيخ من اضل الانام
فاجج النار ، وافتح له   ابوابها ، وانعم له بالمقام
واجعله بالتابوت من خلفه   ابليس يمشي نحوه في قيام
وقل له : يختار في جوفه   بيتا ، وزينه بغين ولام
وزفه ترقص من حوله   عقارب ، كالبخت ، او كالنعام
وقل لاهل النار : حفوا به   فهو لمن سن المعاصي امام
حتى اذا اكمل في قعرها   من المدى ــ يا مالك ! ــ الف عام
فامر به يخرج ولو مكرها   منها الى الجنة ــ دار السلام

✶ ✶ ✶

وبعد ... فالحديث عن الشاعر وشعره ، قد يطول كثيرا ، لو انسقنا لمشيئة اليراع ... ولنقف منه عند هذا الحد . وكل ما ارجوه : ان اكون قد وفيت حق شاعرنا ، وقمت بواجبي ! ويسرني ان اقدمها لعشاق الشاعر ، والراغبين في ان يقفوا على دراسة عنه ــ وفي المقدمة : الاستاذان محسن والقباج ، وهما الباعث لي على القيام بهذه الدراسة . وان الفضل الاول والاخير ــ في احياء الحديث عن هذا الشاعر ــ ليعود الى مجلة الاديب الكبيرة : همزة الوصل بين ادباء العربية في مختلف اوطانهم ...

العربية السعودية ــ القطيف

عبد الله علي الخنيزي

بـرشـلـونـة

✳

مهداة الى المدينة التي لن تنام

●

لمحسن جمال الدين

جامعة برشلونة ـ اسبانيا

✳

يا اخت الدلال
يا ربيبة المعرفة
ويا ام الضلال ..
نامي ... ما بالك لن تنامي
أعيونك من نور النجوم
واجفانك من ظلال الايام ؟
يا مدينة اللهو
ويا مسرح الذكريات
كم سارت في دروبك أقوام
وتعبت في مساربك أقدام
هذه بقايا الخطى التائهة
وتلك رموز الاجيال المندثره
برشلونة ...
يا عروس البحر المتوسط
أين هم الفاتحون الذين اغتصبوك
وأين هم العشاق الذين احتضنوك
غابت آثارهم تحت حناياك
واندثرت معالمهم في زواياك
وتلاشت اصواتهم في ضجيج ملاهيك
وذبل شبابهم من سهر لياليك
وتصوحت أزهارهم من حر انفاسك
يا ظامئة ما ارتوت
ويا جائعة ما شبعت
ويا سائره ما وقفت
ويا شابة ما هرمت
ويا معشوقة ما وفت
سقط في تجربتك الكثيرون
وانتظر امتحانك القليلون
الراحلون عنك عائدون
والمقيمون فيك راحلون
تودعين الالوف وتستقبلين الملايين

* * *

برشلونة
يا دنيا المتناقضات
ويا عالم المدهشات
كم تضمين في جوانحك من حسرات
وكم تحوين في أحشائك من ملذات
أي سر فيك
ويا اخت الدلال
يا ربيبة المعرفة
ويا أم الضلال
يا عروس المدائن
ويا مبدعة الجمال
نامي ... ما بالك لن تنامي
يا ساهرة الليل ..
ويا مستيقظة النهار .

قصة سورية

لا شيء

بقلم فيليب عبد الحق

ما قيمة هذا الدرس ؟ بل ما قيمة المجيء الى هذا المكان ؟.. سخف على سخف ، أختق عواطفك واحاسيسك واملأ دماغك ، تنل شهادتك .

وتنبه الى الاستاذ يشير نحوه ويسال ، فوقف مستندا الى مقعده في ضيق خامل متكبر ولكنه سرعان ما تداعى جالسا تعصف بروحه احاسيس كريهة ممقوتة .. لم يكن السؤال له ، حسنا ، كفاه جعجعة وحسبه ثرثرة ، تصرمت السنة ولم يعطنا اية فائدة ! مهما يكن ، ليس لمروان أن يرجو من هذا المدرس ما ليس في زملائه ...

... لماذا هو في المؤخرة ؟ لماذا يجلس هكذا بعيدا ؟! انه لا يسمع شيئا مما يقال ! ورفع راسه فاغرا فاه عاقدا جبينه يصيخ بسمعه الى النقاش الذي تعج به القاعة ، لكنه عبثا حاول الوصول الى مدار البحث .

وامتدت رجلاه ، طويلتين ، خارج مقعده ؟ وارتاح راسه على كتفه . هو متعب ! نعم ، راسه ، بل كل جسده ... وخفق قلبه واخذته موجة شوق محترق ، وحنين يطل من جهنم ياسه ، سيكتب الليلة سيكتب لها . انه يحبها ! هي تعرف هذا ، كما يعرف هو الاخر انها تحبه ، ان صديقه ابن عمها ، ولقد ادى له الاخير خدمة رائعة دون ان يدري ، جعله يتاكد من اهتمامها به ، والحق ، لو أنه علم بحبه لها لما اخبره ...

ـ من هم اصدقاؤك ؟

ـ اصدقائي كثيرون

ـ طبعا ، يا نبيل . ولكن لكل منا عينيك يشدني اليك » . ما هذا اصدقاء لهم ميزة خاصة ، اصدقاء.. موضع ثقة

ـ آه فهمت ، والحقيقة انا لم أغد بعد صاحب اسرار ، لهذا ...

ـ ولكني اراك ابدا برفقة مروان.. مروان ماذا ؟

مسكين نبيل ، لا اسرار له ، ولن يكون ، مروان يعرف هذا النوع ، لقد خبره جيدا ؟ هذا النوع الذي يظن في الحياة قمة يسعى اليها ولو على اشلاء الاخرين ، ولا يقيم وزنا لسوى ما يمكن ان ياتيه بالفائدة ، والفائدة المباشرة ... ومن كل الحوار الذي دار بينه وبين ابنة عمه لم تتكون لديه اية فكرة ، وعندما اخبرها عن مبلغ لامبالاته لم يجد اي مغزى في ضحكتها المرحة الرنانة ...

وارتعشت اجفان العيون المحدقة ، اما القسمات الهادئة فظلت موسومة بابتسامة حالمة . لقد قرع الجرس ، وانتهى اليوم ، وفي الغد عطلة ، بعد ان ينام كل من في المنزل سيكتب .. سيكتب . عزيزتي منى . اخيرا وجدت الجراة ، انت تعلمين انني احبك !.. وماذا بعد ؟! واطبق عينيه بشدة . اف ، حقا هو متعب ، ان في راسه هواجس حادة ، وتقاربت خطواته ، اتكون على النافذة ؟..وفي داخله كان احساس بالنفي ، فاندفع بعناد ، هو بحاجة الى نظرة منها ، يجب ان يراها وتراه ... واحس بومضة غضب ، منذ ثلاث سنوات وهو يحبها ، ولكنه لم يسمع سوى صوتها ، لم يكلمها قط ! . يراها في الشارع فينسحب وراءها ، ان فيها ما يريده ، ما هو ؟ لا يدري ، كل ما هنالك انه ينسحب وينسحب وعندما يعود الى المنزل تكون روحه مغشاة بسكون جد حزين .

لم هذا التفكير الان ؟! سيبعث اليها برسالة ، وبادىء بدء يجب ان تعلم انه يعول كثيرا ـ يعول كثيرا على حبها ، هو لا اخوة له ولا اخوات، له والدان ... وانطلقت قهقهة مكتومة ورزح تحت وطاة الم هائل ، ما هذا الازدراء ؟ ما هذا الحقد ؟! وانبسطت شفتاه في سكون وقسوة، وقبل ان يجهش ، اخرج منديله وقد انحجب الناس عن ناظريه وانعطف مسرعا فكانت زفراته خافتة متقطعة، يبكي ؟! . ليست المرة الاولى، البارحة وفي ركن من غرفة ارضية على طاولة جرداء كان يبكي مغيظا ، وراسه يهلكه الصداع ، ووظائفه امامه لا يستطيع اتمامها ... وسباب والديه في شجارهما العنيف العريق وحركاتهما العدائية الوحشية تنهك اعصابه وتجعل منه شبه مجنون .. وفي الصباح اذ صعد الدرجات الاربع، ولفظه الباب القزم ، اجتاز الزقاق هاربا ! كل من في الحي مطلع على ما في بيته من وباء .

وانتقلت الكتب الى اليد الاخرى ، وتلك التي سرى فيها الخدر ارتفعت تسوى الشعر المنسدل ... لو انه يكلمها وتكلمه ... بل لو يثق من انها تعرف حبه اقرت نفسه ، تمر به ايام وفي راسه فكرة هو يحب ، لا شيء ! خيال في حلم اسماه « منى » ، ويجهد كثيرا لاسترجاع تقاطيع وجهها ، لاسترجاع المسحة السحرية، النقاب القدسي المنسوج على محياها السفرجلي فلا يوفق ، وفي لحظات اخر يحاول رسمها ، رسم وجهها وشعرها المقصوص كآلهة اليونان ، وتذوب روحه ... ولكنه رسام سيء .

هو بعد لا يعرف بما يمتاز شكلها ! نهداها ؟ اكما يجب ؟ ام ؟ . غريب!!. ما به اليوم ؟ وهده العار ، لا . منى ! انت لست كالاخريات ، مناي ان تظل سماتك ثابتة في خيالي ثبوت الشعاع في كبد الشمس ... اانا بليد ؟ ام انا لا استحق ؟! منى ! من امام وجهك المقتحم مخيلتي تفر ـ شياطين الجسد، واهوائي الشريرة تتبدد . فقط ، منى ، احبيني وانقذيني من كل فكر شيطاني ...

ورفع وجهه الى السماء ، وسره لسع قطرات المطر ... ولكن ، خير له ان يعود ، اضحى محالا ان يراها اليوم ، ثم ان امه قد تكون بحاجة الى شيء ما ! بلى ، عليه ان يعود .

الرسالة بين يديه ، ولكن لا يبدو عليه الرضى ، بل قل ان تعبير السخر هو المتوج شفته ، وكأنما توقفت الدما عن السريان في راسه فغدا دماغه لا يعمل ! وتراخت الانامل القابضة على الرسالة ولم يرقه وضعه ، وكمن يتخلص من كابوس مريع تحركت يداه في عنف ، وزفر ، ونظر الى الرسالة واخذته الندامة ! الندامة، لانه قضى الليلة المنصرمة في كتابتها ، كان خير له ان يدرس في الرياضيات.. اف ، اهذا هو حبه ؟! وتشبثت عيناه، هو لا يذكر انه كتب هذا ! « حبيبتي! انت شهية كعنقود عنب وردي في قلب الشتاء » . وباحكام اطبقت اجفانه ... انه يتمرغ !.. يتمرغ . انها ـ كلمات !! سيفجر راسه وبخنق خياله ...

وهدأ ، وعاد نظره الى الرسالة ، وحومت على شفتيه ابتسامة زهو ، ولكن ، او ليست كلمات رائعة ؟ انها شعر ! كان يكتب محترقا والعاصفة في الخارج تضج ورجلاه مثلجتان ! وهيمنت الابتسامة، والتهمت الاسطر، ثم توقف وهز راسه باعجاب وقرأ متمتما : « انا وانت كهلال الغروب تتبعه النجمة الضالة ، لكنها ابدا لن تلقاه ... نعم ، كذلك انا لن القاك ، لن القاك ، انا ادرك هذا . لكنني احبك . » وتغيرت معالم وجهه ، هذا ما يحسه على الدوام ، لن يلقاها ... واطرق ، وراح قلبه ينفطر .

وواجه البحر ، متبع الطريق المنحدر ، هناك على الشاطىء لن يجد اي انسان ، هو يضيق باصدقائه لا بل بالناس اجمعين ، هل فقد نفسه ؟ لا ، انها حالات طارئة ، من يدري ؟ ان قلبه الان قطعة من نحاس ازرق ، من ادراه انها تحبه ؟ ماذا في عينيها ؟ أحب ؟ ام استهزاء ؟ لقد كتب في الرسالة . « ان الحنان الذي في عينيك يشدني اليك » . ما هذا الحنان الذي يتحدث عنه ؟ منذ يومين عندما تبعها لمشاهدة عرض شريط سينمائي لم تنظر اليه الا مرة واحدة، كمن يبغي معرفة الجالس هناك في الزاوية ، نعم ، لم يكن في نظرتها اي اشعاع ، اي تعبير ! لا . كان ثمة تعبير واحد وان لم يكن واضحا ، كالتعبير الذي يرافق المرء الناظر الى شيء يزعجه ... على كل ، لقد عرف الان ، هو لا يحبها ، ولكنه يحب الحب الذي فيها ! وتزاحمت الافكار في راسه ... وحبيبتي ! لن يقولها بعد اليوم ، انها كلمة مهترئة ليس لها من تمن ...

واذا صيغت على شفتيه كلمة « منى » كست وجهه سحابة بلهاء . ما عاد يلمس الروعة في هذا الاسم.. وارتفعت يده الى جبهته ، ليس له ان يكون حتى ذرة ملح ! هو ، هو الفراغ بعينه الفراغ الذي لا يستطيع ان يعطي ، بل يلتهم كل شيء ... وهذه ؟ لن يقرأها ثانية ، انها غير مجدية ثم ، ان والدها فظ ، وكذلك امها وقد يتسلمها احدهما من الساعي ... اما هذه فأمور لا تقف حجر عثرة ، انها لا تخيفه ، ولكن ، هي ، « منى » ! حقا هذه افكار اطفال ، ما جدوى حبه ؟

يجب ان ينساها ، هو ، لا يحبها ، وانما يحب الحب الذي فيها . وهذه فلتمزق ، هكذا ... ووقف وقفة من تكشفت له امور كانت معماة ، لولاها ما كانت حياته هكذا ،وتصرفات والديه ما كانت لتغضبه وتحفر في قلبه حفرا عميقة ل.. ل.. لا يدري لماذا . ثمة شيء واحد يعترف به كل حدسه ، ان والديه غير شريرين.

وكان النفيان المتطاير من الموج المتهشم على حاجز الرصيف قد ضمخ وجهه وثيابه ، وامتد الى الرسالة فلوثها ، ولكن مروان كان يبدو بعيدا عن كل هذا ، الاصابع آلية ترمي بالمزق الى الريح والرذاذ ، والوجه كغيمة صغيرة سوداء في الافق البعيد .. ولكن . اذ اخذ يتقدم في الطريق الصاعد ويسوى شعره ،كانت مزقة فريدة بين أصابعه ، لم تكن مبتلة ، وانما كانت تحمل اسم « منى » ...

اللاذقية فيليب عبد الحق



عتاب

عندما كنتُ في المحطة .. وقد ضمَّكِ القطار الى مقصوراته ، ونوافذه العديدة .

كنتُ يا محبوبتي الراحلة .. أقفُ لوحدي . على الرصيف العتيق، أشيع موكبك الراحل ، بدمع هتون .. وقلب افعمه اوار الحنين ..

بينما كنت أنت .. توزعين البسمات والتحيات.. الى المشيعين والمشيعات .. !! هؤلاء الذين جاءوا لاجلك يا راحلة الى البلد البعيد في الجنوب ..

أما انا فلم يكن لي من تلك البسمات ، وتلك التحيات .. سوى ما للجدران الصمّاء .. من لفتات ، ونظرات ..

* * *

.. اذهبي يا مسافرتي .. الى حيث تشائين ..

فالعمر لم يعد سوى ذكرى من حنان .. ولهفة من شوق عميق .. وايماءات من خيال مظلم .. وصدى من أغنية خافتة بعيدة ..

اذهبي يا مسافرتي .. الى حيث تريدين ..

لان الحب لم يعد سوى زفرات من أنين وآهات من عذاب اليم .. وهتافات من نداء مبحوح .. ورغبات من نفس تحتضر .. وآمال من روح في طريقها الى الموت ..

اذهبي يا مسافرتي .. الى حيث تبغين ..

فان الدنيا لم تعد بنظري .. الا كذلك الكهف المهجور ، في أعالي الجبل الهرم .. لا توحي جدارنه ، الا بالكآبة الموحشة ، والحلكة الرهيبة المخيفة ..

* * *

وليكن لك ما تريدين .. في البلد البعيد ، هناك في الجنوب ...

ولكن .. سوف تمرُّ بك الذكريات الرائعة ، بعد حين .. وتطرق ابواب عواطفك الضائعة ، باناملٍ من سحر ، فترتجُّ لها اعماقك ، وجلة خائفة ...

عندئذٍ .. ستعيدك تلك الذكريات، الى حيث درجنا معا هنا .. في دروب البنفسج .. وغفونا هنا معا .. تحت ظلال الزيزفون الحالم وقطعنا معا هنا .. المسافات الخصبة ، بين الكروم النشوانة بخمرة العنقود ، في السفوح المستحمة بندى الاسحار ..

* * *

.. أجل يا مسافرتي الجميلة ..

سوف يرجعك الحنين ، الى الهيكل العظيم .. هنا .. حيث كنا فيه معا ، نرتل الصلاة الاولى .. في غمرة الفجر الضاحك .. ونغتسل بمائه المقدس .. ونقبل حجارته بركة وخيرا .. بينما ينتصب قبالتنا تمثال « كيوبيد » الصغير .. وفي يده قوسا سحريا ، وفي جعبته سهاما عجيبة .. وقد صوَّب الينا سهما منها بقوسه الرهيب .. فاذا بك تسجدين .. خشوعا لآلهة الحب المبدع ..

* * *

فاذهبي يا مسافرتي .. الى حيث تريدين ..

فلسوف يلفك الليل بالوانه الكالحة .. وتمطرك السماء بوابل من عاصفتها الهوجاء .. وسيلفظك القطار ، في مكان غريب .. لا ترين عنده ، سوى اشباح خيالات مرعبة .. وجدران اطلال خربة متربة.. لا توحي اليك معالمها الا بالظلام الدامس ، والعذاب الممض الاليم ....

ولكن .. عندما تودين الرجوع .. ستجدينني في دروب البنفسج ... تحت ظلال الزيزفون .. بين الكروم النشوانة ...

ستجدينني في الهيكل القديم .. بين يدي « كيوبيد » الجميل ... ارتل الصلاة الاولى ... صلاتنا نحن ... وخلفي الكثيرات ... من اللواتي شيّعن رحيلك بالبسمات ، والتحيات .. الذاهبة في مسارب الفراغ .. يسألن الان «كيوبيد» ان تبقي بعيدا حيث انت ... خارج الهيكل القديم ...

سألتك متي تعودين ؟ ..

دمشق

اسماعيل عامود

واحـــــة

ο ο ο

بين أنفاس المساء العبقة … وارتعاشات اللحون الشيّقه

خفقت روحي ؛ تناغيها الرؤى … عبر افاق الغيوب المغلقه

أتملّى غدي النشوان من … رفرفات الامل المؤتلقه

من ضياء الفجر قد صورته … وانبثاقات الشروق الريّقه

واحة ؛ ينزلق الماء على … ضفتيها والظلال المورقه

ويموج العطر في اكنافها … من أفاويق الزهور العبقه

أنتحيها كلما التاثت على … حاضري أطياف بؤسي المرهقه

وتلوت بلهاث الجدب في … مهمه العمر دروبي المحرقه

لي ملاذ في حناياها ولي … هينمات غافيات مونقه

تبعث العزم ؛ اذا دب الونى … في عروقي ؛ والمنى المنطلقه

وتشيع الدفء في عمري وفي … نفسي الحيرى اشعات الثقه

ما لسعي المرء في العيش اذا … طمس اليأس رؤاه المشرقه

وانطفى في افقه نور المنى … وطوته الظلمات المحنقه ؟

أنا لولا أملي الحلو الى … فجر أحلام الغد المؤتلقه

لاختصرت العمر واخترت الثرى … مسكنا يحضن نفسي المرهقه

العراق ـ اعظمية … **احمد امين**



تكوين العقل الحديث

لجون هرمان راندال – ترجمة الدكتور جورج طعمة – مراجعة برهان الدين الدجاني – مقدمة تحليلية للدكتور محمد حسين هيكل – الجزء الاول – ٥٥٥ صفحة – حجم كبير – نشر بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر – منشورات دار الثقافة ببيروت مطابع دار المعارف بمصر .

قال الدكتور جورج طعمة في تقديمه هذا الكتاب الجليل الى القراء : تتداول على السنتنا اليوم او تشيع في كتاباتنا الفكرية مفاهيم والفاظ كثيرة « كعقلية القرون الوسطى » و « العقلية الحديثة » و « الرجعية » و « التقدم » و « الاصلاح » وغيرها ، دون ان نعطي هذه المفاهيم او الالفاظ مضمونها العلمي الدقيق او محتواها التاريخي ، بحيث يدور تفكيرنا حول مفاهيم نستعملها استعمالا غامضا غير صحيح . ومن هنا كان الخطأ في التفكير والابهام – بالقياس لانفسنا – في نظرنا الى الماضي والحاضر والمستقبل . فكم نسمع عن دعوات للاصلاح ، او نقرأ عن ضرورة تاسيس نهضتنا الحديثة على « فلسفة كونية او كيانية شاملة » ، ولو انت سألت الكثيرين من اصحاب هذه الدعوات عن المقصود بالاصلاح او بالفلسفة الكونية او الكيانية لما وجدت اكثر من الفاظ كبيرة يتجاهل اصحابها ان الحقيقة ليست في اطلاق احكام كلية او تعميمات جارفة ولكنها تقوم في البحث الاخير على الجزئيات والتفصيلات فضلا عن المبادىء الكلية . وعلى ذلك فلسنا نبالغ اذا قلنا ان بين العيوب الاساسية التي تشكو منها ثقافتنا العربية المعاصرة والتي تؤخذ على تفكيرنا العربي الحديث هو استعمال المفاهيم دون مضمونها الدقيق بحيث نجعلها فارغة جوفاء .

وفضيلة هذا الكتاب « تكوين العقل الحديث » الذي أقدمه للقارىء العربي اليوم انه يسد مثل هذا النقص باعطائه كثيرا من المفاهيم التي ذكرتها – بل واكثر منها بكثير – مضمونها التاريخي والعلمي ، ويحددها تحديدا بينا واضحا ، بوضعها في اطارها الصحيح من الزمان والمكان الذي نشأت فيه ، معفيا بالنتيجة على الكثير من انصاف الحقائق التي نقلها . وتحديد المفاهيم ضرورة اولى لكل تفكير نير واضح يطمح للتوصل الى نتائج صحيحة من مقدمات ثابتة سليمة .

وتبرز في الكتاب ناحيتان : وحدة المعرفة البشرية ووحدة الثقافة الانسانية . فلقد اعتدنا تحت تأثير تقسيم العلوم ونشوء الاختصاص والمبالغة به خاصة بعد القرن التاسع عشر ان نفصل بين المشاكل الفكرية فصلا حاسما ، متناسين ان الحدود التي نقيمها بين قضايا العلم والمعرفة انما هي ناشئة عن حدودنا الذاتية بالدرجة الاولى . فثمة مشكلة « لاهوتية » واخرى « فلسفية » او « سياسية » او « اجتماعية » او « اقتصادية » . وكل مشكلة من هذه المشاكل اثرت في جميع المشاكل الاخرى وتأثرت منها ، وكانت لها ظواهرها ونتائجها في الحياة العملية الواقعية التي ادت خلال تطور تاريخي طويل الى تكوين المجتمع العلمي الحديث . فثورة نيوتن مثلا لم تكن مجرد ثورة علمية في الفيزياء ولكن تأثيرها امتد الى الفلسفة والاجتماع والسياسة وكان لها أثرها الخاص في تكوين عقلية الانسان الحديث ، وقس على ذلك قضايا المعرفة الاخرى كلها .

اضيف الى هذا ان الثقافة الانسانية لم تكن نسيج امة واحدة مما يبرر لنا القول – كما يقول البعض – « ثمة ثقافة يجب ان ناخذ منها واخرى يجب ان نهملها » بل كل ثقافةقومية،اغنتهذه الثقافة الانسانيةالواحدة، الشاملة، المتعالية، واغتنت منها بقدرماتفاعلت معها تفاعلا حيا ، واخذت منها واعطتها ، واعتبرت نفسها جزءا مكونا منها ، متكونا فيها وضمنها على حد سواء . وهو الشرط الاساسي الضروري لتكوين ثقافة مبدعة خلاقة . وعلى ذلك فانت تقرأ في هذا الكتاب مثلا ما كان من أثر للثقافة والعلم العربيين في عصر النهضة الاوروبية خاصة ، كما تقرأ عن مساهمات جميع الثقافات الحية الاخرى . اما الثقافات المنقرضة فهي التي تحبس نفسها ضمن قوقعة محكمة ، لا ينفذ شيء منها او اليها وتزعم ضمن هذه القوقعة وحدها بانها « الحق المطلق » دون ان تعي انها باتخاذها مثل هذا الموقف تحكم على ذاتها حكما مبرما بالانقراض والموت .

ثم اننا في عالمنا العربي وفي رغبتنا الملحة لاقامة مجتمع حديث اضعنا حس الزمن التاريخي الصحيح وهو من التقدم والتطور بمثابة المادة من الصورة . ويتضح ذلك اكثر مما يتضح في مفاهيمنا الاجتماعية وتفكيرنا السياسي . فنحن نتحدث عن نظم ديمقراطية او اشتراكية يتمتع العلم المتمدن بنعمها وخيراتها اليوم . ونتناسى الاجيال الطويلة من الزمن، والتضحيات البشرية الهائلة ، وجهود المفكرين والعلماء والمصلحين ، الذين قدموا حياتهم قرابين على مذبح الفكر والحياة ، والمفاصل والرقاب التي اجتزتها والثورات الكاسحة والدماء والدموع ، التي عرفها العلم المتمدن قبل ان يحقق الفوائد التي ينعم بها اليوم فوراء كل فكرة من الافكار ، او وراء كل حق من حقوق الانسان التي نعتبرها امورا بديهية ، عشرات بل مئات من الافكار والحوادث التي ادت الى توطيد هذه الامور بحيث اصبحت من مقومات العقل الحديث . ولا اقصد من ذلك ان نقبع في زاوية متفرجين متقلبين ، بل ان نشعر بضرورة الثمن الباهظ الذي دفعه بناة الثقافة والحضارة والذي تنعكس بعض صوره الممتعة الرائعة في فصول هذا الكتاب .

اما مؤلف الكتاب فهو جون راندال ، ولد في ولاية ميشيغان في اميركا عام ١٨٩٩ . درس في جامعة كولومبيا ونال درجة الدكتوراه في الفلسفة منها عام ١٩٢٢ . ودرس الفلسفة فيها ابتداء من عام ١٩٢٠ الى ان اصبح استاذا عام ١٩٢٥ وما زال في هذا المنصب . وله عدة مؤلفات غير الكتاب الذي نقدمه لقراء العربية اليوم اهمها « الانبعاث وتاريخ الافكار الحديث » و « تاريخ العلم » و « الدين والعالم الحديث » .

نشر « تكوين العقل الحديث » لاول مرة عام ١٩٢٦ ، ثم نشر ثانية بعد تنقيحه عام ١٩٤٠ .

ونظرا لضخامة الكتاب باللغة الانجليزية كان لا بد من تقسيمه الى جزاين باللغة العربية يتناول الجزء الاول الذي يصدر اليوم « النظرة الفكرية في القرون الوسطى المسيحية » و « عالم الانبعاث الجديد » و « نظام الطبيعة او تطور الفكر في القرنين السابع عشر والثامن عشر » اما الجزء الثاني فموضوعه « عالم ينمو – الافكار والامال في السنوات المائة الاخيرة » .

وانني لارغب في نهاية هذه المقدمة الموجزة ان اوجه خالص الشكر لزميلي وصديقي الاستاذ برهان الدين الدجاني للعناية الفائقة والجهد المخلص اللذين بذلهما في مراجعة هذا الكتاب .

لقد كان نقل هذا الكتاب باللغة العربية رحلة شاقة في عالم الفكر

والثقافة والحضارة . ولكنها رحلة ممتعة دون ريب ، نأمل ان يجد القارىء العربي فيها المتعة التي وجدناها ونحن نجتازها .

جورج طعمة

شعر

مجلة فصلية ـ العدد الاول : شتاء ١٩٥٧ ـ رئيس تحريرها يوسف الخال
١١٦ صفحة ـ حجم متوسط ـ [لم يذكر اسم المطبعة] بيروت

صدور مجلة « شعر » يعتبر حدثا هاما في بلدان العالم المتمدن ـ حدثا لا يقل في أهميته عن أي عمل سياسي او اقتصادي ، فالشعر والادب بشكل عام هو مظهر اساسي من مظاهر التطور الحضاري المتعدد الاوجه . إن العالم العربي اليوم ، وان ادركت قلة فيه اهمية هذا الحدث ، يترسخ بالارث الحضاري اكثر من أي يوم مضى في تاريخه الحديث ، فمجلة « شعر » هي في عداد المعطيات الهامة التي سيواجه بها شعبنا حكم التاريخ ، وهي في اعتقادي ، احدى البراآت التي يحملها هذا الجيل لتسنم المركز المعد له بين شعوب العالم .

« شعر » مجلة تختص بالشعر ، وهي ، كما جاء في التعريف عنها « لا تخضع في اختيارها القصائد لاي مذهب فني ينتمي اليه القائمون على تحريرها ، فالمقياس الوحيد ، ارتفاع الاثر الادبي الى مستوى فني لائق .» وبمعنى ثان انها تكرس وجودها لاعلاء شأن الشعر ، وقد تدنى الى المستوى الذي يؤلمنا جميعا في ما نلاحظه من مجلاتنا المختلفة . بهذا المعنى نحن نسارع الى الحكم على هذه المجلة بانها مظهر عظيم في حياتنا الجديدة ، وفي يقيني ان عظمة هذا الحدث لا تقاس بما يحتوي العدد الاول منها وحسب ، بل تقاس اكثر بالتجربة ذاتها وبانها محاولة لبلوغ هدفها المعين . هذا لا يعني ان ما جاء في العدد الاول منها غير جدير بالتعبير عن رسالتها ، ففي ما احتواه العدد الاول شهادة جيدة لما تصبو ان تكونه .

لم أعرف في حياتي مجلة احتوت في تنويعها كما احتوت «شعر» ، البير اديب ، نذير عظمة ، فؤاد رفقة ، موسى النقدي وابراهيم شكرالله ، فيها من الشعر الكلاسيكي المقفى كقصيدتي بدوي الجبل ورفيق معلوف ومن الشعر الحر المتخطي النمط الكلاسيكي كقصائد سعدي يوسف ، وفيها من الشعر الناعم الذي تمتاز به الشاعرتان نازك الملائكة وفدوى طوقان ، وفيها تجارب شعرية جديدة لم نعهد مثلها في شعرنا الحديث ، كقصائد بشر فارس الغريبة الوزن والايقاع والمبنى ، وقصيدة يوسف الخال التي تخطى بها القافية وعمود الشعر القديم ووحدة البيئة ، واعتمد الايقاع والانسجام الداخلي ، وقصيدة « ادونيس » على النمط المسرحي وقد ادخل فيها الصدى كأحد الاشخاص ، وفيها لميشال طراد .. والترجمات من جمينيز ، عزرا باوند واملي ديكنسون ، وفيها معالجات للشعر لرينه حبشي ، وانطوان كرم في محاولة نقدية لقصائد نزار قباني ، وبيا روبان عن شعر جورج شحاده ومسرحه .

مع وثوقنا التام بان ما احتوته هذه المجلة يتطلب صفحات كثيرة من الكتابة عنها ، فاننا في هذه العجالة سنكتفي بمرور سريع على اكثرها محاولين القاء بعض الاضواء عليها .

قصيدة سعدي يوسف ـ « حكاية » ـ هي لوحة جميلة تتماوج بالحس ، ولكنها لوحة صغيرة ، لوحة فنان كان يلزمها اكثر من المهارة في مد الخيوط وفي حبكها :

كان الظلام يكفن الضوء الاخير
وتلوح احداق الفوانيس العتيقة شاحبات
لا صوت .. لا انسان .. صمت كالصلاة »

هذا مثال على صفاء اللون بريشة الشاعر ، ولكن :

« أنا سواء أيها الرجل العظيم
يا ميتا لم ننسه يوما .. ولن ننساه يوما ..
يا حامل الستين .. يا ربا مدمى »

قد يظهر هذا ما اعني عندما قلت انها بحاجة الى مهارة اكثر في مد الخيوط وحبكها .

مع ذلك فان الصورة الانسانية غنية بالاحساس .

اما « اللهب القدسي » لبدوي الجبل فتحتاج لدراسة خاصة .غير ان لي انطباعا واحدا ارغب في تسجيله ـ هو مشكلة الشكل في القصيدة . فدعاة الشعر الحر يؤمنون بان النمط الكلاسيكي لم يعد قادرا على الاستمرار في استيعاب مشاعر الانسان الحديث ، ولذلك فهم يتوقون الى محاولات جديدة توافق مضامين الحضارة الحديثة . في يقيني ان بدوي الجبل نجح في ان يقيم الدليل على مقدرة النمط الكلاسيكي على الاستمرار في استيعاب مشاعر انساننا الحديث ومضامين حضارته . يظهر ان المشكلة في الاساس هي مشكلة الشاعر نفسه ، وليست مشكلة الشكل في الشعر ـ اقرأ له هنا :

أسمى العبادة رب لي يعذبني	بلا رجاء وارضاه واهواه
وأين من ذلة الشكوى ونشوتها	عند المحبين ، عز الملك والجاه
تقسم الناس دنياهم وفتنتها	وقد تفرد من يهوى بدنياه

شيء من البحتري في هذا الشعر .

فقصيدتا نازك الملائكة « خصام » وفدوى طوقان « تشك بحبي » قطعتان من قلبين افعما بالحب والرقة . الحس الناعم الهادىء يتغلغل في القلب كما يفعل الجدول الصافي وهو يتغلغل في احشاء العشب أيام الربيع . ليس شعر الملائكة وطوقان غلغلة الجدول وحسب ، وانما هو هذه الغلغلة الشذية وسط صخب ضجاج من الموج . يحس القارىء هذه العذوبة ويرتاح اليها اكثر ما يكون عندما يتمثل له ضجيج عالمنا وصخبه، هذه القيمة تمتاز بانها طريقة فريدة من نوعها في الغوص على اعماق الانسان ، الانسان في صفاءه وسعادته . « خصام » نازك الملائكة ليس حربا تشن على حبيب هجر او غدر ، وانما أمر عادي ، من امور الحياة التي تزخر بالخصام ، كما تزخر بالحب ، وبالدمع كما بالضحك

واما بشر فارس ، والبير اديب فانهما يمثلان نوعا جديدا فيه بعض التقارب ، مع غلو في الابهام ، عند فارس ، وفي الغرابة ، اقرأ لبشر فارس :

في كونك الحالم	مستجابي
اغفاءة الواهم	واغترابي
عن عالم جاثم	عند بابي

قد يظن ان الدكتور فارس كتب هذا الشعر بالفرنسية اولا ، ثم ترجمه الى العربية . انني اعترف بتواضع انني لم افهم كيف يكون هذا شعرا ، لعلنا نحتاج الى توضيح من الشاعر عن مبنى هذه القصيدة وعن الغاية من اتباع هذا النهج . لو اعتبرنا هذا شعرا ، لكان من الضروري ان ندخل في بحث طويل عن ماهية الشعر ، وهذا ما نتجنب الخوض فيه الان .

اما البير اديب ، فلونه يتمخض عن عنف في اعماقه ، يخال القارىء ان الكلمات تقصر عن استيعاب هذا العنف كله ، فتثور الكلمة مرات متوالية وتتردد :

ساحتمل ساحتمل ساحتمل
كالارض تدور على نفسها

وكالارض ... كالارض ...

ثم ... « اريد ، ولا اريد » ... « هباء .. هباء .. »

هو لون على كل حال ، وهو يفرض جوه الخاص على القارىء كما لا تفعله قصيدة بشر فارس .

ماساة « المجنون بين الموتى » « لادونيس » ـ هذا الشاعر الكون ـ تستحق دراسة مفصلة لكتاب خاص . هذه ليست مسرحية ولا قصيدة عادية . انما هي فريدة من نوعها . فريدة في انها تعتمد الشكل المسرحي ـ الحوار ، حيث يبقى اطارها العام اطار قصيدة واحدة تامة . فريدة في انها تتخطى الزمان والمكان لتشد كل ما في الكون الى مسرح المأساة ـ الحجرة ، والنجم والاصوات (اصوات الذين قتلوا امام عيني المجنون) والابعاد وهي ترجع صدى غناء الجندي .. الحياة كلها تنتظم على مسرح هذه القصيدة ، فيشعر القاريء انه وضع على سوية واحدة مع الكون، والابدية وانه يعيش معهم ، وانهم جزء من آلامه ومن شكوكه وعذابه ، وهذا الاحساس هو ميزة العقيدة الاولى ، في اعتقادي ـ الانسان وجها لوجه امام الكون ، وكل ما عداه . يتخطى عتبة الحياة ، الى الموت ، ونسمع اصوات القتلى تتساءل :

بعدي ، بعد موتي   ما قيل ؟ ما يقال ؟

أي انسان لم يراود تفكيره يوما التساؤل العميق الملح : بعد موتي ـ كيف يصبح الكون ؟ هذا التساؤل ذاته يجسده الشاعر بعنف جميل هذا الترفع عن جزئيات الحياة الى قمة عالية حيث يشرف الشاعر على كل شيء .. ويتحسس كيانه كشيء اقوى من الفناء ، واقوى من العدم ، لانه الحياة ذاتها ، ولان الحياة لا معنى لها بدونه . هذا كله ، بالاضافة الى الموسيقى التي تتناسب مع جلال الموضوع ومع عظمة الانسان ـ الكون :

تنهض بي وترتمي
مطرقة من الدم
كانما طنينها   يحبسني في قمقم

كأن القافية ـ الميم ـ المطرقة ذاتها التي تنهض بالشاعر، والصدى .. ما هو ؟ لعله رجع الماضي البعيد ، رجع من مات ومن لم يولد بعد ، انه شيء في خاطر المجنون ، في عقله .. كذلك الاصوات كلها في خاطر المجنون ، والدنيا كلها في خاطره ..

وبعد التساؤل عن حقيقة المصير ، والمغيب ، والبداية ، والزمان ، والحياة :

ـ ما الحياة ؟
ـ خمس اطفال صغار
كالدراري
عمروا كوخا من العشب وماتوا »

بعد هذا تطل النهاية ، وكما وقف الحضور جميعا خشوعا عندما عزف « هاندل » مقطوعته الشهيرة « ميسايا ـ المسيح » لاخر مرة ، هكذا يقف كل ما في الكون ، الجندي ، وصوت تدحرجه على منحدر الحياة ، «وكأنما العالم عاد الى السديم .. كل ما فيه يغني ، خلاصة الوجود .. » يقف هذه المرة ليس خشوعا وحسب بل لينشد خلاصة الوجود كما يراه :

لاننا من عدم   نركض خلف العدم

ويطلع علينا نذير عظمة بقصيدته « الجدار العتيق » ، بمطلع مفاجيء :

« أأحمل ذكرى انتصاري
وذكرى انكساري
واعبر درب السنين
واشرب نبع الحنين »

في رايي ان هذا المطلع سريع . لو بدأ الشاعر بهدوء اكثر لكان، في اعتقادي ، اكسب القصيدة وحدة موسيقية أتم . نذير عظمة شاعر غنائي مبدع الكلمة في قصيدته تطرق جارتها كصنجين ، يتسارعان احيانا، واحيانا يخفان ، اسمع له هنا في حدة تصفيقه :

... وجوه ملطعة كالجباة
تخر على الوحل والطين ، تزحف ، تسجد ، تركع
تمص وترضع
وتاكل ، تاكل يا نهما كاسرا ليس يشبع ،

فقصيدة موسى النقدي « ذات مساء » حزينة ، قصيدة قلب يتألم، يبحث عن الضوء بشفاه عطرت بالحب .. يبحث وحيدا ، وكانسانغريب عن شيء يحبه ، النهاية رائعة ـ لها بساطتها التي تتغلغل في القلب وتترسخ به بعمق :

« واخيرا
صرت كالناس اغني فرحا او أتألم
وقليلا فقليلا اتعلم
ان احب الاخرينا
واغني بحرارة .. »

لتهنأ بحبك العظيم يا موسى .

ويأتي يوسف الخال بـ « الحوار الازلي »

هذه القصيدة محاولة جديدة من نوعها . فيها التخلي عن القافية ووحدة البيت وفيها امتداد الكلمة من خط لخط . يحس القارىء عند قراءته هذه القصيدة انه مسوق في تيار القصيدة ، او محمول على الاجنحة . الكلمة الناعمة الملتفة تحمل القارىء في عبها حيث يريد الشاعر ، وهي تحمله لا قسرا ولا اغتصابا ، بل كما يحمل جناحا النسر ابنة الملك الاسيرة في ملحمة « جلقامش » ، عندما القت بنفسها من سور القلعة المعتقلة فيها لتلتقي بحبيبها . وكما يترفق جناحا النسر في هبوطه خارج الاسوار ، كذلك يرغب الشاعر ان نرمي بانفسنا نحن فوق اجنحة الصليب الذي ينقذنا وحده من جور الملك الطاغي ، ويمحو خطايانا ، وبه تورق آلامنا ، وبه نطوي سيرة الموت على الارض ..

الاصداء الانجيلية في القصيدة كثيرة ، وهذا التوق الى حضن الصليب عند الشاعر ، لم يسبقه اليه احد الا بعض من زاملوه في

الغرب كت اس. اليوت ، وس. د. لويس مثلا :

يد الايام لم تصنع خطايانا .
خطايانا صنعناها بايدينا :
لعل الشمس لم تشرق لتحيينا :
هنا مقبرة النور ، هنا الرمل ،
هنا تستنسر البغاث ، تفنى القمحة
الاولى . هنا ينعدم الشك ،
يموت القول في الالسنة الحق .

وقصيدة ابراهيم شكرالله ــ موقف اللذة ــ قصيدة تجري حوادثها في طرابلس الغرب ايام الحرب العالمية الثانية . عند قراءتي القصيدة لم يفارق ت.س. اليوت مخيلتي لحظة واحدة . الانغام والطريقة والتعابير كلها قريبة ان لم تكن مطابقة لت. س. اليوت .

« ان السعي في المكان
سيحررك من المكان والزمان »
هكذا يقول اليوت في برنت نورتن ايضا .

واسمع هذا :

في الساعة العاشرة في قهوة باشكوالي
يجتمع حكماء المدينة يشربون القهوة بالكونياك
وفي الثانية عشرة يصطفون على البار المترنح
يمزجون الماء بالجن المصفى
وفي السادسة يتكئون على الارائك العريضة
يشربون الوسكي ويتحدثون
عن العرب والطليان

في الساعة العاشرة ، والثانية عشرة والسادسة .. هذا التتبع للزمن بالساعات والدقائق هي طريقة اليوت ايضا . ثم ما هذه قهوة باشكوالي ؟ لو اراد الشاعر لكان وجد اسم مقهى اسهل من هذه واقل غرابة ، ولكن الغرابة ذاتها هي صفة الشاعر هنا ، كما هي صفة اليوت . ويتحدثون عن العرب والطليان .. اقرأ هذا المقطع من اليوت :

« In the room the women Come and go
Talking of Michelangela»

لعلهم اشخاص شكرالله ذاتهم هؤلاء الذين يجيئون ويروحون في الغرفة ويتحدثون عن مايجل انجلو .

وثم ــ حديث المراة على فراش اللذة ، للجنود :

لا تنس ان توصد الباب وراءك
فلن نستقبل احدا هذا المساء
طابت ليلتك
طابت ليلتك .. »

كم يقرب من حديث المراة ذاتها في قصيدة «الارض الخراب» لاليوت ، وللجنود ذاتهم :

... And think of poor Alberty
He's been in the Army Four years he wonts a good time
And if yoo dont give it him, these's others will, I said.

وفي نهاية المقطع في القصيدة ذاتها :

Good night ladies, good night, suveet ladies
Good night
Good night

ابراهيم شكرالله تخلى عن شيء هام لم يتخل عنه ت.س. اليوت. هو الايقاع ، لهذا خطر ببالي اول ما قرأتها انها قد تكون مترجمة . لو كان فيها ايقاع من اي نوع لكان نجح الشاعر في ان ينقل الى لغتنا اسلوب اليوت بأتمه . انها محاولة تحمد من شكرالله ، ولكن لا ادري مقدار نجاحها .. لعل المستقبل يحمل لنا دليلا تقنعنا بنجاحها اكثر مما تفعل هذه القصيدة .

ساتوقف هنا في هذا العرض الموجز دون ان امر بالترجمات او الابحاث ، مع يقيني التام ان كثيرا من القصائد التي مررت بها تحتاج لدراسة تفصيلية ومركزة اكثر مما تسنى لي الان في هذه العجالة . يبقى ان نشكر « شعر » على فضلها الكبير في ان تحرك تيار الشعر الاصيل فينا .

منير بشور

محاضرات عن ولي الدين يكن

للدكتور محمد مندور ــ ٦٠ صفحة ــ حجم كبير ــ منشورات معهد الدراسات العالية بالقاهرة ــ مطبعة نهضة مصر بالقاهرة

قدم الدكتور محمد مندور هذا الكتاب الذي ضم بين دفتيه المحاضرات التي القاها عن ولي الدين يكن على طلبة الدراسات الادبية واللغوية في معهد الدراسات العربية العالية بالقاهرة بالكلمة التالية :

تحدثنا في العام السابق عن الشعر بعد شوقي ، فلاحظنا وجود تيارين كبيرين هما تيار الشعر التقليدي ، وتيار المجددين ، وسايرنا كلا التيارين بعض الشوط ، ولكننا لاحظنا بعدئذ اننا قد جاوزنا في الحديث الزمن الذي عاش فيه شاعران كبيران لم يتحدد لكل منهما مكان في التيارين الكبيرين سالفي الذكر . وهذان الشاعران هما ولي الدين يكن (١٨٧٣ ــ ١٩٢١) واسماعيل صبري باشا (١٨٥٤ ــ ١٩٢٣) .

ولم يكن ذلك لضعف في مكانتهما الادبية او تفاهة في انتاجهما الشعري ، ولكن لان كلا منهما كان في الواقع بمثابة جدول خاص ينساب الى جوار التيارين الكبيرين اللذين كانا يشغلان حقل الشعر عندئذ ويصطرعان اصطراعا مستمرا لا هوادة فيه ولا رفق .

والواقع ان هذين الشاعرين لم يثيرا دويا في عالم الشعر العربي المعاصر ولم يخوضا معارك ، ولم يحاولا اجتذاب انصار وتكوين مدرسة او مذهب في الشعر . واذا كان من النقاد المحدثين من يرى ان اسماعيل صبري يدخل في تيار الشعر التقليدي ، بالرغم من ثقافته الفرنسية وعمله في القضاء المختلط زمنا طويلا ، بينما يعتبر ولي الدين يكن شاعرا مجددا في روحه واسلوبه ــ اذا كان هذا هو رأي بعض النقاد ، فان الحقيقة ، الاكثر وضوحا هي ما سبق ان ذكرناه ان هذين الشاعرين لم ينضم اي منهما الى تيار من التيارين الكبيرين اللذين اصطرعا ولا يزالان يصطرعان في عالم الشعر العربي الحديث .

والواقع ان كلا من ولي الدين يكن واسماعيل صبري لم يحترف الشعر ولم يجعل منه وكده ولا اشترك في معارك الشعر والادب ، وان اختلف باعث كل منهما على الموقف الذي وقفه منهما .

فاما اسماعيل صبري فاننا لا نجد في تحديد موقفه من الشعر خيرا من اصطلاح ايطالي انتقل من الايطالية الى غيرها من اللغات الاوروبية الحديثة كالفرنسية والانجليزية وغيرهما وهو لفظة ديليتانتي Dilettante التي يمكن ترجمتها الى اللغة العربية بلفظة « الهاوي » . فهو لم يكن يقول الشعر لان من واجبه ان يقوله عندما تعن مناسبة ، ولم يكن الناس

يحاسبونه على صمته كما يحاسبونه على قوله لانه قد عرف بين الناس بانه شاعر أي محترف ـ كما انه لم يحرص على ان يخوض في مناقشة اصول الشعر ومذاهبه ، ولا على تحديد مكانه في عالم الشعر ، وانما كان يقول الشعر اذا ساقه مزاجه الى ان يقوله في غير قصد ارادي ولا تصميم وهو الرجل الهادىء المنعم الذي يأخذ الحياة من ايسر سبلها ولا يعرف الانفعالات العنيفة او المشاعر الجامحة او التكالب على الادب وعرش الادب ، حتى لقد وصفه الاستاذ العقاد في كتابه عن « شعراء مصر وبيئاتهم في الجيل الماضي » بانه شاعر قاهري لما لاحظه على شعره من روح المدن ومدينة القاهرة بنوع خاص حيث تقلب على امزجة سكانها روح اليسر وعدم التزمت والانفعال .

وان ولي الدين يكن ، فبالرغم من ان مزاجه العصبي العنيف كان يختلف الاختلاف كله عن مزاج اسماعيل صبري القاهري المرفه ، الوديع الهادىء الطبع ـ الا انه هو الاخر لا يمكن ان يوصف بانه قد احترف الشعر واتخذه غاية في ذاته او فنا جميلا قائما بنفسه . وانما اتخذ الشعر وسيلة للتعبير عن آرائه واتجاهاته السياسية والاجتماعية ، حتى لنراه يجمع بين الشعر والنثر في كثير من ابحاثه ومقالاته التي كان ينشرها في الصحف والتي جمعها بعد ذلك في كتبه : « الصحائف السود » و « التجاريب » و « المعلوم والمجهول » بجزئيه . واكبر الظن ان ولي الدين يكن لم يكن يلجأ الى الشعر ليستهل به مقالاته الا لاحساس عميق بان الشعر يستطيع بفضل موسيقاه واخيلته ان يستنفد ما في افكاره من انفعالات حتى اذا هدأت نفسه واستراحت من عصبيتها العنيفة الدافقة ، لجأ الى النثر ليفصل القول ويعالج المشكلة التي يدور حولها المقال مما يدفعنا الى ان نحدد الخاصية الاساسية لشعر ولي الدين يكن في قولنا انه شاعر الانفعالات الفكرية ، كما حددنا من قبل اسماعيل صبري بانه شاعر الهواية الادبية .

ثم ان كلا من الشاعرين قد كان مقلا نسبيا في انتاجه الشعري وذلك لان اسماعيل صبري كان مشغولا بالحياة ونعيمها الميسر عن الشعر كما ان ولي الدين يكن قد كان مشغولا بمعاركه السياسية والاجتماعية عن الشعر كفن جميل يقصد لذاته ، وكل ما كان يحرص عليه كما قال في مقدمات كتبه وفي شعره احيانا هو ان يأتي يوم ينتفع فيه مواطنوه من عرب واتراك بآرائه ونزعاته الاصلاحية ، وقد عبر عن هذا الامل في بيتين حرص على ان يدونهما تحت صورته التي يفتتح بها كتبه وديوانه وهي :

ما كان اهناني واسعدنـــي	لو كان ينفع معشري قلمي
انا لـــي فـــؤاد لا انزهـــه	لكن يراقب ما يقول فمي

وهو يردد نفس المعاني في نثره مثل قوله في تقديم كتابه المعلوم والمجهول بهذا الكتاب اشياء وقد فاتته اشياء ، وفي احوال العـــالم مـــا يمنع الافصاح بكل ما يدور في الخلد ، على انني لا أحب ان اخرج مـــن هذه الدنيا قبل اظهار ما عندي من الخوافي ، فاذا اوفقني الله الـــــى امنيتي تلك كنت سعيدا ... حين تذهب دول الظلم ويذوق الناس نعيم العدل يقرأون مثل كتابي هذا بارتياح . واذا اوهب الله اقوامنا مـــن الترقي اكثر مما نالوه ، وبقيت حيا بينهم كلمتهم بما يخالج صـــدري تصريحا لا تلميحا . »

محمـــد منـــدور

الشاعر الاعمى بشـــار بـــن بـــرد

لعبد الله العاني ـ ٨٠ صفحة ـ مطبعة المعري ـ بغداد

أصدر الاستاذ عبد الله العاني دراسة تحليلية عن بشار بن برد مساهمة منه مع من سبقه في استكشاف جوانب حياة هذا الشاعر .

وقد قدم للكتاب الاستاذ الشاعر حافظ جميل الذي قال « فاذا ما انبرى في الاونة الاخيرة نخبة من علية الكتاب والادباء لتقصي اخبار بشار والتحري عن كل شاردة او واردة من شوارد شعره ثم دراسة أثر ذلك الشعر على مجموعة الشعر العربي فانما يؤدون بذلك رسالة مـــن اقدس رسالات الادب والتاريخ ، ولعل الاستاذ عبد الله العاني ابى الا ان يكون من جملة من يؤدون مثل هذه الرسالة المقدسة ... » .

وانا في كلمتي هذه الموجزة اقلب صفحات الكتاب بعد مطالعته مليا وادون ما عن لي من خواطر حول بعض المشاكل في بعض الفصـــــول فحسب .

ففي الفصل الاول ـ الذي عنوانه (من هو بشار ؟) ـ يتكلم المؤلف عن نشأة بشار ووالديه ومكانته في البصرة بين موالي بني عقيـــل . واشفاق والديه عليه لعاهته .

لم يحلل لنا ـ باسلوبه الممتع ـ العوامل التي أدت ببشـــار الـــى سلوك مسلك الهجاء في اغلب شعره فيعزوه الى فقدانه بصره منـــذ الصغر مما جعل شعره مرآة لعقدته النفسية التي تكونت من خيـــوط متشابكة يغطيها الشعور بالنقص لعماه وكونه من الموالي ونفسه الثائرة كشاعر ملتهب العاطفة ...

هذه العاطفة التي انحرفت انحرافا سيئا نحو ذم الناس وبيـــان نقائصهم مما يجعله شاعرا بالارتياح لانهم ليسوا احسن منه ـ بنقائصهم هذه ـ ان كان اعمى ومولى !

وفي الفصل الثاني يتكلم المؤلف عن (الحب عند بشار) فيقول ان الحب يصيب أي انسان سواء كان اعمى او مبصرا ثم يردف « وقد يكون الحب عند الاعمى اقوى واعنف لانه احب باذنيه لا بعينيه وحب الاذن اقوى من حب العين ! » ثم يستشهد بقول بشار :

يا قوم اذني لبعض الحي عاشقة والاذن تعشق قبل العين احيانا
قالوا بمن لا ترى تهذي فقلت لهم الاذن كالعين توفي القلب ما كانا

اما في الفصل الثالث فيتحدث المؤلف عن بشار (الشاعر السليط) وهو ترويد لما كتبه في الفصل الاول واصفا اياه بصيغة الفجور ثم يحلل لنا سر حب النساء لبشار ويرى ان هناك اسبابا ثلاثة وهي حسن حديثه وقوته الجنسية و (شدة تأثير ما في شعره من دعارة يحث الفتيات والفتيان بها على اقتراف الفسق والدعارة وكلا الفريقين في دور البلوغ وسن المراهقة) .

وانا لا اعتقد ان النساء احببن بشار بكل ما في كلمة (الحب)من معنى وانما اعجبن بشعره الغزلي والجنسي . فاما حسن حديثه فهناك الاف من ذوي اللسان الطلق الممتع لم يظفروا بحب واحدة من بنات حواء . واما قوته الجنسية فلا اتصور ان امراة تسلم لبشار البشع الخلقة جسدها ليعبث به لا لشيء الا لانه (قوي جنسيا) فان القوة الجنسية متممة لنواحي اخرى في شخصية الانسان المحبوب عند النساء قد يكون منها الجمال والجراة او مشابهة ذلك الشخص ــ في ناحية من نواحي جسمه وشخصيته ــ لاب الفتاة اذا اخذنا المسالة من الناحية السيكولوجية ودرسناها على ضوء (عقدة الكترا) . اما شدة تاثير شعره فهو صحيح الى حد ما فان المؤلف قد سمى الاعجاب بشعر بشار الغزلي حبا .

اما الفصل الرابع فهو من امتع فصول الكتاب حيث يتحدث المؤلف عن حب بشار لعبدة ثم نمر ب (بشار يداجي) و (الحسن عند بشار) وناتي الى الفصل السابع (بشار والمهدي) ويتحدث فيه المؤلف عن علاقة بشار بالخليفة المهدي وكيف امر بقتله عندما تاكد من زندقته وكفره ولم يغفر له حسن معاشرته . وكيف ندم على ذلك بعد ان عرف انه لم يبن اتهامه لبشار على دلائل واضحة الا كلمات سمعت من الناس ومنه عندما دخل على نساء قصر المهدي اللواتي قلن له (انك ابونا) فاجاب (ونحن على دين كسرى) اشارة ــ قد تكون مازحة ــ منه الى ان الاباء يعاشرون بناتهم عند المجوسيين فغضب المهدي منه وأمر بجلده بالسياط حتى الموت .

ثم يتحدث المؤلف عن (بشار الاب) وكيف برزت شاعريته في محنته بموت ولده (محمد) فقال :

اجارتنا لا تجزعي وانيبي اتاني من الموت المطل نصيبي
كاني غريب بعد موت محمد وما الموت فينا بعده بغريب

الى اخر الابيات التي تدع الدمع يجري من العين حتى عند ذوي القلوب المتحجرة .

ثم يتحدث المؤلف عن (الشاعر الخليع) وكيف عبث بشار بفتاة صغيرة لا تتجاوز الثالثة عشر وبعض اخباره المستقاة من المصادر القديمة ولا بد من ان اختم كلمتي السريعة هذه بتعليق اراه هاما وهو ان المؤلف الفاضل لم يبوب فصول الكتاب تبويبا صحيحا فهو يتحدث عن موت بشار قبل ان يتحدث عن صفاته الاخرى وهو يكرر بعض شعره من فصل الى اخر وهو ــ بعد ذلك ــ يكرر الحوادث مرة بعد اخرى واملي ان يعيد النظر فيه في الطبعة الثانية وعلى اية حال فقد كان المؤلف الفاضل موفقا في تحليله لبعض نواحي حياة بشار . ولعل اكبر خدمة اداها المؤلف للادب هو احياؤه ــ مرة اخرى ــ لذكرى هذا الشاعر الملهم الذي يعد من مبرزي شعراء العرب .

بغداد باسم عبد الحميد حمودي

دموع وزهرات

لاحمد عبد الله الحسو ــ شعر ــ ٦٣ صفحة ــ بغداد

تكاثف يا غمام
ففي قلبك شبه بما يضمه صدري
وارسل صرخاتك في الافاق
حتى تذوي هذه الزهرات
وتختبىء الطيور في منحدر الوادي
دون ان تغني من اناشيدها شيئا

هكذا ينطلق الشاعر احمد عبد الله الحسو باسلوبه الجميل وعاطفته الجياشة الملاى بعذاب الوحدة ومرارة اليأس في باكورة انتاجه الادبي « دموع وزهرات » . ينطلق كعصفور بريء ضاع عن السرب فراح ينشد اناشيد الاسى ويلقي بعضا من زفرات قلبه ويسكب بعض الدموع من فيض دمعه على وجنتيه ، ويرفع راسه لينظر الى شجرة الذكرى واحلامها الوردية وهي تفور في الاعماق اعماق قلبه ليؤمن بالاسى والجوع البشري الى الفرح والسعادة . ومن خلال وحدته وانسانيته وايمانه القوي بالانسان يقف على قدميه ، امام انسان الغد ليصرخ في اذنيه .

ايها الانسان
كن رهيبا قويا
كالموت
كالعاصفة
كالطبيعة
كامواج القدر والحياة

احاسيس دفينة في لحظات قوية من حياته وظلال حمراء من دموعه وزهراته مشحونة بالصور الطبيعية الساذجة والخيال الشعري المتواضع والمشاعر الانسانية والمبحات التي يلج فيها عالما عاريا من آثام الارض ومليئا بالجمال والحب الرفيع ... ونفحات من قلب يزخر بالوعي والامل كل هذه الشاعرية نجدها تملأ قلب الشاعر فنحس معه بالالم والحب والامل .

وهنالك ماخذ عديدة احب ان ابينها هنا وهي :

اقتصار الشاعر على تصوير مظهر واحد من مظاهر النفس البشرية وهو الالم ... وان كان هذا الالم .. الما بنائيا ــ كما ذكر الاستاذ زروق الموسوي الجزائري في المقدمة ــ غير ان هنالك مظاهر اقوى من الالم والشاعر الشاعر هو الذي يعبر عن جوانب متنوعة وعديدة من الحياة في لحظات قوية .

عدم التوسع والتعمق في آماد الحس والطبيعة والحياة التي هي اسمى واضخم من ذرف الدموع ومناجاة البشر وذكر الروابي والنسمات . فالسطحية اس بلاء الادب الحديث .

لم المح الفكرة مركزة الا في قصائد قليلة منها « دموع كلكامش » و « الموكب » و « فراشة تحترق » ولهذا بدت بعض المقاطع .. لا صلة لها بالمقاطع الاخرى في القصيدة الواحدة لتكوين الفكرة اذ ان الاساس في الشعر هو ان كل كلمة فيه تحمل بعضا معينا من الفكرة او الظلال .

واعود فاقول ان قصائد صديقي احمد عبد الله الحسو هي ازهار جميلة ، لان الشاعر يكتب عن عاطفة صادقة واحساس مرهف .

أترون الى القطرة المنسكبة من غمام احلامي
ان وراثها غيثا يوشك ان يفيض
وهذا الشعاع الذي يتراءى من خلال ذاتي
يخفي وراءه شمسا
يدور حولها الف كوكب

العراق ــ كركوك فاضل كلو العزاوي



● البترول في البلاد العربية — محاضرات القاها الدكتور محمد جواد العبوسي على طلبة قسم الدراسات الاقتصادية والاجتماعية لمعهد الدراسات العربية العالية لجامعة الدول العربية — ٢٩١ صفحة — حجم كبير — مطبعة الرسالة بالقاهرة .

● النقود والبنوك في البلاد العربية — الجزء الاول مصر والسودان — محاضرات القاها الدكتور فؤاد مرسي على طلبة قسم الدراسات الاقتصادية والاجتماعية لمعهد الدراسات العربية العالية بالقاهرة — ١٠٢ صفحة — حجم كبير — [لم يذكر اسم المطبعة]

● قضاة دمشق ، الثغر البسام في ذكر من ولي قضاء الشام — تاليف شمس الدين ابن طولون — تحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد عضو مجمع اللغة العربية في القاهرة — ٤١٨ صفحة — حجم كبير — مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق — مطبعة الترقي بدمشق

● النكبة ، نكبة بيت المقدس والفردوس المفقود ١٩٤٧ — ١٩٥٢ — تاليف عارف العارف — الجزء الاول — ٣٨٦ صفحة — حجم كبير — منشورات المكتبة العصرية صيدا — بيروت — المطبعة العصرية في صيدا .

● محاضرات في القانون المدني اللبناني : انتقال الالتزام ، حوالة الحق وحوالة الدين — القاها الدكتور صبحي المحمصاني على طلبة الدراسات القانونية في معهد الدراسات العربية العالية بالقاهرة — ٦٠ صفحة — حجم كبير — مطبعة نهضة مصر بالقاهرة .

● ديوان ابن ابي حصينة ، الامير ابي الفتح بن عبد الله المشهور بابن ابي حصينة السلمي المعري — الجزء الاول — سمعه وشرحه ابو العلاء المعري — حققه الدكتور محمد اسعد طلس — ٤٠٠ صفحة — حجم كبير — مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق — المطبعة الهاشمية بدمشق .

● تاريخ المجمع العلمي العربي — تاليف احمد الفتيح الامين العام لوزارة المعارف السورية — ٢٧٩ صفحة — حجم كبير — مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق — مطبعة الترقي بدمشق .

● كتاب الزيارات « بدمشق » — تاليف القاضي محمود العدوي المتوفي سنة ١٠٣٢ هـ — تحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد عضو مجمع اللغة العربية في القاهرة — ١٢٢ صفحة — مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق — مطبعة الترقي بدمشق .

● فلسفة اللغة — تاليف الدكتور كمال يوسف الحاج — ٢١٢ صفحة — حجم كبير — دار النشر للجامعيين — مطبعة سميا ببيروت .

● بين القصرين — رواية — تاليف نجيب محفوظ — ٤٤٤ صفحة — حجم كبير — مطبوعات مكتبة مصر — دار مصر للطباعة بالقاهرة .

● الشيخ قسطنطين يني ، الشهيد — صفحة من التاريخ القومي العربي الحديث — مع مقدمة بقلم علي ناصر الدين — ١١٩ صفحة — اخرجته لجنة احياء ذكرى قسطنطين يني في بيروت — [لم يذكر اسم المطبعة] .

● رذاذ.. — مجموعة قصص — تاليف شحادة نمر — ١٠٥ صفحة — مطبعة الوفاء [؟]

● البستاني — لشاعر الهند رابندرانات طاغور — ترجمة بديع حقي — ٧٨ صفحة — مطابع دار العلم للملايين بيروت .

● خمس رسائل اسماعيلية — تحقيق وتقديم عارف تامر — ١٨٠ صفحة — حجم كبير — منشورات دار الانصاف للتاليف والطباعة والنشر [؟]

● الادب المهني — تاليف خليل رشيد — ٢٠٠ صفحة — حجم صغير — مطبعة الغري الحديثة بالنجف — العراق .

● المغني في القواعد والاعراب والفوائد — لطلاب المدارس الثانوية — يحتوي على ١٤٠ بيتا معربا عدا الجمل المعربة — تاليف نهاد التكريتي — ٢٤٤ صفحة — حجم كبير — المطبعة العمومية بدمشق .

● ديوان مورد الصفاء ومنهل الشفاء — لمصطفى متولي — ٩٦ صفحة — حجم كبير — مطبعة دار الهنا بمصر .

● القصة والاساطير في الادب الكردي — الجزء الثاني — تاليف محمد توفيق وردي — ٣٧ صفحة — مطبعة دار المعارف بغداد .

● تعليم وانشاء — منشورات اليونسكو — ٦٢ صفحة — حجم كبير — مطبعة دار الهلال بالقاهرة .

● التكيف الاجتماعي للاطفال — الكتاب رقم ١٧ من سلسلة دراسات سيكولوجية : كيف نفهم الاطفال — تاليف بول لانديس وجون هاير — ترجمة السيد محمد عثمان بالبحوث الفنية بوزارة التربية والتعليم المصرية — اشراف وتقديم الدكتور عبد العزيز القوصى المستشار الفني لوزارة التربية والتعليم المصرية — ١١٠ صفحة — نشر بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر — منشورات مكتبة النهضة المصرية — مطبعة مصر .

● زيتون الرواقي ، خط الفكر السوري — تاليف جورج عبد المسيح — ٩٤ صفحة — دار الجيل الجديد بدمشق .

● الوان من القصة اللبنانية — بقلم انعام الجندي واحمد سويد وسعيد تقي الدين وفيصل المسكي وموريس كامل ونبيل خوري ويوسف حبشي الاشقر ويونس الابن وسميرة عزام وسهيل ادريس — ١١٢ صفحة — منشورات دار العروبة — مطبعة دار الكتب بيروت .

● اساسات التنمية الاقتصادية — تاليف يونس صالح الحريثي معاون مدير الادارة في المصرف الوطني العراقي — ١٤٧ صفحة — دار العلم للملايين بيروت .

● Mélanges — par Louis Massignon — Tome I — 432 pages gd. f. — Publiés sous le patronage de l'Institut d'Etudes Islamiques de l'Université de Paris et de l'Institut Français de Damas — Imprimerie Catholique à Beyrouth.

● La Escuela Siro — Americana : Yubran Jalil Yubran, Mijail Naima, Iliya Abi Madi, Rashid Ayyub, Nasib Arida, Nadrah Haddad — Con Antologia de Textos en Arabe — de Pedro Martinez Montavez — 104 pages — Volum en 4 de la Colleccion « Itimad » de Ediciones Al Motamid — Imprenta Del Majzen de Tetuan Marruecos.

من الصعب جدا ان نصف في هذا المجال الضيق التطورات العديدة التي رافقت صناعة الزجاج . فادارة مصانع كورننغ تملك في اضباراتها اكثر من ٥٠,٠٠٠ وصفة تتعلق بصناعة الزجاج ولا تزال ادارتها ماضية في استكشاف وسائل وذرائع جديدة او انواع جديدة من الزجاج .

وبعبارة ثانية ساعدت صناعة الزجاج بوجه من الوجوه تطوير العلم الحديث والتكنولوجيا فهي تقوم بخدمات تذكر في المختبرات الصناعية . والطب نفسه لولا ما تمده به صناعة الزجاج من عدة والة لم يكن ليستطيع استخدام هذه الابر الدقيقة للحقن تحت الجلد التي تحقق هذه الشفاءات العجيبة

والمواصلات على اختلاف مرافقها ووجوهها تعتمد الى حد بعيد ، على المصنوعات الزجاجية التي اسهمت على نطاق واسع بنشط صناعة الالكترونيات وتطورها المدهش فاتحفتنا بما لدينا من وسائل الترفيه والتسلية ممثلة بالراديو والتلفزيون والهاتف والتلغراف والرادار وغير ذلك من الاجهزة الدقيقة التي مكنت لها صناعة الزجاج بما تمدها من قطع زجاجية تتحمل ما تتحمله من ضغط التيارات الكهربائية العالية التواتر والذبذبات .

ومن ادهش الخدمات تؤديها صناعة الزجاج هي التي تتوفر في الحقل الذري ممثلة في مقاييس طاقة الاشعاع . فقد انتجت مصانع كورننغ من هذه الموازين اكثر من مليون قطعة وتتخذ ادارة المصنع الترتيبات اللازمة لصنع موازين او عدادات تستطيع ان تقيس طاقة الاشعة التي تتعرض لها المواد الغذائية .

وفي المختبرات العلمية حيث تجري التجارب الذرية العلمية ، يلعب الزجاج دورا كبيرا اذ منه تصنع نوافذ زجاجية طول الواحدة ٨ اقدام بسماكة ٦ وزنتها ١٢ طن ، لا تسود من جراء تعرضها للاشعاعات الذرية يستطيع معها العلماء الذريون ، دون ان يخشوا شرا مراقبة ومتابعة التجارب العلمية في المختبرات الذرية

ويستطيع المرء ان يتتبع بحماس مظاهر التطورات التي سجلتها صناعة الزجاج عبر التاريخ الى يومنا هذا وما اصطحب هذا التطور من الات واجهزة دخلت في صنع الزجاج وصقله وذلك بزيارة خاطفة الى متحف الزجاج الذي نظمته محلات كورننغ في نيويورك حيث تقع العين على نماذج من الزجاج في مختلف ادواره عبر التاريخ منذ ١٥٠٠ سنة قبل المسيح ويشاهد المرء نماذج زجاجية من جميع اطراف العالم . وباستطاعة الزائر لهذا المصنع حيث يصنع زجاج ستوبن المشهور تتبع الادوار المختلفة التي تمر بها صناعة البلور النقي في اذابة المواد وصهرها الى مزجها ونفخها وصبها في القوالب المطلوبة كذلك تقع عين الرائي على الامكانيات التي لا حد لها وعلى الوف الطرق التي يمكن ان يستخدم فيها الزجاج في الفن والعلم والصناعة والمنزل ويكفيك شاهدا على ذلك ان تعلم ان ٦٠ في المائة من نشاط مصانع كورننغ تقوم اليوم بانتاج مصنوعات زجاجية لم تكن معروفة من عشر سنوات مضت .

وهكذا يتبين المرء المراحل البعيدة التي قطعتها صناعة الزجاج في الماضي والاحتمالات التي لا حد لها المتوقعة في المستقبل الطالع .

ريموند شوسلر

في كلمات ...

● صرح الدكتور ستانلي ريمان احد الاخصائيين العاملين في معهد الابحاث العلمية حول السرطان التابع لمستشفى لكنو في فيلادلفيا ، بانه مقتنع كل الاقتناع ان الاشعة المنطلقة من نظائر الكوبالت المشعة هي اجدى في مكافحة السرطان من الاشعة السينية . والدكتور ريمان ومساعدوه كانوا اول الاطباء في اميركا الذين استعملوا قذائف نظائر الكوبالت المشعة لمعالجة السرطان . وحجم قذائف الكوبالت المشعة هي بحجم ملء ملعقة شاي من هذا المعدن تصبح مشعة بعد تعرضها للاشعة النيوترونية في محرك ذري . والمعروف ان هذا النوع من النظائر هو اقوى ١٢ ضعفا من الاجهزة السينية العادية التي تبلغ قوتها ٢٥٠,٠٠٠ فولط الكتروني . والقوة المشعة في نظائر الكوبالت تساوي قوة الاشعاع المنطلقة من كتلة من الراديوم ثمنها ٣٠ مليون دولار ، وهي كمية لم يحصل عليها الانسان بعد منذ اكتشاف الراديوم عام ١٨٩٨ . والمصابون بالسرطان قيد المعالجة في معهد فيلادلفيا للسرطان يتعرضون لفعل الاشعة المنطلقة من كبسولة الكوبالت المشع لمدة تتراوح بين ٨ — ١٠ دقائق لا غير وهي تدور حول جسم المريض وقد اشار الدكتور ريمان ان اشعة الكوبالت تستخدم اليوم على الاخص لمعالجة الاورام السرطانية المستعصية وانه من الصعب اعطاء راي قاطع في مفعولها قبل مرور خمس سنين على طريق المعالجة هذه مع ان الطريقة مستعملة منذ سنتين ونصف فقط .

● اذاع راديو موسكو ان العلماء السوفياتيين قد اخترعوا عينا تليفزيونية تستطيع تشخيص مرض السرطان في مرحلته الاولية وهذه العين التلفيزيونية تعمل بالاشعة الاولترا فيوليه بالاضافة الى مساعدة المجهر لها .

● يؤخذ من تحقيق اجري في سبعة بلاد وبعد دراسة لستة وستين الف حالة من حالات سرطان الرئة ان وقوع هذا المرض يزداد بارتفاع نسبة التدخين وعلى الاخص تدخين السيجارات

وقد وردت هذه المعلومات في مقال نشره الدكتور وايندر الاميركي في المجلة الطبية البريطانية . وقال ان على الخدمات الصحية في مختلف البلدان ان تجمع المعلومات المتوفرة لديها بهذا الصدد واذا ما تبين لها صحة هذا القول فان عليها ان تقرر ايهما اهم الحياة او الاعتبارات الاقتصادية . وقال الدكتور وايندر: ان اصابات سرطان الرئة كثيرة في اميركا وبريطانيا حيث يكثر استهلاك السيجارات ، اما في اسلندة حيث تنخفض نسبة التدخين فاصابات سرطان الرئة قليلة .

واشار المقال الى ان الرجال معرضون للسرطان اكثر من النساء ، ولكن النساء اللواتي يتعاطين التدخين كالرجال ايضا هن ايضا معرضات للمرض . وقال ان السبب الرئيسي في السرطان لا يعني انه السبب الوحيد ، فهناك اسباب اخرى بينها تلويث الهواء .

● تمكن علماء المعهد الصحي القومي بماريلاند من تحويل كاميرا تلفزيونية الى جهاز للتحري عن السرطان ،وذلك بتجهيزها بصمامات تلفزيونية جديدة حساسة للاشعة فوق البنفسجية . وبتسليط الكاميرا ، بواسطة مجهر ، يمكن فورا مقارنة التفاعلات الكيماوية الحادثة في خلايا الجسم الطبيعية بالتفاعلات التي تحدث في الخلايا السرطانية . ويقول المعهد ان من مزايا الصمام الجديد كذلك ، اذا استعمل مع جهاز اوسيللوسكوب امكان ملاحظة التفاعلات الكيماوية التي تجري داخل الخلايا الحية بالعين المجردة وتصويرها على شريط سينمائي ، ودراسة مئات الخلايا الحية وتحليلها في جزء ضئيل من الوقت الذي كان يستغرقه الاطباء في العمل سابقا ، وملاحظة وقياس وتشخيص بعض التغيرات الكيماوية التي تحدث داخل الخلايا الحية .

● من الاخطاء الشائعة القول بان السمك يقل فائدة من اللحم من الناحية الغذائية وهذا خطأ جد خطير ولعله يعود في بساطة الى ان السمك اسهل من اللحم في الهضم وهو في الحقيقة طعام مفذ ومفيد تماما ولكنه لا يدفع الانسان الى السمنة فهو غني بالكلسيوم والفوسفور والمغنسيوم انه غني بكثير من الفيتامينات اللازمة للانسان. وتدلنا الاحصاءات الرسمية على ان صيادي الاسماك يعيشون على

جهل تام بهذه الافة التي اصابت العصر الحديث الا وهي السرطان ويرجع هذا الى الحقيقة الاتية وهي ان كل ورم خبيث (سرطاني) او كل الجسيمات السرطانية تشير الى فيض زائد في مادة البوتاسيوم وافتقار شديد الى مادة المغنسيوم .

وعلى ذلك فالسمك يمد الانسان بالمغنسيوم اللازم للتغذية الطبيعية ويجنب الانسان خطر الزيادة الفائضة في البوتاسيوم الناتج من سوء استعمال الاسمدة البوتاسية حتى ان عالما فرنسيا هو الاستاذ رلبو طالب اصدار تشريع عالمي يحرم استعمال الاسمدة في كتابه « الزراعة والصحة » .

● قام احد اطباء مستشفى الصدر في مدينة سوثمبتون باخطر جراحة قلبية في تاريخ الطب الحديث وذلك لازالة دمل كبير من قلب مريض شاب في فترة تسع دقائق فقط . وقد رفضت ادارة المستشفى الكشف عن اسم الطبيب او المريض ولكنها اعطت التفاصيل الاتية عن الجراحة المثيرة .

« اكتشف احد اطباء المستشفى عند فحص احد النزلاء قبل شهر تقريبا وجود دمل في الجانب الايسر من قلبه فقرر ازالته .

ولما حان وقت الجراحة خفضت حرارة المريض الى ٢٨ درجة أي ٩ درجات دون المستوى العادي للجسم السليم (٣٧ درجة) ثم جرى عزل الدورة الدموية عن باقي الجسم ولما تمت هذه المراحل الاستعدادية كان لدى الجراح عشر دقائق فقط لازالة الدمل واعادة الدورة الدموية ، فتمكن الطبيب من اجرائها في ٩ دقائق فقط . »

وتقول ادارة المستشفى ان هذه الجراحة الناجحة هي الاولى من نوعها في بريطانيا واميركا ، وفي العالم كله على الارجح . وقد جرت محاولات من هذا النوع في السابق ولكنها لم تنجح وكانت تنتهي بوفاة المريض .

● صور الاطباء دهانا يدعى يزيدورجان بعد ان سقط من على دراجة في احد شوارع باريس فوجدوا في كتفه رصاصة ظلت فيها منذ اثنتين واربعين سنة .

● كان وليم فرولنغ وعمره ٤٩ عاما ، يتمشى في المنطقة التجارية في كرواقولز – وسكونسن المدينة الصغيرة فاصيب بنوبة قلبية ونقل الى المستشفى لاسعافه ، وهنا نترك للاطباء الثلاثة الذين تولوا اسعافه ان يقصوا علينا ما حدث بعد ذلك :

كان قلب وليام قد توقف تماما عن الخفقان حين ادخلناه غرفة الاسعاف فقام احدنا باحداث شق كبير في صدره فوق القلب ، ومد الاخر يده بين عظام القفص الصدري حتى وصل الى القلب فدلكه باصابعه بينما انهمك الثالث باعطائه تنفسا اصطناعيا .

وكانت النتيجة الاولى لهذه الاسعافات السريعة ان شرع القلب بالارتعاش ، وهذه دلالة غير مسرة اذ انها تعني الموت المحتوم .

ولم يبق امامنا الا وسيلة واحدة هي اعطاء القلب رجفات كهربائية . ولكن مستشفانا الصغير غير مهيأ لمثل هذه الحالات ولم يكن لدينا الجهاز المعقد الخاص بهذا العلاج ... فتلاقت نظراتنا ... وكان كل منا كان يعرف ما يجول في خاطر الاخر ... وفجاة امتدت يد احدنا الى شريط الكهرباء الذي يغذي المصباح المتنقل فانتزعه بحدة وعنف وعرى طرفه ثم ادخل الشريط الى صدر المريض حتى مس السلكان قلب المريض . واعاد الطبيب هذه الصدمة الكهربائية مرتين دون نتيجة . ولكن في المرة الثالثة توقفت الارتعاشات وعاد القلب الى خفقانه كالمعتاد . وما زال وليام بحالة خطرة ، وذلك ليس مستغربا بعد الصدمة القلبية التي تعرض لها، ولكنه سيشفى باذن الله

● ذهبت السيدة انفالس زوجة احد رجال المال في نيويورك الى المستشفى لاجراء فحص عام فرضه عليها الاطباء بعد اجراء جراحة في قلبها عام ١٩٥٢ . ولما اقترب منها الطبيب الشاب سيفن لوبيل لمعاينتها شهقت السيدة فجاة وسقطت ثم تصلبت ... ولما افاق الطبيب ستيفن من هول الصدمة سارع الى جس نبضها فلم يجد له اي اثر ولم يبق امامه الا ثلاث دقائق لمحاولة اسعافها ولم يدر ماذا يفعل ... وصادف مرور احد زملائه الطبيب ارون شوارزن فلما علم بما حصل نصحه بان ينفخ في فم المرأة . ثم تناول مبضعا فشق صدر السيدة بسرعة فائقة وادخل يده بين ضلوعها حتى امسك بالقلب وشرع في تدليكه ، وبقي كذلك عشرين دقيقة حتى عاد القلب الى خفقانه . وتبلغ السيدة الخامسة والخمسين من عمرها وهي اليوم تتحدث عن هذه الواقعة المثيرة وهي عالمة بان دقيقة واحدة فقط كانت تفصلها عن العالم الاخر .

● ثبت من المباحث الطبية التي قام بها بعض الاطباء ان الارتجاف هو الوسيلة التي تلجا اليها الطبيعة لتدفئة الجسم وتفصيل ذلك انه لما تبرد بشرة الجسم تاخذ عضلات الاوعية الدموية في التقلص وهذا التقلص يجعل الدم يتدفق من الاوعية الدموية الصغرى الى الاوعية الكبرى وبما ان الاوعية الاخيرة تتمدد وتنتفخ بما يتدفق اليها من الدم ثم تتقلص بسبب حصول البرد فان تتابع التقلص والتمدد على وجه اشبه بنوبة تشنجية يسبب الارتجاف . وقد ثبت بالاختبار ان التنفس بواسطة الانف يزيد في اوكسجين الدم ويؤدي الى انتاج الحرارة

● تفيد الانباء ان البعثة البريطانية لارتياد المنطقة القطبية الجنوبية قد اصطحبت معها مؤنا من مادة « الكوميلان » وهي مادة غذائية جديدة مصنوعة على شكل مسحوق . ويعتقد انها تحوي جميع المواد الضرورية للمحافظة على الصحة الجسمانية . وتتألف هذه المادة الغذائية من مزيج جاف من المواد البروتينية والكاربوهيدرات والدهنيات والمواد المعدنية والفيتامينات يبلغ مجموعها نحو ٢١ عنصرا . وقد اجريت عليها اختبارات طبية دقيقة عديدة وقد ثبت من هذه الاختبارات ان المرضى الفاقدين وعيهم يستطيعون ان يعيشوا لمدة شهرين معتمدين على هذا الغذاء وحده كما ان المصابين بالامراض العقلية امكنهم ان يعيشوا على هذا الغذاء وحده تقريبا مدة تتراوح بين ثلاثة وستة شهور ولعل اهم ميزة لغذاء « كوميلان » انه لا يحتاج الا الى قدر من الماء لكي يصبح غذاء كافيا غير انه بالامكان اضافة بعض المواد الاخرى اليه للتنويع في الطعم مثل الكاكاو والقهوة والشوكولاته او خلاصة اللحم . ويقول الناطق بلسان الشركة التي انتجت هذا الغذاء وهي شركة كلاسكو لابوراتوريز ليمتد بانكلترا انه اذا اضيف الى هذا الغذاء الماء والهواء فقط فان الانسان الطبيعي الصحيح الجسم يستطيع ان يعيش به مدة غير محدودة وان كانت الغاية الاولى من عرضه في السوق هي لاستهلاك الاطفال والشيوخ والكهول الذين هم بحاجة الى المزيد من المواد الغذائية .

● اعلنت الدوائر الكندية ان الوحوش التي تقطن في المناطق القريبة من كوبيك قد اصيبت بداء الكلب ، وانها لذلك تهاجم كثيرا الحيوانات الداجنة والانسان في بعض المناطق المنعزلة وقد اعلنت دوائر الصحة ان ٢٤٥ بقرة وخروفا ، وخنزيرا قد اصيبوا بهذا الداء نتيجة هجمات الذئاب والثعالب عليها .

● في غمرة تفشي وباء الجدري في مدينة بيروت بلبنان وانتشار الحمى القلاعية في الابقار صرح الدكتور فيليب شديد نقيب اطباء لبنان قائلا :

ان داء الجدري لم يعرف حتى اليوم مصدره وكذلك لم يكتشف له اي علاج سوى التلقيح وتوفر النظافة التامة وهذا التلقيح لا تصبح له مناعة الا بعد مرور ثلاثة اشهر كما انه يجب اعادة التلقيح مرة ثانيا بعد ١٥ يوما في حال عدم اشتغال اللقاح الاول وخصوصا للاطفال الذين يتعرضون للعدوى اكثر من سواهم وان الاحتياطات الصحية السريعة كعزل المرضى ومجانبة الاختلاط بهم وتطهير امتعة المصابين ومنازلهم بجانب التلقيح كل ذلك كاف لوقف هذا الداء والقضاء عليه .

وتحدث عن عدوى الحمى القلاعية المتفشية

في البقر في لبنان خلال هذه الايام فقال بان عدوى هذا الوباء سريعة الانتقال من هـــذه المواشي الى الاهلين عن طريق تجمع حليبهـا وانه لا عبرة بالخرافة التي تقول بغلي الحليب لقتل جراثيمه اذ ان في لبنان عددا كبيرا جدا من الابقار المريضة بالسل وغيره من الامراض الفتاكة التي يباع حليبها في الاسواق ويصار الى غليه قبل تناوله ومع ذلك فان هناك مئات من الاطفال يموتون في كل عام في لبنان يذهبون ضحية الاهمال من هذا القبيل وواجب دوائر وزارة الزراعة البيطرية فرض رقابتها التامة على هذه الابقار عامة وفي كل جهة من لبنان حتى يطمئن الناس الى ارواحهم والى ارواح فلذات اكبادهم .

ومماقالهالدكتور شديد ان نقابةالاطباءسبق لها ان تقدمت بعدة مشاريع صحية لصيانة السلامة العامة ومن ابرز هذه المشاريع اقتراح بانشاء مستشفى حكومي مجاني في قاعدة كل قائمقامية يتولى الاشراف عليه اطباءمنجراحيين وصحيين ومولدين بحيث يتسنى لكثير مـن اطباء الملحقات الذين هجروا مناطقهم الـــى المدن سعيا وراء الرزق ، من البقاء فيها بعد ان يجدوا اعمالا لهم في هذه المستشفيـــات وتعم الفائدة منهم اكثر فاكثر ، كما ان هنـــاك مشاريع اخرى تتعلق بتنظيـــم المستوصفات الصحية والمستشفيات وامثال ذلك منالمشاريع الهامة التي لم يعرها المسؤولون اي اهتمام الامر الذي قد يؤدي الى اوخم العواقب في الصحة العامة .

● من المحتمل ان تسفر قريبا ابحاث نفـر قليل من علماء كلكتا عن نتائج من شانها ان تسهل معالجة مرض السل بقليل من نفقـات معالجته . ويقول هؤلاء العلماء ، وعلى راسهم الدكتور بازو السكرتير العام لاتحاد مؤتمر العلم الهندي ، انهم توصلوا الى انتاج عقار جديد ضد السل يحتوي على المزايا البارزة للعقارين الرئيسيين السابقين لمعالجة هذا المرض وهما الايزونيا سيد ، والبارا امينو ساليسيليــك اسيدا وما يعرف باسم باس . وقد سمـي هذا العقار بازيناید ويقوم الاخصائيون في داء السل الان باجراء التجارب عليه لمعرفة مـدى فعاليته وخصائصه الاخرى . وقد بحث فريق من الاطباء الخبراء خصائص هذا العقار الجديد ومدى الفعالية التي نسبت اليه اذ ان العلاج بواسطته يجري جرعات اصغر بكثير مـــن الجرعات التي تعطى من اي علاج شاف اخر. فكانت النتيجة ان المرضى المصابين بالســل الغددي استجابوا للعقار حالا . وكذلك كانت نتائج المصابين بانواع اخرى من المرض مرضية ايضا .

وما تزال التجارب والاختبارات مستمـــرة للتاكد من طبيعة ومدى القدرة على المقاومة التي يحصل عليها المرضى الذين شفوابمعالجتهم بالبازیناید فيما اذا تعرضوا لاصابة جديدة .

● اقيمت في مختبر الالكتروفيزيك لـــدى اكاديمية العلوم في الاتحاد السوفياتي منشاة جبارة لدراسة النواة الذرية . واصبح بمقدور العلماء ان يعجلوا بواسطتها البروتونات حتـى طاقة ١٠ مليارات الكترون فولت . ان الجهاز الكهرطيسي في المعجل الجديد يزن ٣٦٠٠٠ طن ويبلغ قطره ٦٠ مترا . ويتيح هذا المعجــل دراسة السير النووي ذي التوتر العالي .

● في الاجتماع الاخير لاكاديمية العلوم فـي الولايات المتحدة الاميركية ، وبعد المناقشـة الطويلة واستنفاد البحث في المواضيع المعروضة قررت اكاديمية العلوم ان الخطر الناجم عـن استخدام الطاقة الذرية على حياة الانسان ، وخاصة على اغشيته وخلاياه الوراثية ، هــو اعظم بكثير من استخدام الذرة فـي الشؤون الحربية .. فحتى الساعة لم يتمكن العلماء من ايجاد حل لمشكلة النفايات الذرية التـي تتجمع من عمليات الانتاج الصناعي الذري ، كما وانه لم يوجد اي حل لمشكلة تلويث الميـــاه والهواء بالانفاس المسمومة بالاشعاعات الذرية فالنفايات تظل مشعة مئات السنين على الاقل وتجرف في اشعاعها وتلوث جميع المعادن او الحجارة او سواها من الاشياء التي تقاربهـــا فتصبح هذه المعادن والاحجار بدورها مشعة كاشعاع النفايات ذاتها . وبالتالي فان هـــذه الاشعاعات تفتك بالانسان ، فتولد شتى الامراض وليس اقلها مرض سرطان الدم ، وتؤثر الخلايا الوراثية ، وتدفع الى خلق اجناس بشريـــة جديدة ذات اعضاء مشوهة . ولا يمكن طمر هذه النفايات في الارض على اعماق كبيرة او صغيرة لان المياه التي ستجري بالقرب منهـــا ستصبح مشعة ، وبالتالي تلوث الينابيـــع

على ان العلماء يعتمدون اليوم على قوالب كبيرة من الاسمنت المسلح يدفنون فيها هذه النفايات ثم يغلقون هـــذه المغارات الجهنمية بطبقة سميكة من الاسمنت المسلــح ايضا . ولكن الاسمنت يصبح بدوره بعد فترة معينة من السنين مشعا كالنفايات المدفونة به تماما ، فلم يتمكنوا اذن من الوصول الى حل لهذه المشكلة العويصة .

ويختم علماء الاكاديمية الاميركية تقريرهـم بهذه الملاحظة الخطيرة : ان العالم الذي ينتظـر اليومبفارغ صبر اعجوبة الصناعة الذرية ومـا قد تدر به من خيرات لا يقدر الاخطار الهائلـة التي يتعرض لها الجنس البشري نتيجة هذه الاعجوبة الذرية ذاتها التي قد تكون كالساحر العجيب الذي اطلق بقضيبه من عالم الغيب قوى هائلة ثم لم يعد يستطيع ان يلجمهـــا فذهب هو ضحيتها بدوره . وقد يكون مـن نتائج هذا التسمم الذري الشامل علاوة علـى فناء جزء كبير من البشرية انبثـــاق اجناس بشرية جديدة ناجمة عن تفاعل الاشعة المسمومة وخاصة اشعة «جاما» بالخلايا الجنسيةالوراثية

● في معهد الابحاث الذرية في مدينة دوبنا في الاتحاد السوفياتي يقوم ابرز العلماء بابحاث نظرية وتجريبية في الفيزياء النووية . وهذا المعهد مجهز بعتاد ممـــتاز بمـــا في ذلـــك السانكروسيكلوترون ، وهو اكبر معجل مـن نوعه في العالم ، وينتج ٦٨٠ مليون الكترون فولت ، وكذلك السانكروفازترون الفريد من نوعه المعد لتعجيل البروتونات لغاية طاقة ١٠ مليارات الكترون فولت .

● امر الرئيس ايزنهاور بالشروع في اسرع وقت ممكن ببناء اول سفينة تجارية من عابرات المحيط تسير بالطاقة الذرية . ومن المقرر ان تكون سرعة السفينة الانقلابية الجديدة ٢١ عقدة بحرية في الساعة ، وستحمل مئة راكب و١٢ الف طن من البضائع وينتظر الانتهاء من بنائها وتدشينها خلال عام ١٩٥٩ . على انه سيبذل كل جهد ممكن لاتمام صنعها قبل هذا التاريخ . وتعير شركات الشحن موضوع تسيير السفن بالذرة اهتماما بالغا لاسباب عديدة . واحد هذه الاسباب ان باوندا (الباوند ٤٥٣ غراما) واحدا من الوقود الذري يوازي الطاقة الموجودة في ٧٠٠ طن من زيت النفط (المازوت) كما انه باستطاعة السفن الذرية حمل كميات اكبر من البضائع مسافات اطول ، بنفقات اقل ويمكن كذلك الاستغناء في السفن الذرية عن المداخن والاستفادةمن المساحاتالتيتشغلها هذه المداخن في زيادة عدد الغرف المخصصةللركاب

● اعلن تقرير لجنة الطاقة الذرية الاميركية ان انتاج الولايات المتحدة اوكسيد اليورانيوم قدتضاعف سنة ١٩٥٦ . ويقول التقرير ان المصانع الاميركية تنتج الان اكثر من ثمانية الاف طن من هذه المادة سنويا .

● اعلنت شركة « اتوميكس انترناشونال » عن توصلها الى صنع فرن ذري قليل الثمـن صغير الحجم يمكن وضعه في اية مدرسة او مختبر للابحاث الصناعية او الطبية . ويقول الدكتور مارتن مدير الشركة المذكورة ان هذا الفرن الذري المامون ، المبسط ، قليل الثمن ، سيفتح الطريق امام الباحثين في حقل الذرة .

وهو يرى ان اثر هذا الفرن في حقل العلوم الذرية سيكون شبيها بما احدثه ابتكار سيارة فورد طراز (T) في صناعة السيارات وتقول الشركة ايضا انه يمكن صنع هذا الفرن وتركيبه واعداده للعمل في اي مكان في اقل من ستة اشهر ، كما يمكن وضعه في اي مختبر قائـم دون حاجة لاضافة اية تركيبات خاصة ومـع

صفر هذا الفرن الجديد ، فانه يكفي للقيام بابحاث واسعة النطاق في الميدان الذري كما وانه يزود الباحثين بكمية من الاشعاع تكفي للقيام بالدراسات الهامة في الهندسة والطب وعلم الاحياء.

ويتالف قلب الفرن — حيث تتم عميلة الانفلاق من كرة الفولاذ الذي لا يصدأ قطرها قدم واحد وتحتوي على ٤ غالونات من سلفات اليورانيل المشبع في محلول مائي . ويحيط بهذا القلب حاجز من الرصاص سمكه ٦ بوصات ، موضوع في صهريج قطره ٨ اقدام وارتفاعه ٨ اقدام مملوء بالماء العادي . ويمكن اجراء عدة تجارب مختلفة عليه في ان واحد. ويكفي لادارة الفرن رجل واحد ولا يزيد ثمنه عن ٥٥ الف دولار .

● صرح ناطق بلسان محطة الرصد الجوي في اليابان بان الاتحاد السوفياتي قد فجر قنبلة هيدروجينية في مكان ما من سيبريا في الرابع عشر من شهر كانون الاول الماضي فقد لاحظت المراصد الجوية بوادر اشعاعية في ثلوج ومياه وامطار مناطق واسعة من الاراضي اليابانية وقال الناطق ان تقريرا دقيقا عن حجم القنبلة ومكان تفجيرها يجري اعداده الان من قبل المرصد .

● تفيد الاخبار الواردة من طوكيو الى واشنطن ان بريطانيا اعلنت ان المياه حول جزيرة كريسماس في الباسيفيك تعد منطقة خطرة في المدة من اول مارس الى اول اغسطس ١٩٥٧ التي ستقوم بريطانيا خلالها ببعض التجارب لتفجير القنابل الهيدروجينية . هذا وتبعد جزيرة كريسماس نحو ١٢٠٠ ميل جنوبي هونولولو .

● وضع معهد الكيمياء الفيزيائية لدى اكاديمية العلوم في الاتحاد السوفياتي مجهر يعمل بواسطة الالكترونات والايونات . وهو ينيح الحصول على صور مكبرة مليون مرة ، الامر الذي لا يمكن الحصول عليه بواسطة أي جهاز اخر . وفيه جهاز خاص يتيح استخدامه بسهولة ونظام ودون خطر . وهو يتيح الرؤية والتصوير معا .

● صرح السر جون كوكروفت رئيس مؤسسة هارويل للابحاث الذرية لاصحاب السفن البريطانية بان البلوتونيوم المستخرج من محطات الطاقة الذرية البرية قد يستخدم في المستقبل في سبيل تخفيض نفقات السفن التي تسير بقوة الطاقة الذرية واكد السرجون امكانية استخدام المراوح الذرية لدفع السفن من ناحية فنية بدليل التجربة الناجحة التي اجرتها الولايات المتحدة على احدى غواصاتها التي زودت بفرن للماء المضغوط . وقال بيد ان هنالك فجوة واسعة من حيث النفقات لا بد من سدها قبل ان يصبح مبدأ المراوح الذرية جذابا من ناحية تجارية وقيل ان جمعية الابحاث لبناء السفن البريطانية تتعاون مع سلطة الطاقة الذرية في هارويل في امكانية استنباط افران تقوم على اساس مبدأ السوائل العضوية او مبدأ استخدام الاورانيوم الطبيعي وقد تم الاتفاق على ان مسالة تامين السلامة بصدد المراوح الذرية في السفن يمكن حلها في غضون الوقت اللازم لبحث امكانيات تطبيق هذا النظام على السفن التجارية .

● اخترع جهاز اليكتروني يمكن ان يتلقى بيانات عن حالة قذيفة موجهة اثناء طيرانها ، واثبات هذه البيانات كتابة ويجري الان تعديل هذا الجهاز لامكان استخدامه في ميدان الصناعة بحيث يسجل حالات الخلل .

● قام الجيش الالماني الجديد بسلسلة من المناورات لاختبار نوع البندقية التي سيحملها الجنود دائما . وبعد تجربة النماذج الاميركية والانكليزية والبلجيكية ، وقع الاختيار على البندقية الاسبانية المعروفة باسم « استمي » وقد قرر الخبراء الالمان انها افضل بندقية رشاش في العالم ، وهي مستوحاة من بندقية الهجوم التي كان يستعملها الجيش الالماني في الحرب الماضية .

● قطعت الباخرة الاميركية «جون سارجنت» وهي من طراز بواخر « الحرية » ، المحيط الاطلسي وكأنها الطود الذي لا يؤثر به تلاطم الامواج مهما بلغت من الشدة والعنف ، وذلك بفضل محركها الغازي الطوربيني الجديد .

وهذه اول مرة تزود فيها باخرة تجارية كبرى بمحرك من هذا النوع ويقول جون ماكمولان من ادارة الملاحة التجارية الاميركية ، وكان من بين المسافرين على ظهر الباخرة : « ان من اهم مميزات الرحلة خلوها من كل اثر للاهتزازات اذ كانت الباخرة هادئة تماما » .

ونظرية الطوربين استخدمها الانسان منذ زمن بعيد في توليد القوة . والنواعير التي تدور باندفاع الماء مثل على كيفية عمل الطوربين البسيط اما المحرك الطوربيني الغازي فانه يدور بقوة ضغط الغاز الناتج عن حرق الوقود على شفرات الطوربين .

● اخترع كشاف جديد للطائرات تابع للجيش الاميركي يجري اختباره حاليا ويستطيع هذا الكشاف الدوار رؤية طائرة تسير على مسافة ٣٠٠ ميل بالوانها الطبيعية بواسطة عدسته القوية التي يبلغ قطرها ١٦٠ بوصة.

● جرت تجربة طائرة نافورية بريطانية تستطيع ان تقلع او تحط على الارض بصورة عمودية وقد اطلق عليها اسم « شورت سي س. ١ » باسم الشركة التي صنعتها وباستطاعتها ايضا ان تمر بسرعة من الوضع العمودي الى الوضع الافقي او الى وضع تحوم فيه تحويما بشكل دائري : كما تستطيع ان تنطلق بصورة امامية . وتقوم على خمسة محركات نافورية من طراز رولز رويس التربينية الجديدة بشكل تحويم الى الطيران العادي وهذا هو الفرق بين محركات رولز رويس المعروفة وبين هذه المحركات الجديدة .

● اصبح بوسع الفرنسيين المشتركين في التلفون ان يسمعوا اغنية جديدة في التلفون كل صباح وذلك بسعر مخابرة تلفونية داخلية

● تمكن دافيد سنستاين سنويد من اختراع جهاز جديد من الرادار الملون يستطيع ان يلتقط صورة السفن الماخرة في عباب اليم خلال العواصف الهوجاء . وهذا الطراز الجديد من الرادار يمكن ان يحول دون اصطدام السفن بعضها ببعض كما حدث مؤخرا بين السفينة الايطالية اندريا دوريا والسفينة السويدية ستوكهلم .

ويمتاز هذا النوع من الرادار على الاجهزة العادية القديمة بكونه يتخذ من اللون ادلة لتمييز الاهداف التي يود التقاطها ، عما حواليها من الاشياء . فقد كان من الصعوبة بمكان على العامل في الرادار ان يحصل على صورة واضحة دقيقة ولا سيما في البحار المضطربة الرجراجة حيث يمتزج لون السفينة بلون الماء والمبدأ العام الذي يقوم عليه جهاز الرادار الجديد هو ان الحركات او الصور الصادرة عن السفينة هي على الاجمال اكبر من تلك التي تصدر عن مساحات اكبر من الارض او الماء . والجهاز يدع هذه الصور تخترق انبوبا من اشعة المهبط (القطب السالب) مجهز بستار متالق يتبعث منه نور من لون معين عندما يقذف بتيار الكتروني . وهذه الصور او الاشارات تعود فترتسم على شاشة او ستار ثان . واذ ذاك يستطيع عامل الرادار ان يرى الهدف المعين بلون يختلف عن لون ما يحيط به من اشياء .

● اخترع المهندس الفرنسي بير لويس مار انسانا اليا يؤدي عمل ربة المنزل ويقول المخترع انه يغسل ملابس زنتها ١٢ رطلا في بضع دقائق وينظف المائدة وما عليها بعد وجبة لخمسة اشخاص في ٣٠ ثانية وان من الاعمال التي يؤديها ايضا تقشير الخضروات وكنس ارضيات الغرف وتلميعها بالورنيش وتبلغ نفقات تشغيل هذا الانسان الالي لمدة ساعة حوالي عشرة فرنكات .

● تجري في الوقت الحاضر تجربة قطار

كهربائي بثلاث عربات على الخط الحديدي الممتد بين ميونيخ وريجنسبورغ اسمه « ا.ت، ٣. » . وقد تم صنعه بطريقة لا يسمع معها اية ضوضاء عند الوقوف . وتبتدئ سرعته بعشرين كيلومترا في الساعة ثم تصعد الى اربعين فثمانين فمائة ، فمائة وعشرين كيلومترا بمدة لا تزيد على ٤٧ ثانية فقط ، وهذه اسرع درجة في التعجيل وصل اليها قطار كهربائي في العالم حتى الان .

ويوجد اليوم ٢٤ قطارا من هذا النوع اعدت للتجربة ولتخصيصها للمواصلات السريعة في منطقة الرور في المانيا الغربية .

وقد اوصت مصلحة السكك الحديدية الفيدرالية بصنع ١٠٠٠ قطار من النوع الجديد على ان يكون البعض منها بقوة الكهرباء والبعض الاخر بقوة الديزل .

● قامت السلطات الفرنسية بتجربة نوع جديد من الطائرات النفاثة وهي من طراز لودوك ٢٢ وتستطيع ان تطير عاموديا وافقيا وتستطيع هذه الطائرة الجديدة في ان تسير بسرعة تتراوح بين الثلاثة الاف والاربعة الاف كلما في الساعة .

● انزل الاتحاد السوفياتي طائرة تو — ١٠٤ النفاثة في الطيران المدني ، فكانت انقلابا خطيرا في هذا المجال ، اذ انها الطائرة النفاثة الاولى العاملة في الطيران المدني . وتتمتع «الطائرة تو — ١٠٤ » بميزات فائقة . فهي تسير بسرعة وسطية قدرها ٨٠٠ ك.م. وقد ادخلت هذه الطائرات في حيز العمل وهي تعمل الان على خطوط النقل في الاتحاد السوفياتي .

● افتتح نهرو رئيس وزراء الهند العمل في خزان هيراكود بالهند وقد بلغت جملة تكاليف هذا الخزان ١٤٠ مليون دولار . وستنتفع به الهند في توليد الطاقة الكهربائية وري الاراضي ويقول المهندسون الهنود ، ان هذا الخزان يعد اطول خزان في العالم .

● قام معمل بريطاني في يوركشاير بصنع انوال خاصة لمصلحة شركة بغدادية من اجل حياكة سجاد شبيه بالسجاد المحوك بالايدي وسيتم تسليم النوع الاول من هذا النوع خلال هذا العام والانوال المذكورة تستطيع حياكة سجادتين في آن واحد .

● تقول وكالة الصين الجديدة ان عالم النوع البشري الصيني الدكتور بي شونغ يقول ان قردا هائلا له خصائص الانسان عاش في الصين نصف مليون سنة وقد استند العالم في قوله الى متحجرات الاسنان الضخمة التي عثر عليها منذ عشرين عاما في اقليمي كوانغ سي وكوانغ تونغ ومكن هذا الدرس العلماء الصينيين من الملاحظة بان هذه الاسنان يجب ان تكون اسنان قرد اكبر بكثير من أي قرد حالي . فانياب هذا القرد وطواحنه الامامية تشبه الى حد كبير انياب وطواحن الانسان ، لكن بعض خصائصها تشبه ميزات اسنان القرد هذاوقد وضعت اكاديمية العلوم الصينية مشروع عشر سنوات للقيام بالابحاث عن النوع البشري في مختلف الاقاليم حيث يؤمل العثور على متحجرات اخرى خاصة بالقرد الانسان .

● صرح متسلق سويسري بانه اخفق في



العثور على أي أثر يدل على وجود انسان الثلج الاسطوري الضخم ، وذلك بعد اقامته الطويلة في جبال ايفرست وبعد ابحاثه الواسعة هناك . وقال انه لا يعتقد بان العثور على اثار قدمين ضخمين في الثلج يدل على وجود عملاق نيبالي يعيش في المنطقة التي يعتقد انها غير مسكونة . وقد كان السيد مولير عضوا في البعثة السويسرية التيتسلقت جبال الايفريست في الربيع الماضي وقد بقي هناك من اجل البحث عن رجل الثلج والقيام بدراسات عن الاجواءالجليدية لحساب مؤسسة الابحاث التسلقية السويسرية .

● صرح الدكتور توماس رئيس جمعية فكتوريا للورود في نيوزيلنده بان امكانية انبات ورود زرقاء لا تقل روعة عن امكانيات انبات زهرة سوداء من الخزامى التي ادهشت المشتغلين باعمال البستنة حين اصابت نجاحا تاما . فمنذ سنوات عديدة لم يكن هنالك من يعتقد بامكانية نبات زهرة غاردينيا زرقاء اللون . ولكن هذه الامكانية اصبحت الانحقيقة واقعة .

● وضع المعهد الاوكراني للطاقة والاصطفاء لدى اكاديمية العلوم في اوكرانيا (خاركوف) طريقة جديدة للقاح النباتات . ويجري درس هذه الطريقة بواسطة النظائر المشعة .

●اكتشف معدن الاورانيوم في اراضيالسودان كما وجدت كميات ضخمة من الحديد والبترول في مناطق شاسعة . فقد صرح وزير الثروة المعدنية بان الخبراء عثروا على الاورانيوم في بعض المناطق . وقال ان البترول قد وجد بكميات ضخمة في تلال البحر كما وجد الحديد هناك في خمس مناطق في مساحة قدرها ٤٨٠٠ ميل .

واضاف الوزير ان الحكومة تدرس طلبات الشركات المختلفة للتنقيب عن البترولوالاتفاق على نسبة الارباح ، وانها ستتولى استخراج الاورانيوم بنفسها .

● اوضح تقرير المهندسين الجيولوجيين بوزارة الاعمار العراقية عن اليورانيوم في العراق بانه اكتشفت مخزونات فوسفاتية مشعة تحتوي على كميات دقيقة من اليورانيوم واقترح ان يعهد بالتنقيب الى لجنة جيولوجية لها فروع بجهات القطر .

● كان فريق من العمال الفرنسيين يعملون في بقعة من الارض الجزائرية تبعد ثمانين كيلو مترا عن واحة وارغلا وبينما كان احد العمال يستخدم الة الحفر على عمق ٣٢٢٣ مترا في صخرة قاسية اخذت الالة تدور بسرعة عنيفة مما دل على ان المسبار وصل الى منبع الزيت واستمر العمال عدة ايام في تنقيبهم حتى تبين للخبراء ان عمق بحيرة البترول التي توصلوا اليها يزيد عن ١٣٧ مترا .

وعندما نعلم ان اضخم ابار البترول في الارض العربية السعودية لا يزيد عمقه عن اربعين مترا ، وان اعمق بحيرات البترول في ارض تكساس الاميركية لا يزيد عن عشرة امتار نستطيع ان نقف على اهمية بحيرة البترول الجديدة التي اكتشفت في الجزائر . ويعتقد المهندسون انهم لن يتمكنوا من تحديد كمية البترول في الارض الجزائرية بشكل نهائي قبل شهر يوليو القادم ولكنهم يتوقعون ان يكون ذلك المنبع مصدر ثروة هائلة .

● تقول وكالة الصين الجديدة ان ابارا كثيرة للبترول قد اكتشفت في المناطق الجبلية في الصين وان علماء طبقات الارض الذين اجتمعوا مؤخرا قد اعلنوا ان هنالك اكثر من ٨٠ طبقة ارضية تحتويعلىالبترولفيالصين.

● باشرت وزارة الزراعة اللبنانية بمعاونة النقطة الرابعة الاميركية بناء مصنع للتلقيح الاصطناعي في بمبدات والغاية من بناء هذا المصنع تعميم التلقيح الاصطناعي على الحيوانات الداجنة في لبنان بجلب العروق المؤصلة من البلدان التي قطعت شوطا بعيدا في هذا الحقل وهي هولاندا ، واميركا ، واوستراليا .

وفي احصاء رسمي وضعته وزارة الزراعة ان البقرة البلدية التي يربيها الفلاح اللبناني تعطي لبنا في ايام خصبها بعد الوضع مباشرة ما مقداره ١٢ كيلوغراما في حين ان البقرة الهولندية تعطي ضعف هذه الكمية . لذلك قدمت النقطة الرابعة الى وزارة الزراعةمجموعة من البقر والعجول المؤصلة وزعت على المحطات الزراعية التي انشأتها وزارة الزراعة في الملحقات لتلقيح بقر الفلاحين اصطناعيا من عجول مؤصلة العروق ، وتوزيع العجول الاناث الصغيرة على الفلاحين لرفع الانتاج المحلي والثروة الحيوانية في البلاد .

● عثر علماء الاثر الارمن في قعر بحيرة سيفان على اطلال مدينة قديمة يعود تاريخها الى ثلاثة الاف عام ومن المعروف ان هذه البحيرة تقع في وادي ارارات وكانت السلطات تقوم بتجفيف البحيرة المذكورة حيث تبين لبعض العاملين هناك وجود اثار مختلفة فابلغوا الامر الى الدوائر المختصة التي ارسلت عددا من علماء الاثار .

وقد عثر العلماء على تحف ذهبية واثار تقدر اثمانها بملايين الليرات كما عثر على عربات من الخشب ، وعلى هياكل عظمية . وما تزال الابحاث مستمرة حتى الان .

● انجزت بعثة المعهد الشرقي لجامعة شيكاغو التي وصلت العراق لاجراء تحريات على مجاري الانهار القديمة جانبا كبيرا من مهمتها وينتظر ان تفرغ من عملها في الربيع

● قررت وزارة الاقتصاد الاردنية تكليف بعثة العمل الاميركية (النقطة الرابعة) استئناف دراسة ممكنات استخراج وتحسين انتاج البوتاس من البحر الميت . وقد طلبت الوزارة تخصيص ٤٠ الفدينار اجورا للخبراء الذين سيتولون هذه المهمة . وكانت البعثة قد اجرت دراسات بهذا البيان خلال العامين الماضيين .

والمعروف ان شركة تمثل ست دولعربية قد شكلت لاستثمار بوتاس البحر الميت براسمالبيلغاربعةملايين ونصف مليون دينار.

● يتخذ العراق الاجراءات اللازمة لرفع صادرات البترول من الابار الواقعة في جنوب البلاد الى ١٢ مليون طن سنويا على ان تصدر الكميات الاضافية عن طريق مرفا احمدي في الكويت . وكانت ابار البصره تنتج البترول بمعدل ثمانية ملايين من الاطنان سنويا وتقول الاوساط الرسمية ان المباحثات تدور الان مع الكويت من اجل مد خط انابيب جديد يصل حقول البصره بمرفا الاحمدي . والمقول ان الطرفين توصلا الى اتفاق مبدئي وكان العراق قد صدر في السنة الماضية ٢٤ مليون طن من البترول عن طريق الانابيب التي تصب في البحر الابيض المتوسط وبواسطة الخليج الفارسي . وتقول مصادر وزارة الاقتصاد العراقي انها تسعى لرفع هذا الرقم الى ٤٤ مليون طن في السنتين القادمتين .

● بعد ان تطلق الولايات المتحدة كوكبها الصناعي عام ١٩٥٧ سيقوم مئات المراقبين الهواة بمساعدة علماء الارصاد المحترفين في تتبع القمر الصناعي في دورانه حول الارض . وقد تطوع هؤلاء الهواة للاشتراك في مشروع اطلق عليه اسم « مراقبة القمر » برعاية مرصد مؤسسة سمثسونيان الذي سينشىء شبكة من محطات الرصد تتالف من ٥٠ محطة وفي كل محطةسيقوم فريق من المراقبينبالبحث بواسطة تلسكوباتهم في صفحة السماء لمعرفة المحور الذي يقطعه الكوكب من الغرب الى الغرب بسرعة ١٨ الف ميل في الساعة في دورانه حول الارض مرة كل ١٠٠ دقيقة . وسيستعين المراقبون بتلسكوبات مصممة خصيصا للفرض ذات مجال عريض للرؤية ، وتزود كل محطة من المحطات بمحطة ارسال على الموجة القصيرة تذاع عليها تنبؤات المراقبين حول اقتراب الكوكب الصناعي وسائر ملاحظاتهم وتوجه هذه الاذاعات الى محطة مركزية ، حيث يجري مقارنة هذه المعلومات ودراستها واذاعتها الى ١٢ محطة اخرى مزودة بكاميرات

تلسكوبية كما تستخدم هذه المعلومات في تتبع سير الكوكب هذا وستذاع نتائج هذه العملية ، وهي جزء من مساهمة الولايات المتحدة في السنة الجغرافية ـ الطبيعية ١٩٥٧ ـ ١٩٥٨ ليستفيدمنها العلماء في جميع انحاءالعالم

● تعد السلطات الحالية في رودس بالتعاون مع مصالح الاثار اليونانية التصاميم اللازمة لاعادة بناء هيكل ابولو في رودس . ويتوقع ان يكون الهيكل بعد ترميمه ، كالهيكل القديم مرئيا من جميع السفن التي تمر قرب شاطىء الجزيرة ويضيف ذلك الى اسباب جذب السياح لزيارة الجزيرة .

● اتمت الهيئة الفنية الخامسة المسؤولة عن شؤون الاسكان بوزارة الاعمار العراقية المواصفات الخاصة بانشاء ٢٧٠٠ دار للسكنى في الوية بغداد والموصل وكركوك وذلك على اساس ١٣٠٠ دار في الموصل و١٠٠٠ في بغداد و٤٠٠ في كركوك . وقد اتمت الهيئة المذكورة مسح الاراضي المخصصة لتنفيذ برامج الاسكان فيها والمحيطة ببغداد واعدت هذه الاراضي في الاصل لانشاء ١٠ الاف دار للسكنى . ويتضمن منهاج الاسكان ايضا انشاء ١٥٠ دارا في كل من الرية الديوانية والعمارة والكوت والناصرية والسليمانية وكربلاء .

● صدر تقرير عن دوائر الصحة التي تعمل في ميدان المحافظة على الحيوانات في بريطانيا عن عام ١٩٥٥ من قبل وزارة الزراعة والاسماك وقد جاء فيه ان جميع الاعمال ترمي الى وضع حد للسل البقري هناك . وقد انتهت حتى الان الحملة التي شنت على هذا الداء الذي يصيب الابقار والمواشي . وجاء في التقرير انه اذا تواصلت الاعمال على الاساس الجاري الان في هذا المضمار فستتحقق الغاية من هذه الحملات الصحية خلال خمسة اعوام من الزمن وذكر التقرير ايضا انه لم تحدث في البلاد حوادث جرب الخراف ويمكن اعتبار هذا الداء في مصاف العدم اذ قضي عليه قضاء مبرما .

● كثيرا ما تمنى الانسان لو يستطيع ان ينفذ ببصره في غياهب الظلام . وها هي احلامه تتم على الوجه الامثل بفضل جهاز جديد طلع به العلم حديثا على يد الاستاذ هـ. مورغن استاذ التصوير بالاشعة في جامعة جونز هوبكنز يساعده رالف ستورم من الفيزيائيين الضالعين بالبحث العلمي . والاختراع الجديد يدعى « لوميكون » ويصنع في مصانع فريز التابعة لشركة بندكس لهندسة الطيران .

واللوميكون يشبه اصلا جهاز تلفزيوني مفرغ يتصل طرفه الواحد بالة مصورة ويتصل الثاني بانبوب تصويري ، وبين هذا وذاك مكثف يلتقط الضوء الذي تسجله الة التصوير وتعكسه على الانبوب التصويري بعد ان تكبره ٥٠ الف مرة .

وجهاز اللوميكون هذا لا يعمل في الظلام ، ولكنه يستعين باي قدر من النور مهما كان دقيقا خافتا بحيث تستطيع ان تصور اي شيء في ليل بهيم يقع امام عدسة الالة المصورة بواسطة الضوء الخافت الذي ينبعث من النجوم القصية فتبدو الصورة وكانها ماخوذة في رابعة النهار .

ويمكن استخدام جهاز اللوميكون كلما بدت الحاجة الى تكثيف الضوء : اي تقويته ، فيستعمل في التصوير بالاشعة السينية ، وفي التصوير الفلكي عندما ترغب في تاليق اي جسم او جرم يبدو على المجهر في قرص السماء ويجرون على استعمال اللوميكون في جامعة جونز هوبكنز في كل ما يتصل بالتصوير بواسطة الفلورا او يتعلق بالمعالجة بالاشعة السينية.

وفي راي البرت ولسن مدير مرصد لويل في فلاجستاف من اعمال ولاية اريزونا ان اللوميكون سيحدث في التصوير الفلكي ثورة كتلك التي احدثها اكتشاف التصوير الفوتوغرافي وتصريحه هذا مبني على اختباره الواقع بعد ان تمكن من اتخاذ بعض صور رائعة للمريخ لم يؤخذ مثلها من قبل .

ففي الثاني من تموز الماضي كانت المسافة بين كوكب المريخ والارض ادنى مسافة بين الكوكبين منذ ١٣ سنة . وكان فلكيو مرصد (لويل) قد اعدوا لهذه المناسبة جهاز اللوميكون لتصويره ، فلما دخل المريخ في نطاق التلسكوب ظهرت الصورة واضحة على اللوميكون . ويصف الدكتور ولسون الصورة التي انطبعت على الجهاز يومئذ بانها «اوضح صورة للكواكب امكن تصويرها حتى الان » . وقال ان العلماء استطاعوا رؤية التفاصيل الدقيقة والخطوط التي توحي بوجود قنوات الري المشهورة عن هذا الجرم السماوي . غير انهم ـ لعدم وجود الاجهزة الفوتوغرافية اللازمة لتصوير الصورة المنعكسة على انبوبة التصوير في جهاز اللوميكون ـ لم يستطيعوا تسجيل هذا الحدث التاريخي .

ومن المشكلات التي يواجهها الفلكيون وعلماء الارصاد ان جو الارض دائم الاضطراب والتارجح مما يجعل الصور التي يشاهدها العلماء في اجهزتهم مهزوزة مشوشة سرعان ما تزول وتتلاشى . ولهذا السبب لم يستطع احد ان يثبت وجود « القنوات » على سطح المريخ، او انها ضرب من خداع النظر ... وفضلا عن ذلك ، فان النور المنبعث من كوكب المريخ من الضعف بحيث انه لا يمكن تصويره دون ابقاء عدسة التصوير مفتوحة مدة طويلة قد تصل الى دقيقة كاملة . وابقاء العدسةمفتوحة هذه المدة يؤدي الى الحصول على صورة مهزوزة مشوشة بسبب الجو « المتراقص » والهواء المضطرب وهنا تبدو قيمة «اللوميكون» اذ يمكن بواسطته خفض مدة التصوير الى عشر الثانية او اقل بحيث تتمكن الكاميرا خلالهذه البرهة القصيرة من اقتناص تفاصيل دقيقة تضيع اذا بقيت العدسة مفتوحة مدة اطول .

وباستطاعة هذا الجهاز الجديد ان يكثف الضوء الذي يلتقطه المجهر ثلاثين ضعفا بحيث ان عدسة مجهر مرصد فلاجستاف البالغ قطرها ٤٠ انشا تصبح وكان قطرها ٢٤٠ انشا ويصبح قطر عدسة مجهر مرصد جبل بالومار البالغ ٢٠٠ انش (٥٫٨ سنتمترات) وكانه ١٢٠٠ انش او ٣٠٤٨ سنتمترا . ويرى الدكتور ولسن انه بواسطة جهاز اللوميكون يمكن الاستغناء بسهولة عن مجهر مرصد بالومار في كاليفورنيا .

● صرح الاميرال دلمر فرنهي القائد السابق لقسم القذائف المسيرة في البحرية الاميركية استنادا الى الانباء التي استقاها من مصادر حسنة الاطلاع تبين ان اجساما غريبة تأتي الى فضائنا عن ارتفاعات شاهقة وبسرعة كبيرة . ويقول الاميرال ان القذائف التي تصنع في الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي لا يمكن ان تصل الى هذا الارتفاع ولا الى تلك السرعة التي ترقى اليها هذه الاجسام الغريبة ، ويبدو ان الذكاء الذي اخترع هذه الاجسام يفوق كثيرا الذكاء البشري الانساني . وبعد ان اعلن انه لم يشاهد في حياته صحونا طائرة اكد ان التقارير التي وضعها العلماء ، والمهندسون تدل على ان هذه الصحون تسير بسرعة تؤكد عدم وجود اشراف مباشر عليها .

● افاد علماء الاثار في مصلحة الاثار في برقة بليبيا بان المعبد الذي اكتشف في قرية بيدا الواقعة على بعد عشرة اميال جنوبي شرقي قورنيا في منطقة الجبل الاخضر انما هو المعبد الشهير لاله الطب اليوناني ايسكولابيوس .

وكانت الحفريات قد بدات في قرية بيدا منذ عدة اشهر وكان المعروف عن هذا المعبد انه يقع بجوار الجامع الابيض الذي بناه سيدي محمد بن علي السنوسي جد الملك ادريس السنوسي ملك ليبيا سنة ١٨٣٨ وقد عثر عمال الحفر على حائط حجري ضخم وفي وسطه بوابة واسعة وعندما دخلوا البوابة وجدوا انفسهم في ساحة كبرى مبلطة بالرخام تحيط بها اروقة اغريقية انيقة وفي الوسط ممرات سفلية ذات بناء عظيم مزين بالنقوش لا يمكن ان تكون الا هيكل اله الطب . ووجدت عدة قطع من المنقوشات القديمة داخل الهيكل وبينها تماثيل صغيرة لايسكولابيوس وهيغيا الهي الطب القديمين .



العصر الذي نعيش فيه

للمؤرخ الانجليزي الشهير

ارنولد توينبي

●

ما هي اهم المشكلات التي سيواجهها العالم خلال النصف الثاني من القرن العشرين؟

يتوقع الكثيرون نشوب حرب عالمية ثالثة ، تستخدم فيها الاسلحة الذرية . وهذه الاسلحة اذا استخدمت ، ستفني العسكريين والمدنيين على السواء ، ومن كلا الطرفين المتحاربين دون تمييز . ولهذا السبب ، لن ادهش اذا ما كانت نتيجة هذا التطور الجديد في اساليب القتال محو الحروب وابطالها ، بدلا من ان يمحو الجنس البشري نفسه .

وهذا الاحتمال – اي ابطال الحروب – سيفتح ولا شك افاقا سعيدة جديدة للجنس البشري ، وخاصة اذا علمنا ان الحروب كانت في الماضي السبب المباشر لانحلال المدنيات وانهيارها . غير اننا يجب الا نتوقع بان يؤدي محو الحروب الى محو التوتر ، والكفاح ، والقلاقل ، فهذه شرور لم يمحها الغاء الرق الذي تم في القرن التاسع عشر ، ولن يمحوها شيء اخر ، لانها ثمرة من ثمار « الخطيئة الاولى » لا تزال دفينة في قلب الطبيعة البشرية ...

والغاء الحروب ، الى جانب خفض معدل الوفيات الذي حققه تقدم الطب والصحة العامة ، لا شك سيؤدي الى بروز مشكلة تضخم عدد السكان باشد مما هي عليه الان فهل يحرر الجنس البشري نفسه من نقمتين من نقمات البشر الثلاث – اي الحرب والاوبئة – ليواجه الموت بالنقمة الثالثة – اي الجوع ؟ لا شك في اننا لن نكون من البلاهة بحيث نسمح لانفسنا بهذا المصير . ولكننا اذا ما استنفدنا جميع الوسائل العلمية لزيادة انتاج العالم من الاغذية ، فالسبيل الوحيد الباقي امامنا لمواجهة ازدياد عدد السكان المستمر بسبب خفض معدل الوفيات هو معادلة هذه الزيادة بتخفيض مماثل لمعدل المواليد . وهنا تواجهنا المشكلة من ناحيتيها الخطيرتين – السياسية والدينية . فمعدل الوفيات يمكن خفضه بسهولة وبسرعة ، حتى في البلدان المتأخرة عن طريق الاطباء ورجال الصحة المدربين . اما معدل المواليد فلا يمكن خفضه الا باقناع الاباء بجدوى هذا العمل ، او اجبارهم عليه قسرا . والامر الاول ، اي محاولة الاقناع ، قد يصطدم بالمعتقدات الدينية التي ورثها الناس عن ابائهم واجدادهم . واجبارهم على عدم التوالد او الحد منه تدخل طغياني في حرية الرجل وزوجته ، وهي حرية كفلتها واحترمتها جميع الحكومات – بما فيها اشد الحكومات طغيانا ، عبر عصور التاريخ .

ومع كل ذلك ، فمشكلة تحديد النسل قائمة ، ولا بد من مواجهتها . وعلى العالم ان يختار بين تحديد النسل ، والجوع .

من الحقوق المعترف بها لجميع شعوب العالم الان « التحرر من العوز » .. والامن والعدالة الاجتماعية في رأس قائمة ما تطالب به هذه الشعوب . وهذا يضعنا امام مشكلة جديدة ، على العالم ان يجد حلالها ، وهي مشكلة ايجاد توازن جديد بين العدالة والحرية . فالعدالة والحرية كانتا دائما على طرفي نقيض ، وكان لا بد لوجودهما معا من محاولة التوفيق بين الواحدة والاخرى .

ومع ذلك فلا حياة للبشر بدون التمتع بالقليل من كلتيهما ، والمحافظة على التوازن بين هذه وتلك كانت دائما من مشكلات الانسان الاجتماعية . اما عن العصر الذي نحن بصدده الان ، فيبدو لي ان الميزان اخذ بالاتجاه نحو اقرار العدالة والامن على حساب الحرية – ذلك لان الحرية ، اذا قورنت بالامن ، تعتبر شيئا كماليا ، ولان خطر الحرية يتزايد تدريجيا كلما زودنا انفسنا بالالات الميكانيكية الجبارة .

ومع ذلك ، فلا حياة للانسان بدون حرية في بعض مجالات الحياة . وان كان الاتجاه فيما يبدو سائرا نحو تقييد حرية الانسان في المجالين الاقتصادي والسياسي بسبب ازدياد المطالبة بالعدالة وبالقوانين الكفيلة بحماية الانسان في هذا العصر الالي ، فلا بد ان تبحث الطبيعة البشرية عن تعويض لهذه القيود باصرارها على ان تنال قسطا اكبر من الحرية في مجالات اخرى . والمجال الذي يحتمل ان تتجه اليه الطبيعة البشرية لهذا الفرض اكثر من سواه هو مجال الدين ، الامر الذي يجعلنا نقف وجها لوجه امام مشكلة جديدة اخرى..

ما هو السبيل لان يملأ الرجل العصري الفراغ الروحي في نفسه ؟ لقد وجد هذا الفراغ بنشأة العلوم الحديثة . فقد اخرج العلم الدين عن اشكاله التقليدية ، ومع ذلك فالعلم ، وحده ، غير قادر على ملء الفراغ الذي احدثه . لقد مكن العلم الانسان من السيطرة الى حد كبير على الطبيعة غير البشرية ، بما في ذلك الاجساد التي تسكنها ارواح بشرية ، ولكن العلم لا يساعد الانسان على السيطرة على نفسه . والسيطرة على النفس كانت دائما اكثر مشكلات الانسان تعقيدا واحوجها الى الحل . ونحن بحاجة الى حل هذه المشكلة اليوم اكثر مما كنا في اي وقت مضى . فانسان اليوم اشبه ما يكون بفتى مراهق يتسلح باسلحة رجل بالغ رشيد ، دون ان يكون عقله قد بلغ درجة الرشد . ومثل هذا الفتى يظل خطرا على رفاقه ، وخطرا على نفسه ، الى ان تنمو روحه حتى تتكافأ مع قدرته الفنية والعلمية .

والسبيل الى النضج الروحي لا يأتي عن طريق العلم ، وانما عن طريق الدين . ولهذا السبب ، فاني اتوقع ان ارى رجل القرن العشرين منكبا على محاولة احياء الدين، واعتقد انه سينجح في محاولته هذه . واغلب ظني ايضا ان الدين سيعود الينا باشكال اخرى تختلف عن اشكاله التقليدية المعروفة ، بحيث قد يبدو دين الانسان الجديد ، لاول وهلة ، مختلفا كل الاختلاف عن دينه السابق .

والان ما هو المحك الذي سيكشف لنا عما اذا كان الدين الجديد دينا حقيقيا لا زيف فيه ؟ ان محك الاديان هو في قدرتها على حل مشكلة عذاب الانسان . واياما المقبلة ، على ما يبدو ، ستكون مشحونة بالعذاب المرير ...

آرنولد توينبي

التحدي الاجتماعي

للعلامة البرازيلي الدكتور

جلبرتو فريري

●

منذ بضع سنوات ، كتب السياسي الفرنسي والناقد الاجتماعي « ليون دوديه » كتابه عن القرن التاسع عشر فسماه « القرن الـ١٩ الغبي » . وقد قسا في هجومه ونقده للقرن الماضي كمن ينتقد شخصا او منظمة نقدا

لاذعا عنيفا .. والواقع ان القرون اصبحت - بتقليد خالص - بالنسبة الينا بمثابة المنظمات او في منزلة الاشخاص حتى اصبحنا ننظر الى كل قرن وكانه يتسم بنوع من الشخصية العبقرية الممتازة .. او الشخصية المعتوهة التافهة في بعض الاحيان .

وهذه هي نظرة بعضنا الى العصر الحاضر. فبعض المتشائمين من العلماء يعتبرون النصف الثاني من القرن العشرين كانه الدكتور جيكل بالنسبة الى مستر هايد (قصة الشخصية المزدوجة المعروفة) اي بعبارة اوضح ان النصف الاول من القرن هو مستر هايد الشخصية الشريرة ، والنصف الثاني هو الدكتور جيكل الشخصية الطيبة او الشخصية العادية الطبيعية . وبعبارة اخرى خلافا لما قاله الشاعر براونتج « في الايام المقبلة ما هو اسوأ ».

ترى هل هناك قاعدة لهذا التشاؤم في نظر المتشائمين للقرن الحاضر ؟ او ان هناك اساسا لتوقع العار والتعاسة للانسانية من نصفه الثاني ؟ وهل يكون الحكم على العصر ، كرجل شيخوخته فيها مبالغة قاتلة لمعالم شبابه ؟

ان نظرة التحليل الاجتماعي للنصف الثاني من القرن العشرين ليست مجرد اصدار حكم مسبق عليه وانما محاولة فهمه على قدر الامكان .. ومن المحتمل ان يكون المستقبل القريب الذي يطلع علينا وعلى ابنائنا - في الخمسين سنة القادمة - صورة مضادة عنيفة حادة . هو تضاد بين مدنية ذرية ومدنية غير ذرية . ومن المحتمل ان يحاول المستقبل مباغتتنا فجاة بشيء من السيطرة كانه مراهق مافون يريد ان يصبح ، بصورة مفاجئة ، في عداد الرجال ، دون اكتراث لمن يكبرونه سنا ، لا الى حد الوقاية فحسب بل الى حد التجني والوحشية .

وعلى كل حال فان طابع الوحشية يحتمل ان تقل حدته بعد ان يشتط في عنفه . فالتجارب الانسانية تدلنا على ان الصدمات العنيفة بين المدنيات على مر الاجيال المختلفة تميل الى القصر . بل اكثر من هذا يعقبها وجوه من الامتزاج والتداخل ، وهذا من شانه ان يفضي الى تعديلات معناها بالقياس الى الجماعات البشرية لا تخفيف حدة التوترات وانما توازنها بطريقة سلمية ، قد تكون احيانا خلافه وذات طابع تكميلي مشترك .

وليس لاحد منا ، رجلا كان او امراة من اهل القرن العشرين ، ان يتوقع ان يعيش في عصر فكتوري جديد . العصر الفكتوري كما كان بالنسبة الى اوروبا او الشعوب الغربية المتفوقة في تمدنها . ذلك ان فريقا منهم فقط تمتع بالمسرات واسباب الراحة لعصر استقرار وبقدر تجاوب ذلك الفريق للاستقرار ومشاركته فيه . اما في هذه الاونة الحاضرة فعدد الذين يعيشون عن قصد او غير قصد في هذا العصر عدد ضخم كبير . واليوم نجد للغربيين من يشاركهم في تجاربهم كرجال ونساء عصر معلوم - عصر كله زخم وقلق وتجارب في النواحي الثقافية والسياسية - اجل يشاركهم هذا النفر الكبير من الشرقيين بل ان عدد الغربيين انفسهم الواعي بانتسابه لتطورات هذا العصر يفوق كثيرا عدد امثالهم ممن كانوا ينتسبون للمدنية الغربية خلال القرن الماضي (التاسع عشر) . واذا كان التاريخ يذكر ان العصر الفكتوري كان عصر راحة واستقرار ، معتبرا ذلك حقيقة عامة عالمية فالخطا هنا ان الذين ارخوا لتلك الفترة انما كتبوا وجهة نظر رقعة من العالم - وهي رقعة جماعة المثقفين من اهل الغرب .

والان فقط بدا العالم كله - او معظمه - يعيش في نفس الفترة الاجتماعية والنفسية على الرغم من الاختلافات البادية بخصوص تنظيم الجماعات البشرية لنفسها سياسيا واقتصاديا واجتماعيا. فهذاالوعيالجديدبوحدة الجماعة الانسانية ، الذي نتج بفضل بعض وجوه التقدم التكنولوجي ، والذي زود الناس بصورة جديدة للزمان والمكان من المحتمل ان يزداد قوة خلال النصف الثاني للقرنالعشرين. وفي اعتقادي انه سيفضي الى تغلغل الوعي بالجماعة البشرية ، وخاصة بين الاقطاب المسئولين في كل مكان . وهو وعي جديد ينزع الى اصلاح نظرة الخصومة بين الشرق والغرب ، وبين الجماعية والفردية . فالعداء بين هذه الخلافات الراديكالية لا نهاية له . ولعل النصف الثاني للقرن العشرين يتسم بطابع جديد ، من وجهة النظر الاجتماعية وبالنسبة للناس في انحاء مختلفة من العالم. فتزداد العلاقة بين الزمان والمكان قوة وزخما.

وهو وعي لم يكن معروفا حتى وقتنا الحاضر ولم تدركه حتى الجماعات الداخلة في نطاق المدنية الغربية . فهذه الجماعات قد عاشت في عصور اجتماعية ونفسية مختلفة وان تكن من الوجهة التاريخية الزمنية نفس القرن او العصر .. وينبغي لنا باعتبار كوننا اهل عصر واحد ان نحس ، على حد قول رجال الاجتماع باننا في وجوه كثيرة جماعة في قارب واحد. فالحياة في نفس الطابع الزمني تتطلب الاحساس بالانتماء الى مجتمع لا تحده الحدود الجغرافية الجامدة .

ولا شك ان النصف الثاني من القرن العشرين سياتي بمزيد من التغير السريع .. التغير الاجتماعي والتغير الثقافي بين الناس ، ولكن هذا التغير ربما يختلف باختلاف الامكنة ، بسبب مشكلة الاختلافات في الزمان الاجتماعي والنفسي وهي مشكلة هامة على رجال الاجتماع والسياسة معالجتها .

جلبرتو فريري

درس من المشوهين

•

عرضت في العاصمة الاميركية اخيرا ٢٢ لوحة زيتية بريشة فنانين كلهم مصابون بعاهات جسيمة . وقد اعجب النقاد بهذه الرسوم ووصفوا المعرض بانه « برهان حي ناطق على انتصار الروح البشرية على المعوقات الجسدية » .

وقد كشفت هذه اللوحات التي اختارتها لجنة خاصة عينتها وزارة المعارف والصحة والترفيه الاميركية من بين ١٠٠٠ لوحة ، عن مواهب فنية كامنة لدى هذه الفئة من المرضى والمعاقين بدنيا ، كما كشفت عن اهمية الفن في الترفيه عن اولئك الاشخاصوتشجيعهم على استعادة الثقة بانفسهم . وقد منح الفائزون منهم جوائز مالية بناء على توصيات لجنة خاصة مؤلفة من خمسة من اساطين الفن في الولايات المتحدة .

ومن مفارقات هذا المعرض انه لم يوضع تحت اسم الفنان وعنوانه اسم اللوحة كما هو المتبع عادة ، بل وضع مكانه وصف مقتضب لعاهته . وكان هدف وزارة المعارف والصحة الاميركية التي اشرفت على تنظيم هذا المعرض ان تلفت نظر الناس الى الكفاءات الكامنة لدى كثير من ذوي العاهات والمعاقين تشجيعا لامثالهم وتوجيها لهم ، وفي نفس الوقت لفت نظر اصحاب الاعمال الى ذوي المواهب من المقعدين للاستفادة من مواهبهم في مؤسساتهمواعمالهم

ومن الفنانين الفائزين في هذا المعرض رجل اسمه جيمس ابركرومبي ، من تكساس ، وقد منحته لجنة التحكيم الجائزة الثانية وقدرها ٥٠٠ دولار للوحته التي تمثل حظيرةحيوانات.

وكان جيمس قد انقضت عليه صاعقة وهو صبي افقدته السمع . وبعد اعوام قليلة سببت له هذه العاهة عاهة اخرى اذ لم يستطع سماع صفارة قطار مقبل في اتجاهه فصدمه القطار صدمة عنيفة اضطر الاطباء على اثرها الى بتر ذراعيه . وقد رسم لوحته - وغيرها - بكلابات حديدية مركبة على جذامتي الذراعين كما انه يشغل منصب المستشار لمكتب « التاهيل » المهني التابع لحكومة ولاية تكساس .

اما الجائزة الاولى من جوائز هذا المعرض



٢٨ ديسمبر ١٩٥٦ ـ اعلن رئيس جمهورية بوليفيا هيرفان سيليز سوازو انه بدأ بالاضراب عن الطعام كوسيلة اخيرة يلجأ اليها لاقناع اتحاد العمال بعدم اعلان الاضراب . وكان الاتحاد قد هدد بالاضراب لمعارضة مشروع الحكومة الرامي الى توفير الاستقرار الاقتصادي والغاء نظام الرقابة الذي انقضى على تطبيقه ٢٥ سنة .

٢٩ ـ قامت ثورة جديدة في جزيرة « شيليب » المقابلة لجزيرة سومطرة في اندونيسيا والتي كانت مسرحا لانقلابات عسكرية متوالية في الايام الاخيرة . .

ـ عاد جواهر لال نهرو الى نيو دلهي بعد زيارته للولايات المتحدة وكندا وانجلترا وقد تحدث عن مباحثاته الهامة مع الرئيس ايزنهاور واعرب عن امله في تحسن الوضع الدولي .

٣١ ـ شكل السيد صبري العسلي الوزارة السورية الجديدة .

ـ اعلن الدكتور سوكارنو رئيس الجمهورية الاندونيسية حالة الحصار والحرب على مقاطعة سومطرا الجنوبية .

ـ اصبحت منطقة السار بصورة رسمية جزءا من المانيا الغربية اما من الناحية الاقتصادية فان السار لن يندمج تماما بالمانيا الغربية الا في مطلع ١٩٦٠ .

ـ حذر السيد فيكتا خروشيف امين السر العام للحزب الشيوعي السوفييتي حذر العالم الغربي من ان اية محاولة لمساعدة العناصر المعادية للشيوعية ما وراء الستار الحديدي ستقابل بصد عملي عنيف حالا .

٢ يناير ١٩٥٧ ـ الغت مصر معاهدة ١٩ اكتوبر سنة ١٩٥٤ المعقودة مع بريطانيا وكانت تنص على استمرار العناية بقاعدة قناة السويس بعد جلاء القوات البريطانية عنها منذ سنتين ، على يد فنيين مدنيين بريطانيين وعلى عودة القوات البريطانية الى القاعدة عند وقوع اعتداء على تركيا او البلاد العربية .

ـ وصل الى تونس السيد مصطفى بن حليم رئيس وزراء ليبيا لاجراء محادثات سياسية واقتصادية مع الحكومة التونسية .

ـ طلبت حكومة باكستان رسميا دعوة مجلس الامن للانعقاد لمناقشة مشكلة كشمير .

ـ بعث الملك حسين برسائل الى ملوك العرب ورؤسائهم طالبا منهم الضغط لتنفيذ قرارات الامم المتحدة بانسحاب اسرائيل من غزة وشبه جزيرة سيناء .

ـ ابلغت اليونان هيئة الامم انها ترفض المشروع باسم واضعه المشترع اللورد راوكليف لقبرص على اعتبار انه وسيلة لفرض السيطرة الاجنبية بالقوة على شعب رغم ارادته . ويعرف المشروع باسم واضعه المشترع اللوردرادكليف

٣ ـ طلبت الحكومة اليمنية الى الجامعة العربية دعوة اللجنة السياسية الى عقد جلسة عاجلة للبحث بالاعتداءات التي تشكو اليمن قيام بريطانيا بها ومنها قصف مدينة حارب

ـ استقالت الوزارة البوليفية ، بعد اضراب رئيس الجمهورية عن الطعام ، فتركوا المجال واسعا امامه لاختيار معاونيه وتثبيت النقد.

٤ ـ توفي في فيينا رئيس جمهورية النمسا الهر تيودور كورنر عن ٨٢ عاما .

٥ ـ ادلى الرئيس ايزنهاور ببيان عن سياسته او ما سمي « بمبدأ ايزنهاور » بصدد الشرق الاوسط في رسالة وجهها الى الكونجرس طلب فيها اعطاءه سلطة مسبقة لاستخدام الجيوش الامريكية في الشرق الاوسط اذا وقع اعتداء على سلامة دولها وحذر الرئيس في رسالته روسيا من التورط في اي عمل للتوسع وبسط نفوذها في الشرق الاوسط مؤكدا ان امريكا ستضطر الى التدخل عسكريا لرد اي اعتداء روسي وان ليس للروس ان يخشوا شيئا من امريكا سواء في الشرق او في اية بقعة اخرى ، واعلم ايزنهاور الكونجرس انه سيطلب اعتماد ٤٠٠ مليون دولار لتقديمها الى بلدان الشرق الاوسط على شكل مساعدات اقتصادية . وفي البيان ان استخدام القوات الامريكية لحماية الاستقلال السياسي للدولة التي تتعرض للاعتداء يكون اذا طلبت تلك الدولة مثل تلك المساعدة لرد اعتداء مسلح تتعرض له من اية دولة تسيطر عليها الشيوعية العالمية .

ـ اعلن السيد نوري السعيد رئيس الحكومة العراقية بمناسبة الذكرى السادسة والثلاثين لتاسيس الجيش العراقي ان هذا الجيش المدرب والمجهز اصبح عنده بعض اصناف من الاسلحة لا تملكها غير القوات الامريكية وبعض الوحدات البريطانية ويمكن استخدامها في الحروب الذرية .

ـ سافر السيد شكري القوتلي الى الرياض ومنها الى الباكستان ومنها الى الهند في زيارة رسمية للبلدين .

٧ ـ اعلن ان اتفاقا وقع بين روسيا والمانيا الشرقية تنال فيه المانيا المزيد من المساعدات الاقتصادية كما اتفق الجانبان على تحديد المواقع التي ترابط فيها قوات الاتحاد السوفييتي مع اعطاء الحكومة الالمانية حق الاشراف على تنقل هذه القوات واعدادها اسوة ببولونيا بعد الثورة الاخيرة .

ـ وصل الى موسكو شوان لاي رئيس وزراء الصين الشعبية في طريقه لزيارة المجر وبولونيا

٩ ـ قدم السير انطوني ايدن رئيس الحكومة البريطانية استقالته بسبب سوء صحته .

ـ اكد جي موليه رئيس الوزارة الفرنسية في بيان اذاعه على الشعب الجزائري ان فرنسا مع حرصها على انهاء القتال في الجزائر لن تتخلى ابدا عن تلك البلاد .

١٠ ـ كلفت الملكة اليزابيت المستر هارولد ماكميلان عضو مجلس العموم تاليف الحكومة البريطانية .

ـ اصدرت الحكومة البريطانية بيانا قالت فيه ان طائراتها النفاثة قصفت بعض المواقع الجبلية في محمية عدن لاخراج الجنود اليمنيين ورجال القبائل الذين احتلوا تلك المواقع

١١ ـ استقال السير انطوني ايدن من عضوية مجلس العموم البريطاني .

ـ اقرت الجمعية العمومية للامم المتحدة مشروعا امريكيا يدعو الى اعادة توحيد كوريا عن طريق انتخابات حرة تشرف عليها الامم المتحدة

ـ اعلنت السلطات المصرية انه بدأ تدريب المتطوعين في مصر لمساعدة اليمن في نضالها ضد الاعتداء البريطاني .

١٢ ـ دعا كونراد اديناور مستشار حكومة المانيا الغربية الى تحريم الاسلحة النووية وانشاء منطقة عزلاء تفصل اوروبا الشرقية عن الغربية كوسيلة لتخفيف حدة التوتر في العالم.

١٤ ـ اعلنت وزارة الخارجية البريطانية ان محادثات تمهيدية بدأت في عدن لايقاف القتال الذي يدور منذ عدة ايام في مناطق الحدود بين اليمن ومحمية عدن .

١٥ ـ جلت القوات الاسرائيلية عن مدينة العريش ودخلتها قوات الامم المتحدة تمهيدا لدخول القوات المصرية اليها .

١٦ ـ وصل الى المدينة المنورة الملك حسين واجتمع الى الملك سعود وتباحثا في القضايا العربية الراهنة .

١٧ ـ تنظر الجمعية العمومية للامم المتحدة مشروع قرار تقدمت به ٢٤ دولة اسيوية وافريقية يطلب من الامين العام ان يبذل جهده لدى اسرائيل لحملها على قبول الانسحاب الى ما وراء خطوط الهدنة في مهلة خمسة ايام .

مطبعة الشراع
بيروت الحازمية